ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ ـ صفر ١٤٠٢

من ريدرز دايجست

لوسي الحلقة المفقودة في اصل الانسان

ص ١٣١

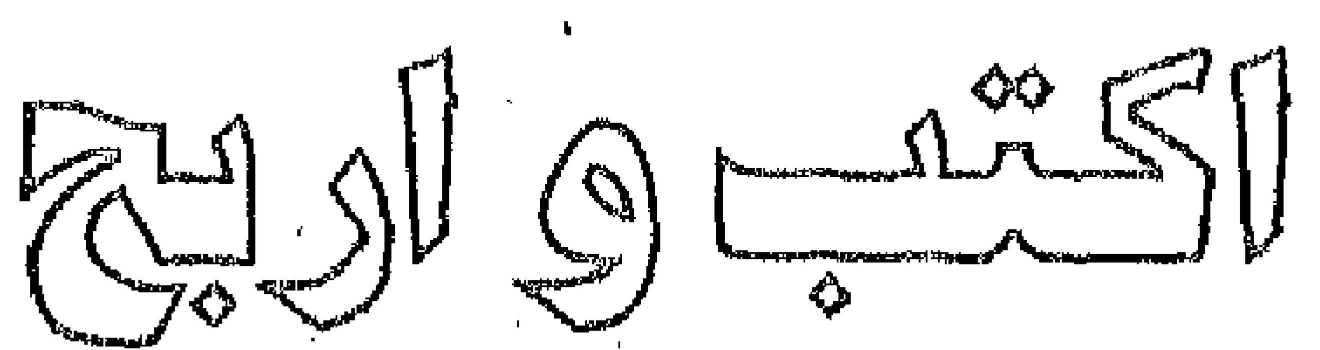
الذكور والاناث: الاختلاف حقيقي؟

(ص ٢٩)

لبنان ٥٠٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٧د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٧ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٢٠٠ف ـ تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كنداوامريكاالشمالية ٢٠٥د



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:



اكتب واربح

صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية.

الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكيمة حول موضوع معين.

حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين. على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات

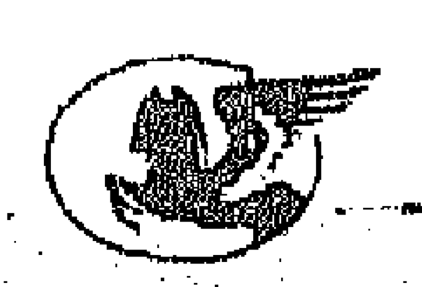
يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الأسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

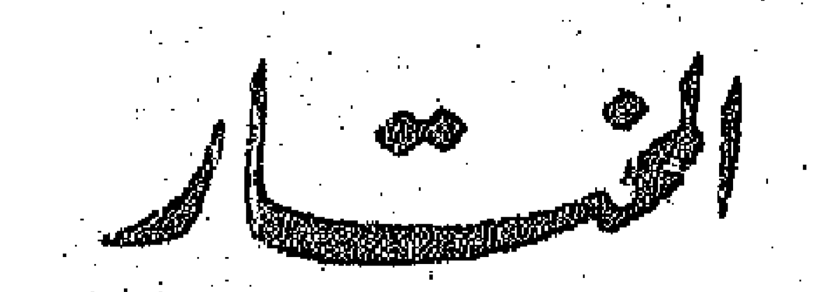
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي بناية الشرتوني ـ ص ب: ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.





من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب
امانة التحرير: راغدة حداد ، الاخراج: امل الزين

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس
الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت. طومسون ، مدير التحرير: آلان دوليرو ، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت. الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص.ب ٢٢٦ ـ ١١ التلكس (الموقت) ANAHAR ٢٣٣٢٢ LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ ، ١١؛ التلكس LE ٢٢٢٨٨ التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٢١
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: مطابع تكنوبرس الحديثة ـ الغبيري ـ لبنان. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

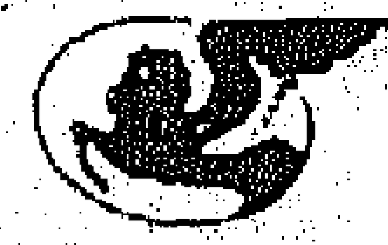
تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.



الغلاف: الملوك المجوس (ماستر دومينيكوس ـ اسبانيا).

AL MUKHTAR min Reader's Digest



December 1981 No 37 (New Series) Vol. 4

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة



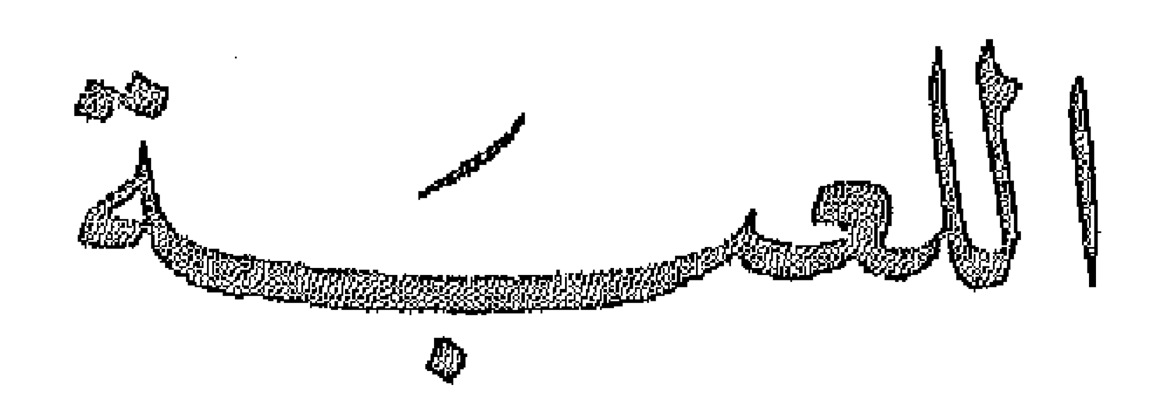
الاختيار الأفضل : هوندا اكورد

هوندا "اكورد" ـ ٤ ابواب ـ تمثل الاختيار الحكيم والاناقة الكاملة للسيارة العائلية المثلى في يومنا هذا، فهي مجموعة في مظهرها الخارجي، واسعة في داخلها، محركها فعال اقتصادي وعملي جداً. مدروسة ليكون مظهرها الخارجي عنوان الذوق والاناقة، وهي تتسع في داخلها لعائلة من خمسة اشخاص براحة كلية.

وهوندا "اكورد" مجهزة بكل وسائل الراحة المطلوبة في السيارة العصرية، لتكون مكتملة فتعطي مثالا عن أمتياز النوعية وأتقان الصنع، وصانعوها يفتخرون بها لانها موضع ثقة ويمكن الاعتماد عليها، ولا عجب ان الناس في العالم كله يقبلون على شراء هوندا "اكورد" فيكون اختيارهم حكيماً ـ فليكن أختياركم كذلك.

يختلف التجهيز في بعض البلدان

HONDA
ACCORD



اللعبة

هناك وظائف وهمية تحدثها الشركات الكبرى، فيقضي الموظف الجديد وقته باحثاً عن العمل

قال لي المسؤول في مكتب الشركة: "هل انت واثق من قدرتك على اعادة النظام الى وضع من الفوضى؟"

فارتعشت، ربما بسبب رائحة المطاط المنبعثة من مصنع أطر العجلات خلف مكتب الشركة الرئيسي، وربما لاني حاولت جاهداً ان اظهر للرجل شغفي بمعالجة اي مشكلة تواجهني. وأجبت: "اجل، انا واثق من ذلك".

فقال: "ان ادارة الشركة احدثت وظيفة جديدة هي: مراقبة المخزون من البضائع". ثم رافقني الى مستودع في احدى زوايا المصنع الضخم وقدمني الى العمال على اني المراقب الجديد.

أعطاني مدير المستودع سترة رمادية ودحرج عربة يد في اتجاهي. فسألته: "ما هذا؟"

فقال: "انها عربتك. فكيف تنقل المطاط من دونها؟"

وفترت حماستي قليلا. فاني بعدما شغلت وظيفة معاون معلم جص رجوت الله الا يريني عربة يد ثانية.

لكن المسؤول في مكتب الشركة كان انصرف عني، فهززت كتفي بلامبالاة وتبعت مدير المستودع دافعاً العربة في ممرات بدت كأنها تمتد الى اللانهاية وسط دمدمة الآلات وصفير انابيب البخار.

توقف دليلي امام ما يشبه غابة صغيرة من اللفائف المرصوفة في صف طويل وانتزع عنها غطاء القماش فبانت طبقات المطاط الاسود.

قال: "ان صناعة الاطر تتلخص في وضع قطع المطاط الواحدة فوق الاخرى. هذا كل ما تحتاج اليه من معلومات. فالقطع مختلفة الاحجام.

واذا لم تكن القطع المناسبة في المكان المناسب في الوقت المناسب فسوف تجد نفسك في ورطة. وظيفتك كمراقب المخزون هي ان تصنف قطع المطاط فتتجنب الفوضى".

ثم راجع لوحاً مشبكياً(★) وقال: "كل لفة تحمل رقماً مميزاً. امامنا هنا لفة "٢٤ب". وتفحص اللوح ثانية وقال ساخطاً: "اللفات التي تحمل هذا الرقم تستخدم لصنع عجلات الجرارات".

ودفع اللوح المشبكي الي قائلا: "تولَّ امر ذلك".

وبعدما قمت بجولة استكشافية في المصنع دفعت عربتي الى المنصة الاولى لانتزع اللفة "٢٤ب" التي ازعجت مدير المستودع، لكني لم اعثر عليها. وخلصت الى الاستنتاج ان احدهم نقلها اذ انتشر الخبر ان مراقب المخزون باشر العمل.

وكنت لمحت نظرات الاحترام في وجوه العمال وادركت ان سترتي بدت كأنها بدلة رسمية في مأدبة عشاء بالمقارنة مع ما ارتدوه هم من قمصان قطنية ناعمة وسراويل قصيرة. لا شك في انها بدت لهم اكثر من مجرد سترة. انها رمز السلطة.

ومضيت جاراً عربتي باجتهاد وتفاؤل طوال ساعتين متنقلا من كومة مطاط الى اخرى ومقارناً الارقام المطبوعة على الرقع الصفر المثبتة على اللفات بارقام اللائحة التي على اللوح. ودهشت اذ وجدت كل شيء في مكانه. وبعد عدد من الجولات حول المصنع لم يعد العمل يشكل تحدياً بالنسبة الي ولم يكن وقت الغداء حان بعد.

واذ سرت متثاقلا اتفحص كومة مطاط بعد اخرى، عثرت على لفة تحمل الرقم "٣٥س". واشارت لائحتي الى ان هذا الرقم يخص لفات قسم الشاحنات في الجانب المقابل من المصنع. لكني لم اكد اطلق صيحة النصر حتى اتى رجل ضخم الجثة يرتدي سروالا فضفاضاً ملطخاً بالسواد وهتف: "لفة ٣٥س! انها في غير مكانها!" ثم قبض على لفة المطاط ورماها في عربته وانطلق في الممر بعدما تركني نكداً صفر اليدين. وقد لبثت هكذا بقية النهار.

الشاعر الحائر - العمل في مصنع الاطر متواصل طوال اربع وعشرين ساعة. وكنت انا في فريق المناوبة النهارية الذي يباشر العمل في السادسة والنصف صباحاً. واذ زحفت خارج فراشي في سحر اليوم الثاني، وكان يوم شتاء مظلماً، عزيت نفسي قائلا ان يومي الاول كان غير اعتيادي. فلا بد من ان وجود مراقب مخزون دفع الجميع الى 'دقة غير مألوفة في العمل'، والامر سيختلف اليوم وسيكون الوضع "افضل" مما كان امس.

لكن املي خاب. فبعدما قمت بعدد من الجولات غير المجدية اتفحص كوم المطاط الانيقة الترتيب، اعتكفت في دورة المياه (المرحاض) اطالع صحيفة اليوم.

واذ كنت من الذين يلتذون بوطأة العمل فقد اعترتني كآبة عظيمة بعدما امضيت اسبوعاً وانا اطوف من دون

(★) لوح للكتابة في اعلاه مشبك لتثبيت الاوراق.

جدوى بعربتي الفارغة، فيما العمال الآخرون يقطعون ويمزجون ويلصقون ويطبخون ويقلمون. وحاولت ان انظم ابياتاً شعرية لاشغل ذهني وانا اسير مجهداً في ممرات المصنع:

"ادفع عربتي ساعة بعد ساعة
كعصافير السنونو الجائعة".

وراقني الموضوع فانصرفت مواصلا تأملاتي الفلسفية:

"كن قنوعاً بدفع العربة
ولا تنصرف عنه الى السرقة".

وتابعت في تأليف هزلي خارج على قواعد الوزن الشعري:

"ادفع العربة كالسهم امامي
والضجر يخترق عظامي".

وما ان اقبل الاسبوع الثاني حتى انصرفت الى الاحتيال. قلت في نفسي: اذا كان مكتب الشركة مصراً على وجود فوضى فسأحقق له هذه الفوضى. وبدأت اختطف لفة من المطاط واحفظ الرقم الذي عليها ثم اضعها في عربتي وانطلق في غير اتجاه معين، مغمضاً عيني لاجعل الامر اكثر صعوبة. وبعد بضع جولات ودورات القي باللفة في احدى الكوم وافر هارباً.

وبعد أن اعاين كومة او كومتين على نحو عشوائي لازيد في ارتباكي، انصرف الى التفكير: اظن ان هناك لفة في غير مكانها . يجدر بي ان اعالج هذه الفوضى.

لكنني بين حين وآخر كنت افقد لفة نقلتها . وقد اربكني ذلك، لكنه اضفى حيوية على نهاري.

اثنان ــ ذات يوم، وكنت ابحث عن لفة "٥٩ب"، نظرت لارى الرجل الضخم ذا السروال الملطخ يدفعها امامه، وهو الذي اختطف لفة "٣٥س" مني في اليوم الاول.

وناديته: "ماذا تفعل بهذه اللفة؟".

ــ اعيدها الى مكانها.

"سأتولى امر ذلك".

ــ بل انها مسؤوليتي.

"أنها مسؤوليتي انا. فانا مراقب المخزون".

ــ وانا ايضاً.

نظرنا الواحد الى الآخر بذهول ثم تبادلنا المعلومات. يبدو ان مسؤولا كبيراً في الشركة وجد ذات يوم لفة مطاط في غير مكانها. وفي الهلع الذي عقب ذلك عُين مراقبان في مكتب الشركة، كل على انفراد، لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي.

وسألت: "ما العمل الآن؟"

فهمس زميلي: نبقي الامر سراً بيننا والا اضطر احدنا الى مغادرة الشركة قبل ان يحين وقت الغداء. وأؤكد لك اني لن اترك العمل". وانطلق حاملا لفة "٥٩ ب".

وبعد دقائق التقينا ثانية. وانحرفت انا يمنة وهو يسرة، ثم، كما يحدث في الافلام السينمائية الهزلية، ظهرنا ثانية الواحد امام الآخر في الممر التالي فقفل كل منا عائداً من حيث اتى.

وما لبث هذا العنصر الجديد ان اضفى بعض المتعة على عملي اذ انهمكت في امرين: التفتيش عن لفة المطاط التي وضعت في غير مكانها وتحاشي مراقب المخزون الآخر.

واذ رحت يوماً افكر في ما اذا كنت سأنقل لفة "٢٧ ب" او لفة "٣٠ف" من مكانها، سمعت نداء من خلف كوم المطاط: "بست ... بست!"


صباح الخير!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .
PI 2960

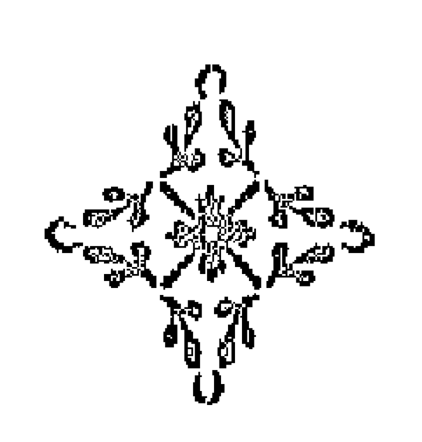
واضاف نظيري: "اسمع · ان هذه المراوغة تزعجني · دعنا نتفق في ما بيننا · عندما نبدأ في الصباح سأنطلق انا من الجهة الشمالية من المصنع وأنت من الجهة الجنوبية · وليتحاشَ كل منا لقاء صاحبه" ·

وفكرت قليلا في الامر فلم ارَ في اقتراحه ما يبشر بالتنوع الذي يستهويني في العمل · وقلت: "لدي فكرة افضل · لِمَ لا نتبادل الاتجاه كل ساعة؟ سيتفادى احدنا الآخر اذا ما انطلقت انا شمالا بعد ساعة سالكاً الممر الشرقي وانصرفت انت جنوباً سالكاً الجهة الغربية من ناحية دورة المياه، ثم نتبادل" ·

وهذا ما فعلناه · لكنه لم يكن حلا مثالياً، فالاولاد انفسهم يملون لعبة الغميضة بعد حين · وانهرت انا اولا وقدمت استقالتي ·

واحتج المسؤول في مكتب الشركة قائلا: "لا يمكنك ان تذهب!" لكني اصررت على قراري · فهز رأسه بكآبة وقال: "اعترف لك باننا لن نجد بسهولة شخصاً ينجز العمل بالدقة التي اظهرتها انت" ·

■ برايس فرايزر



الاخلاق لسان الحرية

فيما كنتُ أنتظر دوري لدخول السينما سمعتُ فتاتين مراهقتين ورائي تتكلمان · وكانت كلّ كلمة من بين ثلاث كلمات أو أربع غير لائقة، على رغم أنّ الحديث لا يستدعي ذلك · ولم يظهر من لهجة الفتاتين أنهما مغتاظتان أو منفعلتان بل كان حديثهما عادياً جداً · الا أنهما لم تكترثا للآخرين في الصفّ ولم يتبادر اليهما أنّ العبارات غير اللائقة تخدش آذان بعض الناس · وربما كانتا على حقّ · فهذا النوع من الكلام الذي كان ذات يوم وقفاً على عديمي الاخلاق بات اليوم منتشراً على أوسع نطاق ·

غير ان سماع الكلمات غير اللائقة يخجلني، ليس بدافع من التعالي الخُلقيّ بل لأنّ هذه اللغة يجب ألا تُنْقل من السرّ الى العلَن لانها اذ ذاك تشكل خرقاً للخصوصية · وهناك أشخاص يعدون سماع هذا الكلام اعتداء على حرماتهم وانتهاكاً لمشاعرهم ·

اما الذين لا يقرون هذا الرأي فحجتهم أنّ العبارات غير اللائقة "كلام في كلام" · لكن الكلمات وسيلة لنقل الرسائل بين الناس · والذي يختار نقل مثل هذه العبارات الى الآخرين ينتهك قواعد السلوك الاجتماعي ·

والمؤسف انّ هذا النوع من الكلام وجد طريقه الى الناس عبر بعض وسائل الاتصال · ويدافع بعضهم عن هذه الممارسات باسم "الحرية" · ولكن حرية من هي هذه؟ واذا غدت البذاءة جزءاً من لغة المجتمع الى حدّ تعذر علينا اجتنابها فمن هو الحرّ عندئذ ومن هو المستعبد؟

ب ·غ ·



الفلفل نار باردة

لقد كان إنساناً شجاعاً حقاً أول من أكل الفلفل الشيلي اللاذع، ولكن أكثر منه شجاعة من تلاه في أكله. ان هذه القرون اللاذعة أحدثت ثورة طهوية في مطابخ العالم. ولكن لماذا لم تحدث هذه الثورة قبل اليوم؟ ألم يُعْرف الفلفل منذ القِدَم؟

الجواب نعم وكلا! فالفلفل، الذي يراوح عدد أصنافه بين ٣٠٠ و٧٠٠٠ (تتضارب آراء الذواقين حول العدد) نشأ في الامريكتين، الشمالية والجنوبية، كما كان قواماً رئيسياً للطعام في امريكا الوسطى والمكسيك قبل أن تطأ قدما كريستوف كولمبوس أرض القارة الجديدة.

وخرج الفلفل للمرة الاولى من العالم الجديد بفضل المستكشفين الاسبان الذين راق تجار الأفاويه بينهم أن تكون في حوزتهم مادة حادة الطعم. وهكذا عبر الفلفل المجفف وبذاره المحيط الهادىء في القرن الخامس عشر، وما لبث أن نما وازدهر في جنوب شرق القارة الآسيوية وتشيلي والهند واندونيسيا وباكستان، وأصبح في هذه البلدان جميعاً عنصراً رئيسياً في الطعام. ومن آسيا انتقل الفلفل الى افريقيا واوروبا، بنوعيه الحلو والقارص.

وانتشرت أصنافه في عدد كبير من مدن الارض ومطابخها. ومعظم ما يُؤكل منه اليوم ينتمي الى أصل وفرع واحد هو "كابسيكوم آنيووم". ويجب عدم الخلط بين هذا الفلفل وفلفل الطعام الأسود الذي يستعمل إجمالا مع اللحم في شكل مسحوق. وتختلف أصناف الفلفل حجماً، إذ تراوح بين القرون الصغيرة كحبة فستق، التي يقضمها المكسيكيون بجرأة والقرون

Condensed from Texas Monthly (May'80) by Mediatex Communications Corp., Austin, Texas. Photo: Rick Patrick.

الكبيرة التي تُحتَفظ معلَّبَة. كما تختلف طعماً بين حلو وقارص. لكن التجربة بينت أن أصغرها حجماً ألذعها طعماً.

ما الذي يعطي الفلفل طعمه اللاذع؟

انه مادة كيميائية اسمها "كابسايوسين"، وهي على هيئة بلورات يتجمع معظمها في ضلوع الثمرة وبذورها. ويظن عدد كبير من الناس أن الفلفل الاخضر ألذع من الأحمر. والحق أن معدل المادة الكيميائية المذكورة يبقى كما هو بعد نضج الثمرة الذي قد يتم وهي خضراء بعد. وكمية سكر الفركتوز في الفلفل الأخضر أقل منها في الاحمر، لذلك لا يخالط حره شيء من الحلاوة. والواقع أن الحّر هو هو في الفلفل الأخضر والاحمر كليهما.

وأيا يكن لون الفلفل، فإن له قدرة هائلة على اثارة حواسك اذا سقطت عصارة من مادة الكابسايوسين على جلدك أو في عينيك. لذلك ينبغي غسل اليدين بالماء والصابون فور وضع الفلفل اللاذع جانباً.

إن كل مادة تتفاعل مع جسمك بعنف كما يفعل الكابسايوسين لا بد من أن يكون أثرها بيناً، سلبياً أو ايجابياً. ومن حسن الحظ أن أثر المادة التي ينطوي عليها الفلفل إيجابي. أما اذا كنت عرضة لأمراض المعدة، فالأفضل أن تتناول طعاماً نشوياً أو كوباً من الحليب بعد الوقعة المفلفلة مباشرة. ومن المفارقات أن الفلفل اللاذع يبرّد جسمك في الطقس الحار عبر حفزه الدورة الدموية واستدراره العرق، وذلك لاحتوائه على نوعين من الفيتامين هما "أ" و"ج".

والفلفل، أساساً، يحتاج الى نوع واحد من المناخ ينمو فيه حسناً، وهو المتميز بنهاره الاستوائي الحار وليله البارد. من هنا نجد اثيوبيا والهند واليابان وكينيا والمكسيك ونيجيريا وباكستان وتانزانيا في عداد البلدان المنتجة للفلفل.

واذا كنت تشتري الفلفل الطازج، فيجدر بك أن تتفحص معدل بلوغه بالنظر الى أطرافه التي ارتفعت قليلا. وأفضل نوع من الفلفل الأخضر اللاذع هو القاتم الخضرة الذي عُقف طرفه. ولكن ينبغي أن تتأكد من أن العنق لم يصبح أسود ومن أن العفونة والجفاف لم يضربا الثمرة.

وعلى رغم أن الفلفل الأخضر ينمو في مواسم معينة، إلا أنه يمكن تجفيفه وتعليبه وتعبئته على هيئة مسحوق أحمر. وهذا يعني أن في امكاننا الحصول على الفلفل لاذعاً في أي فصل من فصول السنة!

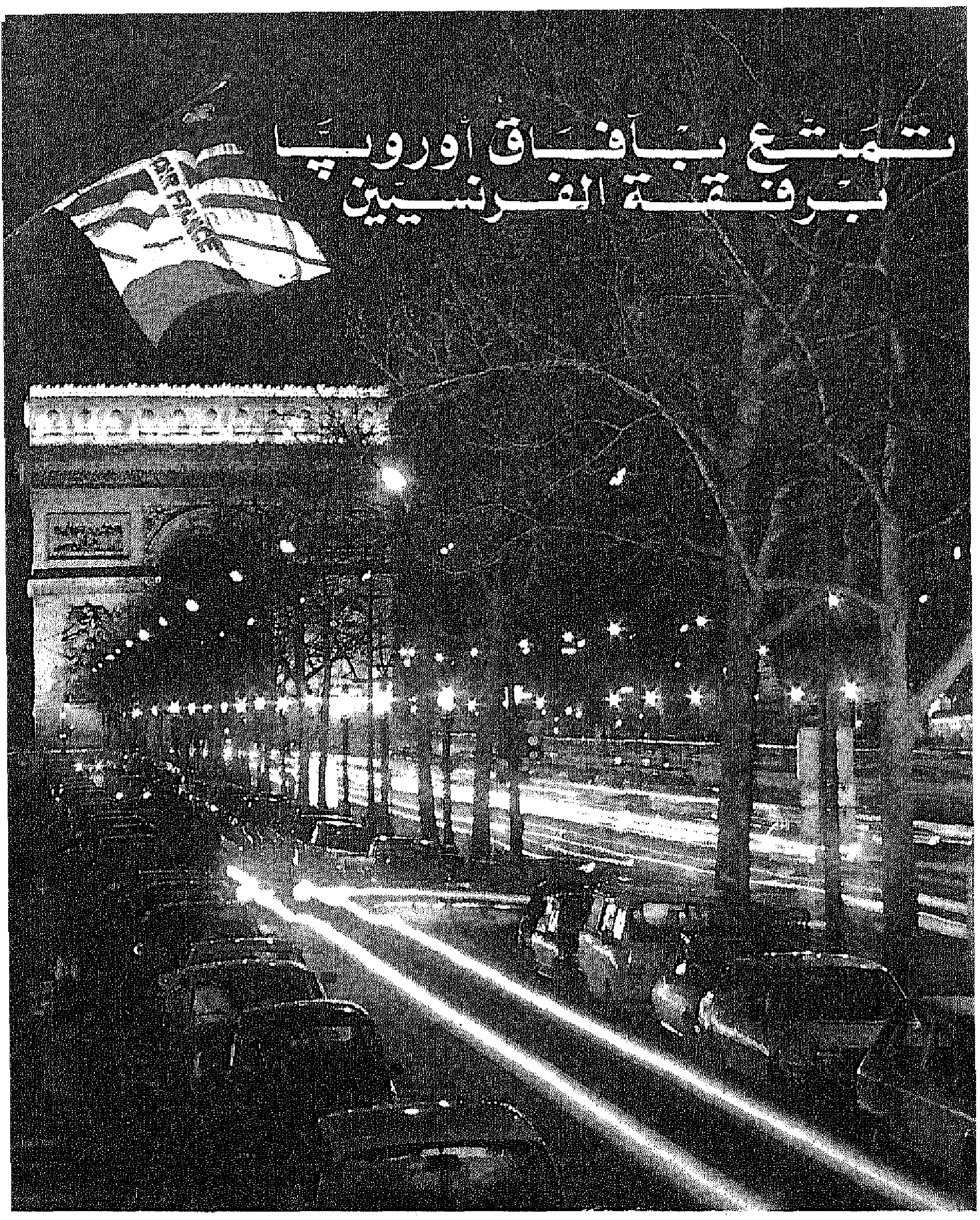
■ إد وورد



لذة الصيّد

كثير من الذين لا يعرفون شيئاً عن الرياضة خارج المنزل يظنون أن صيد الطير أو السمك لا يعني سوى قتلهما. والحق أن ثلاثة في المئة فقط من عملية الصيد تتعلق بالصيد مباشرة. أما البقية، وهي ٩٧ في المئة، فهي الاستعداد للصيد.

ف.١٠س.


تمتع بآفاق أوروبا
برفقة الفرنسيين
AIR FRANCE

قطار الحياة

عالمنا يسير بقوة خفية
ونحن في الزمن الجيولوجي
ما زلنا نحبو
في مرحلة بدائية
من طفولتنا.

من وجهة نظر معينة الى الطبيعة نستنتج من الحقائق العلمية التي اكتسبناها حتى الآن اننا هنا نتيجة توافق اعتباطي لسلسلة من الاحداث العفوية، وأننا واقعون في شرك عالم واسع لا مركز له ولا مغزى، ولا تترتب علينا اية مسؤوليات سوى تجاه ذواتنا كأفراد.

غير ان عقيدتي تختلف عن هذا. فأنا مقتنع بأننا لم نصل بعد الى نهاية المعرفة، بل ما زلنا على حافتها فنحن بالنسبة الى الزمن الجيولوجي نحبو في مرحلة بدائية من طفولتنا بين العناصر الاخرى على سطح هذه الارض، ونتلمس طريقنا بعقولنا النامية واناملنا الغضة ونتعلم كيف نتخاطب في بداية عهد نوعنا.

الارض نفسها، اذا نظرنا اليها من خلال الزمن الجيولوجي، هي في تطور مستمر مثل جنين عملاق. انها، على رغم حجمها المذهل واختلاف اشكال الحياة عليها، مجرد جهاز حي كل نسيج فيه يعتمد في وجوده على الانسجة الأخرى. او اذا شئت تعبيراً اكثر بساطة وأقل اثارة فهي كائن حي. اننا نعرف الكثير عن التطور الفردي للانواع، ولكن لم يبرز حتى الآن اي داروين (١) ليحتسب النمو المنتظم والتباين في هذا الكائن المذهل الذي هو الارض.

نصيبنا من هذا النظام لا يمكن سبر غوره لأننا، بعد عصور يسيرة من زمن العلم، لم نعرف ما فيه الكفاية او ربما ضللنا السبيل. مع ذلك، وعلى رغم ضياعنا، فما زالت لنا بعض الأهمية هنا. فما نفعله بأنفسنا وبأنواع الحياة الاخرى له شأن خطير.

هذا لا يعني أننا في موقع السيطرة بالمعنى الذي يعتبره معظمنا واقعاً مفروغاً منه. فعلينا مسؤوليات وان نكن لا نعرف بالتحديد كنهها. وعلى اي حال فلسنا نحن من يسير هذا العالم، انه يسير نفسه وما نحن سوى جزء من هذه المسيرة.

في هذا القرن، وللمرة الاولى في تاريخنا، خالجنا شك في أننا قد نكون متجهين ببنية هذا العالم كلها نحو جدار صلد. بدأنا نشعر بقلق أن اشكالا اخرى من الحياة لها ايضاً بعض الاهمية وأنها ذات مغزى ولا

---

(١) عالم طبيعة عاش في القرن التاسع عشر ووضع نظرية التطور عبر الاختيار الطبيعي.

نقوى على الاستمرار من دونها ٠ نحن اعضاء في هيئة ضخمة ومن الممكن دحرنا حين يطرح الامر على الاقتراع، حتى أننا معرضون في وجودنا ٠ نحن نملك، بلا ريب، خصائص مميزة وفريدة، لكن الاجزاء الاخرى من النسيج المترابط في هذا الكائن الجنيني تملك خصائصها الفريدة كذلك ٠ وتضمنا الارض كلنا فتتماسك انسجتها ٠

يسيطر هذا النظام بالتداخل الحياتي، بالتبادل والتعاون بين الاجزاء، وبعبارة اخرى بالتكافل الحيوي ٠ وتتكيف المخلوقات بعضها مع بعض ويفسح بعضها في المجال لسواه وتعيش كلها وفقاً لقواعد وأصول محددة ٠ التكافل هو المذهب الاساسي الذي يجعل النظام كله قابلا للحياة وفي غيابه لا بقاء لهذا العالم ٠

اعجب اشكال التكافل نجده لدى الحبيبات الخيطية (٢) تلك الجسيمات الصغيرة الكامنة في خلايانا وتتحدر مباشرة من الجراثيم البدائية التي تستمد القوة من الشمس وتستخدمها في مساعدتنا جميعاً ٠ ولكل من اشكال الحياة دور يؤديه ليغذي اشكال الحياة الأخرى ٠ وهناك نوع من المسؤولية المتبادلة يشد الاجزاء معاً متجاوزاً جائحة بعد اخرى ليخرج في كل مرة اكثر بهاء وقوة ٠

يبدو لي مما سبق ان المنفعة هي الحافز الكلي للمادة الحية ٠ وهذه الميزة المحببة تجعل من الممكن قيام نظام بيئي مغلق على غرار ما هو قائم على سطح كوكبنا ٠ لذلك يبدو لي ايضاً ـ ليس اعتماداً على العلم بل على مدى عمر من التأمل في الجماعة الانسانية ـ ان لدى معظم الناس رغبة غريزية لا ترتوي، محفّزة بيولوجياً، في ان يكونوا نافعين ٠ فنحن، فوق كل شيء، كائنات اجتماعية، بمعنى اننا لا نقوى على العيش حياة انفراد مطلقة من دون ان نفقد صفتنا الانسانية ٠ اننا نملك الجينات (٣) التي تحفزنا على التماسك والتداخل الحياتي ٠

ونحن لم نكتسب بعد مهارة التعبير عن جدوانا كما تفعل معظم الانواع الأخرى ٠ لكن هذه المهارة خِلْقَة في ذواتنا وسوف تظهر كأقسى امتحان لاثبات أهليتنا للبقاء ٠ هذا الحافز على المنفعة أهم من الميل العدواني، وهو على المدى الطويل اعمق من الحافز على الأكل والشرب وتعميم النسل ٠

ان الضمان الاكيد للسعادة هو النجاح في ارضاء هذا الحافز، اما الخيبة في ذلك فعاقبتها التعاسة المطلقة ٠ ولسنا مميزين ابداً لأننا خلقنا هكذا ٠٠٠ فهكذا يسير العالم ٠

■ لويس توماس

(٢) Mitochondria

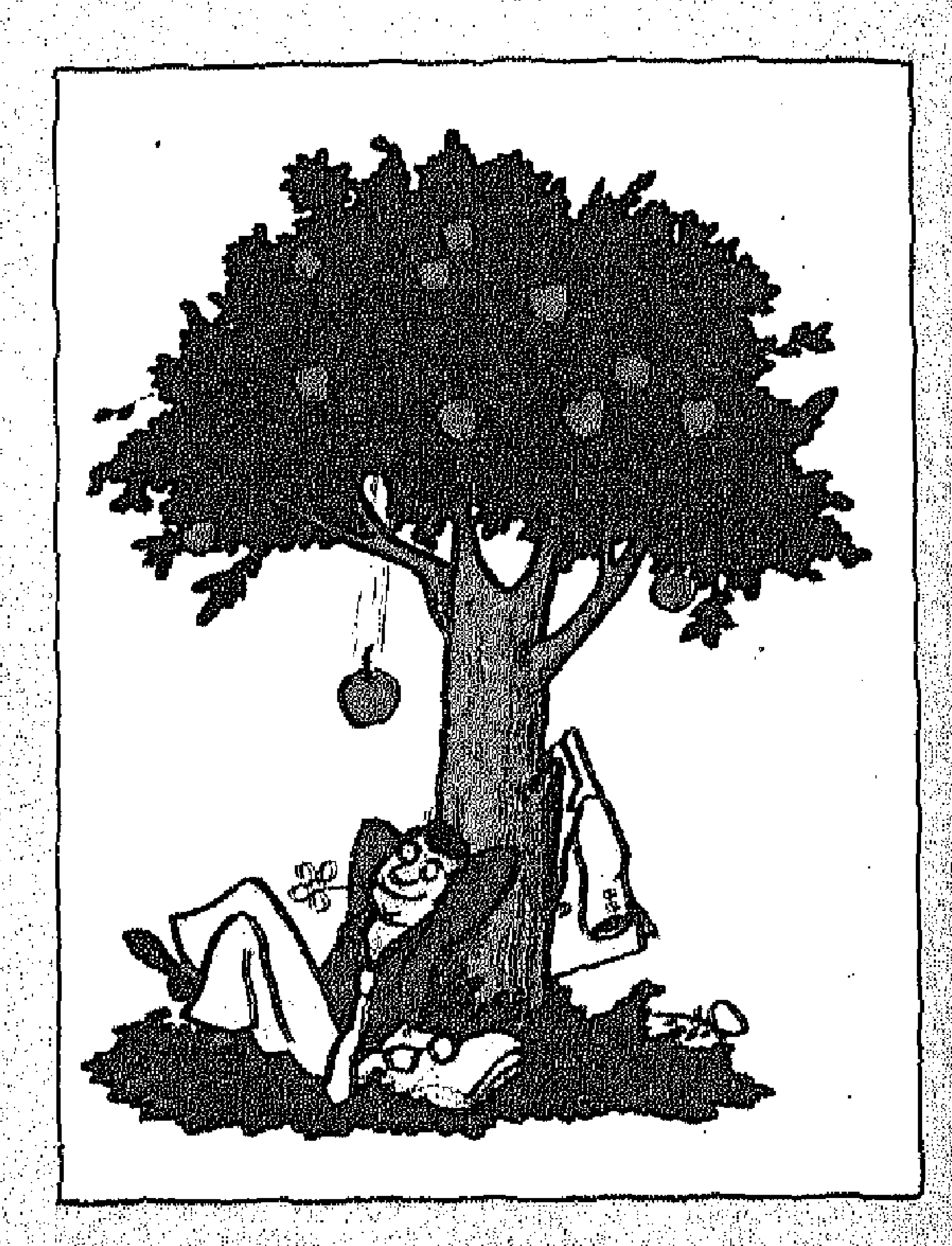
(٣) الجينات هي اجزاء الخلية التي تحمل الخصائص الوراثية ٠

الماضي والمستقبل

وحده الحاضر هو الزمن المهم ٠ وما الماضي والمستقبل سوى تعاقُب الحاضر، لكننا نعطيهما أهمية أكبر مما لهما لان أحدهما ولى والآخر لم يأت بعد ٠

و٠ل٠

تأمُّلاتٌ معاصِرة



العرق البشري

يعجبني الشخص الذي، كلما كان عليه ان يملأ طلباً يحوي سؤالا عن العرق، كتب أمامه: "كائن بشري".

بول تابوري

من علمني حرفاً...

كان الممثل الشهير سيدني بواتييه يافعاً حين انتقل من جزر البهاما الى الولايات المتحدة وبدأ يعمل غاسلاً للصحون في أحد مطاعم بلدة استوريا (ولاية نيويورك). وفي سيرته "هذه الحياة"، يقول بواتييه ان عمله اليومي الأخير في المطعم كان غَسْلَ الصحون التي يستعملها الخدم لعشائهم في الحادية عشرة ليلاً. وفيما كان هؤلاء يتناولون الطعام، كان هو يجلس قرب باب المطبخ ويقرأ بعناية في صحيفة من أجل تنشيط معرفته الابتدائية بالقراءة.

وفي احدى الليالي سأل خادماً متقدماً في السن عن معنى كلمة. فأجابه الخادم بسؤال: "وهل تصادف كلمات كثيرة لا تفهمها؟" فقال بواتييه: "أجل. فأنا حديث العهد بالقراءة". ومنذ ذلك الحين راح النادل يعطيه دروساً ليلية في القراءة.

ويقول بواتييه في مذكراته: "كان ذلك المعلم الرقيق الكلام يجلس معي ليلة بعد اخرى، بنظارتيه الكثيفتين وأهدابه الكثة وشعره الأبيض الفضي، ويهبني قطعة صغيرة من قلبه. ولا أدري ان كان حياً أو ميتاً الآن، لكن بعضاً منه لا يزال حاضراً في كل عمل أفعله".

سيدني بواتييه، كتاب "هذه الحياة"

المعرفة

ذهب شاب الى سقراط وقال له: "أود الحصول على المعرفة".

- كم هي حاجتك اليها؟

"ينبغي ان أحصل عليها".

وأخذه سقراط الى الشاطىء، وهناك أنزله الى البحر ووضع رأسه تحت الماء وبقي ممسكاً به، ثم رفعه من الماء وسأله: "ما الذي كنت تحتاج اليه أكثر من سواه؟"

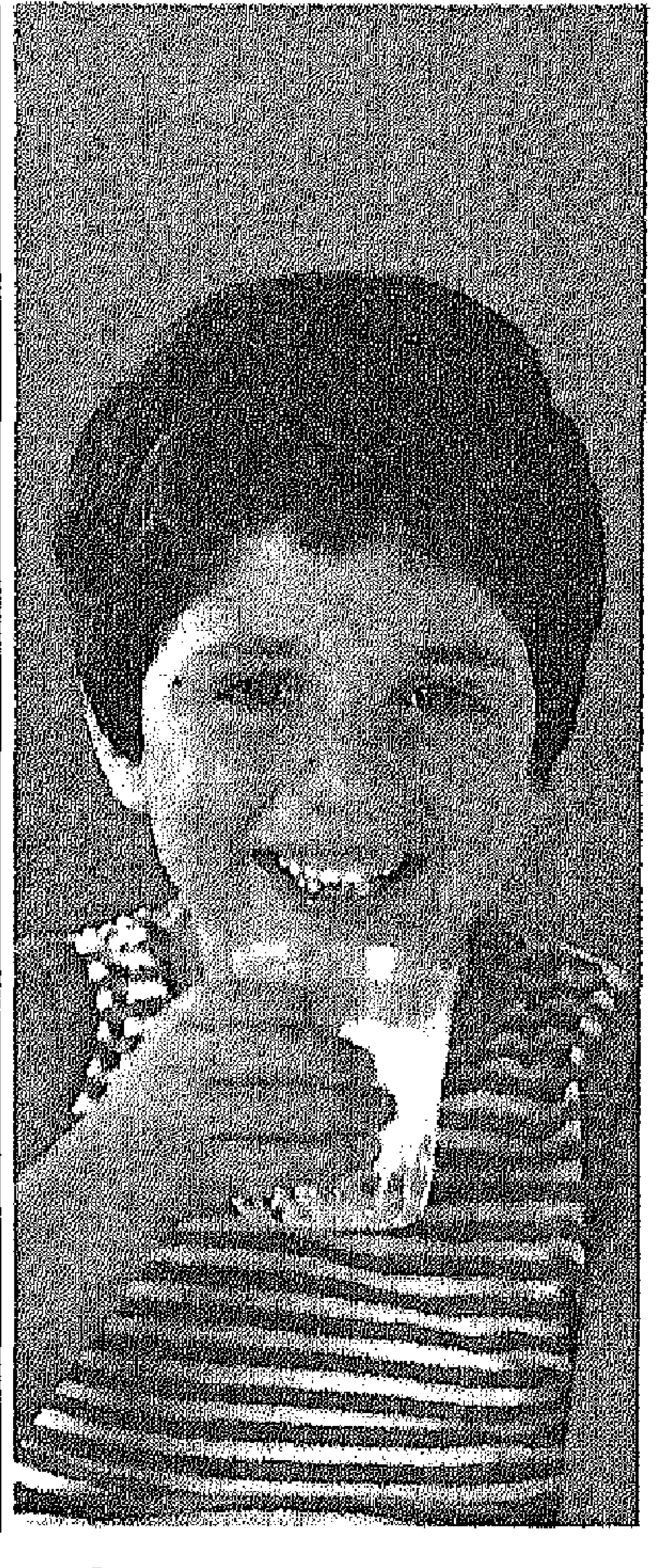
- الهواء. لقد كانت حاجتي ملحة الى الهواء.

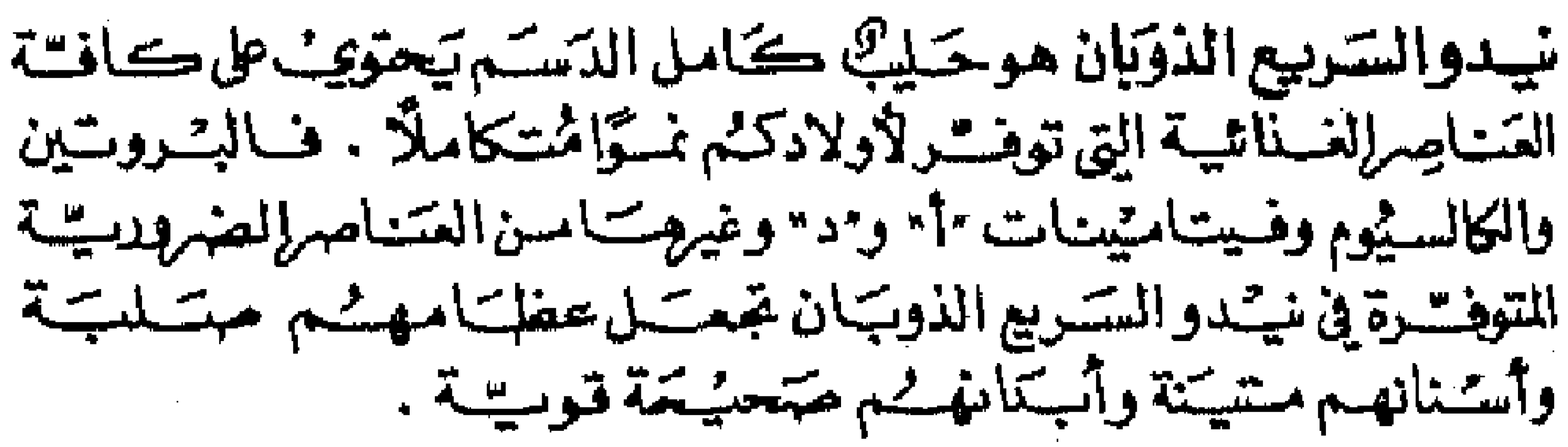
"عندما تصبح حاجتك الى المعرفة كحاجتك الى الهواء تحت الماء، فانك ستنالها".

ن.هـ، صحيفة "كريستشان سانيس مونيتور"

أمّنوا لأولادِكُم نُموًّا صحيحًا







نيدو السّريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدّسم يحتوي على كافّة العناصر الغذائية التي توفّر لأولادكم نموًّا متكاملاً . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضروريّة المتوفّرة في نيدو السّريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قويّة .

نيدو السّريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدّة تحليلاتٍ مخبريّة دقيقة ليُصبح خاليًا من كل شائبة .

نيدو السّريع الذوبان طعمه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبّه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار .

نيدو السّريع الذوبان

ليَنمو اولادكم ويَنعموا بالعافية

Nestlé. تقدمه نستله

INSTANT
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
حليب مجفف كامل الدسم
Full cream powdered milk

عودة الكوليرا

من آسيا وافريقيا الى اوروبا وامريكا واوستراليا
تتفشى الكوليرا لتقضي على الملايين.
وقد سجلت حديثاً اصابات في خمسين بلداً
بينها اقطار عربية

اوائل شهر يوليو (تموز) ١٩٨١ نقل قرابة ٩٠٠ شخص في الاردن الى المستشفيات مصابين بعوارض اسهال وتقيؤ حادة. وتبين في ما بعد ان ٤٥٠ من هؤلاء مصابون بداء الكوليرا. وبعد ايام ظهرت اصابات مماثلة في البحرين وسوريا والكويت والضفة الغربية وغزة.

وكان وباء الكوليرا قضى على الملايين، عبر القرون، وهو اشد فتكاً من الطاعون الدملي. انه مألوف في اندونيسيا، لكنه زائر غير عادي في الشرق الاوسط واوستراليا وحتى الولايات المتحدة. ففي خريف العام الماضي اصيبت سوزان طومسون (٤٦ سنة)، المقيمة في فلوريدا، بزحار حاد مصحوب بتقيؤ وتشنج معوي. وافترض الاطباء في البداية انها حال تسمم، وعولجت سوزان على هذا الاساس. لكن هذه الاعراض استمرت ثلاثة ايام اخرى مما اقلق الاطباء.

وفي وقت سابق من السنة ذاتها، في كوينزلاند (اوستراليا)، أصيب الطفل روبرت بيرسون، وعمره سنتان ونصف سنة، باسهال حاد مفاجىء، ففارت عيناه وازرقت شفتاه وتقبضت بشرته، فإذا هو يعاني الكوليرا.

وفي حقول الرز في اندونيسيا

توقف بانشانغ فيناردي (٢٥ سنة) عن العمل اذ أحس باضطراب في معدته وبرودة في يديه وقدميه على رغم حرارة الشمس القوية . وأدرك الشاب ضرورة الاسراع الى اقرب مركز طبي ما دام قادراً على ذلك، اذ خطر له انه ربما اصيب بذلك المرض الذي يقتل العديد من مواطنيه سنوياً.

وخلال العشرين السنة الماضية غزت الكوليرا العالم ثانية في شكل وباء انتشر في مناطق جديدة. واليوم يعيش اكثر من نصف سكان العالم في مناطق موبوءة، خصوصاً في افريقيا وآسيا واوروبا.

والكوليرا باختصار هي أسوأ اسهال عرفه العالم وكادت معالجته (حتى الخمسينات من هذا القرن) ان تكون مستحيلة. وينجم داء الكوليرا عن جرثومة شولية (لها شكل الفاصلة) تنتشر بواسطة الماء والطعام الملوثين. ودور حضانة الجرثومة(١) قصير يراوح بين يوم واحد وثلاثة أيام. وهكذا فالكوليرا تضرب كالصاعقة محدثة خراباً سريعاً.

هجرة الكوليرا — ما ان تدخل الجرثومة الجسم (الانسان مضيفها الوحيد) وتبلغ الامعاء الدقيقة حتى تأخذ في التكاثر. وفي عملية التكاثر هذه تطلق مادة سامة تحفز الامعاء على افراز مفرط للسوائل فيفقد الجسم جزءاً كبيراً من الماء والاملاح الاساسية والقلويات بالسرعة التي يفرغ بها الخزان الملآن بعد ازالة سدادته. ويكون هذا الاسهال صافياً عديم الرائحة ومكوناً في معظمه من الماء والملح. وهو يؤدي الى اصابة الضحية بالنكاز (الجفاف) وتكثف الدم.

وفي الحالات الشديدة فان كل ساعة من الاسهال الذي يصاحبه التقيؤ غالباً، تعادل من حيث فقدان الجسم الماء يوماً كاملا تحت أشعة الشمس الصحراوية الحارقة. ولا يفيد شرب السوائل العادية في معالجة الاسهال، وذلك لاضطراب وظيفة الامعاء في امتصاصها. وقد تحدث الوفاة بعد ساعات من ابتداء المرض، وفي اسوأ الظروف يقضي نحو ٧٥ في المئة من المصابين. ويقول الدكتور وليم غرينوف المسؤول عن المركز الدولي لابحاث الاسهال في دكا عاصمة بنغلادش: "انه اسرع الامراض المعدية اضعافاً للجسد".

وتضرب الكوليرا مناطق غير متوقعة. انها تفضل المناطق القذرة والحارة والرطبة والممطرة، موطنها السهول القائمة على ضفاف الانهر في البنغال في شبه القارة الهندية. ولكن حدث أن غزت أيضاً مناطق قريبة من القطب الشمالي. وهي تفضل الساحل المكتظ بالسكان، لكنها قد تتجاوزه الى المناطق الصحراوية الداخلية.

خلال القرن التاسع عشر، ومع تقدم التجارة العالمية وازدياد نسبة السفر، غادرت الكوليرا موطنها الاصلي لتغزو المرافىء الاوروبية المهمة في شكل ست موجات متلاحقة. ففي سنة واحدة توفي ٥٣،٠٠٠ شخص في بريطانيا و١١٥،٠٠٠ في المانيا و١٣٠،٠٠٠ في ايطاليا. وبين العامين ١٨٩٣ و١٨٩٤ اصيب ٨٠٠،٠٠٠ في روسيا وحدها. ولم يوقف المحيط

(١) الفترة بين الاصابة بالمرض وظهور اعراضه.

الاطلسي مد الكوليرا. ففي العام ١٨٣٢ انتقل الوباء في السفن المهاجرة واجتاح الولايات المتحدة حيث قضى على ١٥٠،٠٠٠ شخص في العقود اللاحقة.

المسافر الفتاك - بقيت طريقة انتشار المرض امراً غامضاً حتى العام ١٨٥٤ حين تفشى وباء في مدينة لندن. في تلك الايام كان الماء يُضَخّ باليد من الآبار في الساحات العامة. ولاحظ الدكتور جون سنو الاختصاصي بالتخدير مصادفة غريبة. فخلال عشرة أيام توفي اكثر من ٥٠٠ شخص كانوا يقيمون على بعد ٢٣٠ متراً من احدى مضخات الماء في شارع برود قرب ساحة بيكاديلي، وكانت نسبة هؤلاء تفوق مثيلاتها في الاحياء المجاورة.

بدا الماء المرفوع بالمضخة صافياً للعيان، ولم يكن المجهر آنئذ مطوراً بما فيه الكفاية ليكبر الجراثيم الصغيرة. لكن الدليل الظرفي الذي حصل عليه سنو كان كافياً: يجب منع الناس من استعمال ذلك الماء. فأطلق نداءه الملح: "أزيلوا مقبض مضخة شارع برود". وعلى رغم ارتياب السلطات في جدوى ذلك فانها عملت بنصيحته. فتوقفت اصابات الكوليرا.

وقد بين فحص لاحق للبئر وجود مجرى على بعد امتار تتسرب منه المياه القذرة الى البئر. وهكذا امكن التوصل الى المعادلة الآتية: الماء القذر ينقل الكوليرا.

بدأت الامور في التحسن بعد استنتاج سنو، واصبحت دراسة الكوليرا "ألفباء الصحة العامة".

واتجهت الانظار الى البحث عن طرق أفضل لضمان النظافة وسلامة الماء.

وفي العام ١٨٨٣ نجح عالم الجراثيم الالماني روبرت كوخ في عزل جرثومة المرض التي سميت "شولة الكوليرا"(٢). وفيما واصلت الكوليرا الفتك بسكان آسيا (نحو ١٥ مليون وفاة في العقود الستة الاولى من هذا القرن) فقد طواها النسيان في مناطق اخرى.

ولكن في الستينات من هذا القرن ظهرت الكوليرا مرة اخرى. ويقول الدكتور غرينوف: "لا احد يعلم سبب ذلك. فالكوليرا تنتشر كما كانت تفعل في العصور الوسطى. واضاف السفر السريع عاملا جديداً في نقلها. فالناس الذين يحملون المرض، من دون ان تبدو عليهم اعراضه، ينقلونه الى ارض بعيدة.

ومما زاد المشكلة حدة عدم توافر لقاح فعال ضدها. وفي العام ١٩٦٩ الغت منظمة الصحة العالمية التلقيح الاجباري ضد الكوليرا. ويقول الدكتور مايكل ميرسون رئيس برنامج السيطرة على أمراض الاسهال التابع للمنظمة العالمية في جنيف: "اللقاح فعال بنسبة ٥٠ في المئة، وتدوم فعاليته مدة ستة اشهر فقط. وبما ان اللقاح يتطلب بين ٨ و١٠ أيام ليحقق المناعة، فلا فائدة منه عند انتشار الوباء".

العلاج - هكذا عادت الكوليرا الى الانتشار بدءاً من اندونيسيا لتشمل مساحات اكبر من آسيا. فوصلت الى ايران ومنطقة الشرق الاوسط وعبرت

(٢) Vibrio Cholerae

مضيق البوسفور في تركيا عام ١٩٧٠. وفي العام ذاته تسربت الى افريقيا حيث هاجمت نحو ١٢،٠٠٠ قروي توفي منهم ٦٤٣.

ومن افريقيا امتدت ثورة الكوليرا لتشمل المحيطات والقارات. لكنها، لاسباب مجهولة، لم تصل الى امريكا اللاتينية. وفي اواخر العام ١٩٨٠ بلغ عدد الدول التي حدثت فيها اصابات ٨٠، وسجل في تلك السنة نحو ٣٧،٠٠٠ اصابة.

ويقول الدكتور ميرسون: "قد لا يُعرف الحجم الحقيقي لهذا الوباء. فغالباً ما يجهل ان الاصابة هي كوليرا او لا يبلغ عنها اطلاقا. كما ان بعض الدول يمتنع عن التصريح بوقوع اصابات خوفاً من كارثة اقتصادية وتجارية وسياسية". حتى ان مواطناً في احدى الدول الافريقية سجن بسبب "اهانة" وطنه بعدما صرح لصحافي باصابته بالكوليرا. وبسبب عدم الاستعداد لمواجهة هذا الوباء قضى المئات من مواطنيه. والجانب المأسوي في هذه المسألة انه يمكن التغلب على المرض، اذا عولج المصاب به في الوقت المناسب.

لقد حقق بعض الاطباء في آسيا وامريكا واوروبا تقدماً في معالجة الكوليرا خلال العشرين السنة الماضية. فهم علموا ان الكوليرا تدوم فترة قصيرة، لكنها شديدة الفتك. فهي تزول تلقائياً خلال فترة لا تتجاوز الاسبوع، شرط الابقاء على المصاب حياً طوال هذه الفترة.

وادرك الباحثون اهمية استعادة الجسم ما خسره من ماء وأملاح خلال المرض اما عن طريق الوريد (مصل) واما عن طريق الفم (شراب مضاد للجفاف) وتختلف كمية السوائل الضرورية بين شخص وآخر، فقد استهلك فيليبيني ٦٣ ليتراً قبل زوال المرض. لكن النتيجة جاءت كالمعجزة. وبين عشرات الالوف من المصابين الذين عولجوا بهذه الطريقة كانت نسبة الوفاة ١ في المئة.

ففي العام ١٩٧١، ابان الحرب الهندية - الباكستانية، أنقذ الاطباء حياة الوف المصابين بالكوليرا في مخيمات اللاجئين خارج كالكوتا، وذلك بفضل علاج يعطى عن طريق الفم تم تركيبه عام ١٩٦٨ في مختبر أبحاث الكوليرا في دكا وفي مستشفى الامراض المعدية في كالكوتا (٣).

ويحتوي هذا الشراب على مزيج من الماء والاملاح وسكر الغلوكوز بنسبة معينة تتيح التغلب على تعطل الامعاء بسبب الاسهال. وتكمن اهمية هذا الشراب في مادة الغلوكوز، وهي سكر مبسط تمتصه الامعاء بسهولة ومعه الاملاح والماء الضروريان.

وباء الخوف - على رغم التقدم العلمي تبقى كلمة "كوليرا" شبحاً مخيفاً يعود بالناس الى العصور الوسطى. وما حدث في نابولي (ايطاليا) صيف ١٩٧٣ جسد هذا الرعب. فقد دخلت الكوليرا المدينة عن طريق حاملي المرض او عن طريق طعام ملوث، وعرفت طريقها الى مجاري المدينة التي تصب في الخليج. وحلت الجراثيم بأصداف "بلح

(٣) يتحدث خبراء منظمة الصحة العالمية عن ابحاث مهمة في الكوليرا تجرى في مصر ولبنان والكويت والعراق وايران

البحر" التي تعيش بين الاوحال، فكانت قنابل موقوتة تنتظر ان يستهلكها مواطنو نابولي الذين يأكلون الرخويات البحرية نيئة. وضربت الكوليرا المدينة، ومعها حلت الفوضى.

وتذكر الجميع وباء ايطاليا عام ١٨٨٤ عندما توفي ٧٠٠٠ شخص فينابولي وحدها. وخافوا ان يكون هذا الوباء اسوأ من سالفه اذ كانوا يجهلون طرق المعالجة الحديثة. وهرب من المدينة نحو ١٠،٠٠٠ سائح وخلت الشوارع من المارة والسيارات. ونظمت السلطات فرقاً لرش الطرق بالمطهرات، وهي خطوة غير فعالة لانها بثت في الاذهان صورة الوباء الذي انتشر في القرون الوسطى. وعندما عرف أصل البلاء جمعت الرخويات وافرغت بعيداً في البحر.

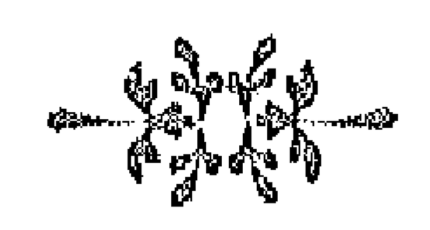
وفي تلك الاثناء طالب اهالي نابولي بلقاح ضد الكوليرا. وامنت السلطات ١،٣ مليون جرعة لتهدئة "وباء الخوف". الا ان حملة التلقيح تأخرت بسبب هلع الناس وحدوث بعض التظاهرات، ولم يخمد الرعب الا بعد مضي اسبوع هستيري وتلقيح نحو مليون شخص.

وزال الوباء بعد شهر ونصف شهر، ففرح سكان نابولي وهللوا للعلاجات التي لجأوا اليها لصد المرض والتي ركبوها من الجعة والخل والليمون. لكن الاضرار الناجمة عن الوباء كانت بالغة. فقدرت الخسائر بـ١٠٠ مليون دولار بسبب تراجع السياحة والتعطل عن العمل. كما كانت الخسارة البشرية كبيرة من دون مبرر، اذ كان من الممكن اللجوء الى طرق العلاج الحديثة. فقد أصيب ١٢٧ شخصاً توفي منهم ١٢، معظمهم في الايام الاولى للمرض، في الوقت الذي كانت المستشفيات لا تزال تستعد لاستقبال المرضى.

وأهم من وباء نابولي كانت الضربة الفجائية التي اصابت الاردن في يوليو (تموز) ١٩٨١. ومع ان عدد الوفيات كان محدوداً (٤ اشخاص) فان القلق استبد بالدول المجاورة.

وخلاصة لذلك يقول الدكتور ميرسون: "لم تعد الكوليرا سبباً للخوف، اذ تمكن معالجتها بفعالية. لكن تفشي الداء في منطقة الشرق الاوسط اخيراً اثبتت لنا انه لا يمكننا الاكتفاء بما انجزناه".

■ اميل واولا دولير



وطن الفقراء... فوق؟

العشرون من يوليو (تموز) ١٩٦٩، يوم وطىء الانسان سطح القمر للمرة الاولى، كان يوماً مشهوداً في بيت الام تريزا للفقراء في بلدة كلكوتا الهندية. ووجهت احدى الراهبات السؤال الآتي الى الام تريزا: "أتظنين أنك ستصلين يوماً الى القمر؟" فأجابت: "اذا كان في ذلك المكان فقراء ومحرومون، فسأذهب حتماً أنا وأخواتي اليه".

ف.ل.



نظر الصياد
عبر الثلج المنهال
فرأى صديقه يصوب
فوهة بندقيته ويطلق النار
فيصيبه خطأ. وقد ادى اندفاع الجيران
وتضحياتهم الى انقاذ حياة الجريح

مأساة واقعية

دماء على الثلج

انطلق تشارلز "بود" ترنر (٤٣سنة) قبيل الثامنة من صباح ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ يجوس بحذر الغابة الكثيفة التي تغطي جانب الجبل قرب منزله في تشاتام الشرقية في ولاية نيويورك. كان يعتمر قبعة صوفية خضراء ويرتدي سترة تمويه وسروالا من الصوف. وهو انضم الى فريق من اصدقائه جاؤوا يقتفون أثر أيل جرح قبل دقائق عند المستنقع القريب. وسار ترنر فوق طبقة من الثلج الجديد تبلغ كثافتها ٣٠ سنتيمتراً وهو يحني ظهره وسط البرد القارس.

وضع ترنر، وهو الصياد المجرب، خطة لتنفير الأيل نحو فرجة في الغابة خالية من الاشجار، تقع تحت اسلاك الكهرباء التي تعبر الجبل. فأرسل اعضاء الفريق، وبينهم ابنه مارك البالغ السادسة عشرة من عمره، ليطوقوا الفرجة.

وفجأة دوى صوت طلق ناري امامه،

فظن ان خطته نجحت وأسرع الخطو. غير أن الطلق لم يكن مصداقاً لظن ترنر، فقد شرد اثنان من اعضاء الفريق هما فرانك درايك وآلان برستون (★) عن الطريق التي رسمها ترنر، وبدلا من ان يسيرا بخط مستقيم نحو الاسلاك الكهربائية ذهبا يستكشفان حقلا مهجوراً تحت الفرجة. وفي منتصف الطريق نفرا أحد الايائل. ولم يطلق برستون النار مؤثراً ان يتيح لدرايك، وهو حديث العهد بالصيد، ان يطلق الرصاصة الاولى. واخطأ درايك الهدف فاندفع الأيل في الغابة متجهاً نحو ترنر. وعدا درايك وراءه مصمماً الا يطيش رصاصه في الطلقة الثانية.

ولم يرَ ترنر الأيل الذي جرى نحوه ثم نكص على اعقابه مرتداً فوق السفح. غير انه رأى فوقه شيئاً يتحرك في اللحظة التي انهالت عليه كمية كبيرة من الثلج كانت متراكمة على غصن شجرة فغمرته تماماً.

ولفت الثلج المنهال درايك فتصور في اضطرابه وثورة مشاعره انه رأى مخلوقاً أبيض يتحرك عند جذع الشجرة، فجثا على احدى ركبتيه وسدد فوهة بندقيته نحو الهدف.

رفع ترنر بصره فرأى درايك. ولكن قبل ان يتسنى له ان يصيح به رأى وهجاً برتقالياً يلتمع في فوهة البندقية ثم شعر بالرصاصة تخترق يده واحشاءه، في مسار حارق ثم تخرج من ظهره. واخذ الدم ينزف منه غزيراً فجهد كي لا يفقد وعيه وحاول ان يقف على رجليه فلم يفلح. واستبدت به فكرة ان جرحه مميت فأخذ يصرخ: "النجدة! انقذوني!"

رعب وصلاة — ما ان ضغط درايك زناد بندقيته حتى ادرك ان المخلوق الذي لاح له بين الثلوج لم يكن أيلا. فقفز واقفاً واخذ يعدو ويتزحلق هابطاً المنحدر.

وضاع صوابه حين رأى ترنر يتخبط فوق الثلج المصطبغ بدمائه. واخذته غاشية من الذعر فخر جاثياً على ركبتيه يصلي بحرارة متضرعاً الى الله ان ينقذ ترنر. وزاد ذعر درايك في ارتياع ترنر فعاود الصراخ طالباً النجدة.

ووصل برستون فادرك خطورة الموقف وصاح بدرايك: "ابقَ مع بود، فسأذهب في طلب النجدة". ثم انحدر نحو منزل ترنر.

وكان كيث شو يقتفي أثر الأيل في موقع أعلى فسمع صراخ ترنر واسرع الى المكان حيث وقف مذهولا. كان ترنر مستلقياً على ظهره فوق الثلج يحاول النهوض والدم ينزف منه غزيراً، بينما درايك راكع قربه مستغرقاً في الصلاة.

وفتح شو سروال ترنر فظهر له الجرح البالغ الذي احدثته الرصاصة. وادرك ان عليه أن يهدىء من روع صديقه فقال: "ستنجو يا بود. انك أقوى من ان تموت هنا". ثم عمد الى جمع الثلج وتكويمه فوق الجرح النازف.

وادرك شو انه سيحتاج الى عون لنقل ترنر الى السفح. فرداءة الطقس والارض الثلجية ووزن ترنر البالغ ٩٠ كيلوغراماً تضافرت كلها لتعيق نقل الجريح. واخذ شو يطلق النار ثلاثاً اشارة الى فريق الصيد ليتجمع. وعند سفح الجبل التقى برستون أحد زملائه

(★) الاسمان مستعاران.

ويدعى ستيف سميث فانضم اليه وأخذا يعدوان نحو شاحنة برستون. وعندما اندفعا داخل بيت ترنر كانت ابنته تامي (١٣ سنة) تستمع الى الموسيقى لان المدرسة تعطلت بسبب الثلج الكثيف. ونظرت الفتاة الى سميث مستغربة حين رأته يسرع نحو الهاتف، فقال لها: "لقد وقع حادث".

فهتفت: "ليس لأبي!"

ولزمت تامي الصمت حتى أنهى سميث المخابرة المستعجلة مع عامل الهاتف ثم اتصلت بأمها التي كانت في عملها.

النداء السريع - اثارت مخابرة سميث ونبأ اصابة ترنر جميع سكان الجوار فسارعوا الى الانقاذ. وكان جيران ترنر منتظمين في مجموعات مدربة تدريباً عالياً لمواجهة اي طارىء، فبادروا الى التحرك حتى قبل ان ينهي سميث مخابرته. ذلك لان عامل الهاتف اطلق انذاراً الى جمعية تشاتام الشرقية لمكافحة الحرائق، فسارع اعضاؤها الى المركز حيث تقف على اهبة العمل شاحنات ذات اندفاع على العجلات الاربع. كما سارع فريق تشاتام للانقاذ، وهو فريق من نخبة المتطوعين ايضاً، الى سيارة الاسعاف.

وفي حين كان سكان الجوار يتجمعون للمساعدة تألب كل من كان على الجبل حول الجريح استجابة لطلقات بندقية شو. وكان شو كلما وصل أحدهم يهيب به الى خلع معطفه والقائه فوق كومة من المعاطف غطت ترنر الذي اخذته رجفة شديدة لم يقوَ على كبحها. واسرع مارك ترنر الى جانب والده وجثا هناك. فنظر الاب الى ابنه وغالب نفسه ليتحكم بارتجافه وقال له بهدوء "اذا لم انجُ فاني أوصيك بان تهتم بأمك واختك تامي. انا اعرف انك قادر على ذلك".

اما جيري كاهالان، وهو صديق قديم للعائلة، فانتحى بالفتى جانباً وامسك بمنكبيه وهو يقول: "عليك انت ايضاً ان تساعد. اهبط الى الطريق وأرشد الناس كيف يصعدون الى هنا".

وشرع الرجال في صنع محفة من الاغصان اليابسة ثم تناهى الى اسماعهم زعيق صفارة الانذار في تشاتام فأدركوا ان النجدة آتية.

كان واين غيرنغ نائماً عندما رن جرس الهاتف، وهو المدرس الذي يرئس جمعية مكافحة الحريق في تشاتام الشرقية والمرشد الرئيسي لفريق الانقاذ. فأسرع الى مجموعة من اجهزة البث في مطبخ بيته ليذيع نداء عاماً للنجدة. وكان آل سومرز يقود سيارته في مكان غير بعيد عن موقع الحادث حين سمع النداء، فاعلن عبر جهاز الراديو في سيارته انه مقبل. لكنه ما لبث ان اتصل ثانية ليقول انه في حاجة الى العون بعدما لاحظ حال الطريق وادرك انه من العسير اخراج ترنر من المكان بسبب تراكم الثلوج.

وقال غيرنغ لزوجته وهو يخرج من الباب: "اتصلي بأبي وقولي له ان يحضر الجرار، فربما امكنه شق الطريق". وقبل ان يصل غيرنغ الى نهاية الممر المؤدي الى بيته كان ابوه فرانك، على بعد حوالي كيلومتر من هناك، يمتطي جراره الاخضر الكبير وينطلق به الى الجبل.

وكان اريك لاغروول يلزم بيته

نتيجة اصابته بكسور في عظم الترقوة وثلاث اضلاع، فسمع النداء على جهاز الراديو الذي يحتفظ به لكونه اطفائيا متطوعاً. ومن دون تريث ارتدى معطفه وصعد الى شاحنته ذات الاندفاع على العجلات الاربع معتزماً قيادتها في محاذاة خطوط الكهرباء والاقتراب كفاية من موقع الحادث للتعجيل في اخراج ترنر.

الانقاذ ـ تضاءل نزف الدم من جرح ترنر، لكنه بدأ يشعر بألم رهيب. وما ان اتم الرجال صنع المحفة حتى برز آل سومرز عادياً نحوهم من الغابة.

كان سومرز مدرباً على أساليب الاسعاف الطبي، فجاء حاملا حقيبته وصاح بالرجال: "لا تحركوه!" والتف هؤلاء حوله فيما هو منهمك في تضميد الجرح. وفي هذا الوقت تعالى صوت تحطيم وقرقعة من الغابة، ثم برز جرار فرانك غيرنغ شاقاً طريقه بين الاشجار والهشيم. وقبل انقضاء عشر دقائق وصل ستة رجال آخرون من فريق الانقاذ متتبعين الطريق التي شقها غيرنغ بجراره وهم يحملون محفة خفيفة.

وتولى عشرة من الرجال حمل الجريح الى حافة الغابة حيث نقلوه الى شاحنة لاغروول فقادها هذا بتؤدة فوق المنحدر حتى وصل الى سيارة الاسعاف التي كانت تنتظر على الطريق التي فتحتها الجرافات.

وقبل انقضاء ساعة على اصابته كان ترنر في طريقه الى غرفة العمليات في مركز بركشير الطبي في بتسفيلد، ولاية مساتشوستس. وقد تمت عملية الانقاذ العسيرة كلها على ايدي متطوعين من جيران ترنر تحركوا بدافع النخوة فحسب، بعدما امضوا فترة من التدرب والتجهز لمواجهة الطوارىء.

وخلال الجراحة الاستقصائية تبين ان الرصاصة اخترقت جسد ترنر ونفذت منه، لكنها اخطأت عموده الفقري وحوضه ولم تصب اي عضو حيوي. وقال الطبيب لابن ترنر ولزوجته بعد الجراحة: "لو انحرفت الرصاصة مقدار خمسة سنتيمترات في اي اتجاه لكانت الاصابة قاتلة".

بعد خمسة ايام اصبح ترنر في حال تمكنه من استقبال زواره وجاء درايك ليعوده وهو ما زال في حال من الاضطراب النفسي. وهنا تحول ترنر مرشداً لدرايك اذ بدا له ان جروح صديقه النفسية تفوق في خطورتها جروحه الجسدية.

وقال درايك: "لن اصطاد بعد اليوم يا بود ولن اغفر لنفسي ما حدث. بعد الآن لن أسدد شيئاً نحو هدف سوى آلة التصوير. قد التقط صوراً في الغابات، لكني لن اصطاد قطعاً".

فقال ترنر: "هيا، ستتغلب على شعورك هذا بعد أن أشفى. وسوف أخرج معك الى الغابة وأرشدك الى حيث تلتقط الصور الجميلة".

وبعد ثمانية ايام من الحادث عاد ترنر الى بيته. واقيمت له مأدبة احتفالية. وقطع الجيران مقداراً كبيراً من الحطب وقدموا ثمنه الذي بلغ ٢٧٥ دولاراً الى عائلة ترنر. ولم يرَ أحد في هذا العمل امراً مستغرباً. وقد قال كيث شو موضحاً: "عندما يقع امرؤ في داهية يسارع جيرانه الى تقديم العون. انهم طبعوا على ذلك هنا".

■ جيرالد مور

أيهما تختار:
السعادة أم التعاسة؟

سعادتك وتعاستك
طوع إرادتك.
ولكن يبدو أن معظم الناس
في هذا العصر
اختاروا لأنفسهم التعاسة.
وإذا شئت تقليدهم،
فإليك ثمانية مبادىء
كفيلة بتحقيق ماتريد

في السنوات الأربع عشرة التي أمضيتها طبيباً نفسانياً، كان عدد الافراد السعداء الذين عالجتهم قليلا جداً. والسعادة جوهرة نادرة في هذا المجتمع الذي هو أشد مجتمعات التاريخ معاناة للعُصاب. ولا نجد برنامجاً تلفزيونياً يحلل قدرة السعداء على التكيف والحياة، ولا مقالا في مجلة يعالج سر صحتهم النفسية.

أما اذا شاء هؤلاء التحول من صفوف الأقلية الى صفوف الأكثرية، فهناك وسائل مضمونة لخلق المشكلات لديهم وتوليد عقد الذنب وضروب العُصاب في حياتهم. وفي ما يأتي ثماني وسائل كفيلة، اذا طُبّقت بتؤدة، بالحصول على هذه النتيجة. ولكن على الفرد السعيد أن يختار، أولا، التعاسة اسوة بالأكثرية الساحقة من إخوته في مجتمعنا المعاصر.

١. كرة الثلج.

إذا واجهت المشاكل أول ظهورها، فهي عادة تختفي. أما اذا تركتها وشأنها، فهي تتراكم بعضها فوق بعض مثل كرة ثلج. والذين يتيحون لكرة مثل هذه أن تتكون في حياتهم يتبعون مبدأ بسيطاً هو الآتي: "عندما تواجهك مشكلة، انتظر ولا تفعل شيئاً حيالها". في الحياة الزوجية، مثلا، انتظر أشهراً وحتى سنوات قبل أن تعبر عن غيظك من أمر أو آخر. وهكذا يتراكم الضغط الذي لا يلبث أن يفجر العلاقة الزوجية.

٢. خَلْق المشاكل.

لدي صديق يرفض بعناد أن يُقر بوجود مشاكل في حياته. ومرة كنت معه في السيارة حين وقف عند اشارة مرور حمراء على مفترق طرق. وأطلق

سائق كان وراءنا العنان لزمور (نفير) سيارته لأنه شاء تجاوز الاشارة. فقلت لصديقي: "يبدو أن هذا الشخص مستاء من وقوفك أمامه".

لكن صديقي انتظر الاشارة الخضراء ونظر الى كل ناحية قبل أن يكمل طريقه، وقال: "إنها قضيته. أما قضيتي فهي أن أتأكد من سلامة العبور قبل أن أقوم بأي حركة".

إن صديقي يرفض النظر الى الامور كما لو كانت مشاكل. ولكن اذا عكسنا موقفه، أمكننا أن ننسج حياة ملأى بالعقد والصعوبات. هب أن أحداً لا يحبك، وافترض أنك أنت المسؤول عن ذلك. وستجد أنه لن يطول بك الوقت حتى تقلق الى حد المرض وأنت تقول: "إن مشكلتي لكبيرة حقاً". أجل! توّهم أنها مشكلتك! ألقِ اللوم على نفسك!

٣. سلبية التفكير.

القوة الحقة هي في التفكير السلبي. تذكر الأوقات التي ظُلمْت فيها والظروف حيث خاطبك الآخرون بقسوة. ولا تنسَ أن تقول لنفسك: "إن الجميع، بلا استثناء، يسيئون فهمي ومعاملتي". ولا تدع الأفكار المرحة تجد لها مكاناً في حياتك. وكلما فكرت في مواطن قوتك اطمسها وركز على الضعفات. ولا بد من أن يكون لهذا التفكير السلبي قوة هائلة في توليد القلق والهم والكآبة لديك.

٤. توقّع السّوء.

إن توقّع الامور السيئة يجعل حدوثها أكثر إمكاناً. إذا كنت مزمعاً على الذهاب الى حفلة، مثلاً، فتوقع أن تصادف ما يزعجك. وهناك قف وحيداً من غير أن تشترك مع الآخرين. وبعد ذلك تذمر لأن أحداً لم يكترث لك.

٥. الأحلام المستحيلة.

من أتعس الذين أعرفهم اولئك الذين يتمتعون بمقدرة خاصة على تصور المستحيلات. واذا شئت أن تحصد الخيبة، فازرع أهدافاً لا يمكن بلوغها.

مرة عالجت سيدة كانت تحضر مادتين جامعيتين وتتعلم العزف على البيانو وتربي ثلاثة أولاد وتعتني بشخصين مريضين من عائلتها... فضلا عن وظيفتها. وقالت لي إنها لا تقنع الا بأرفع علامة على موضوعيها في الجامعة... إنها حقاً خبيرة في غرس المستحيل!

٦. قاعدة الأحمق الذهبية.

هذه القاعدة، بأبسط تعبير، تقول الآتي: "إياك أن تكترث للآخرين". أما المفتاح لتطبيق القاعدة فهو كره الذات. عليك أن تقول لنفسك: "اني شخص رديء وتافه". ومتى صرت صغيراً في عين نفسك، بدا لك الآخرون هكذا أيضاً. وما عليك إلا أن تعاملهم بناء على هذا المبدأ. وهذا يضمن لك الحصول على رفضهم ويرميك في صحراء ذاتك.

٧. إقامة الحواجز.

إذا تبين لك أن علاقتك بزوجتك وأولادك مزدهرة، فلا تخف. ذلك أن

هناك وسائل تكفل لك إقامة الحواجز بسرعة بينك وبينهم اذا أنت ثابرت عليها ·

اولى هذه الوسائل إلغاء الاطراء وكل ملاحظة من شأنها تشجيع الآخر ودعـم موقفـه· ثانيـا، عـزز ملكـة الانتقاد لديك، من غير أن تكف عن التذمر والجدل والاهتمام للتفاصيل· وأخيراً، استغل نفوذك المالي، وذلك بأن تقول لأولادك: "اذا بقيتم تركبون سيارتي وتأكلون من طعامي وتعيشون تحت سقف بيتي، فعليكم أن تفعلوا كل ما آمركم به" · وهذا لا بد من أن يولد هوة سحيقة بينك وبينهم·

٨· صليب العذاب ·

كل ما يحتاج اليه المرء لكي يصبح شهيداً هو الظرف المناسب· ففي إمكـان الأمهـات إرهاق أنـفسهـن بالأعمال المنزلية ثم إقناع أنفسهن بأنه "ما من أحد يكترث لحالي، أنا العبدة ضمن جدران منزلي"· وفي امكان الأب أن يخلق لنفسه جواً مماثلا ثم يقول: "إني أغرز اظفاري في لحم المسائل حتى اطول عظمها، ولا أحد يأبه· إن الكل يسخرني" ·

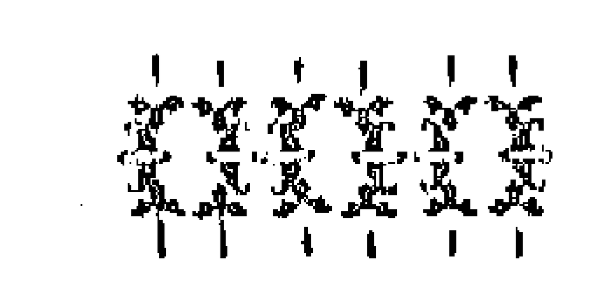
إن إحراق ذاتك طوعاً لا خير فيه سوى توليد مشاعر السوء لديك، فضلا عن أنه يجعل الآخرين ينفرون منك، وهذا، بدوره، يزيد مشاعرك سوءاً·

إن هذه الوسائل الثماني لتوليد التعاسة خير دليل على القدرة التي نملكها للسيطرة على حياتنا· وهي تعني أنه في إمكاننا توليد المشكلات والأمراض لأنفسنا ·

وإذا عثرت على شبه لنفسك في أي من الوسائل المذكورة، فيحسن أن تكون نظرت داخل ذاتك وقلت: "آه! هذا عين ما أفعل· وإني لمتوقف عنه الآن" ·

ولئن لم يحالفك الحظ لانجاز كل ما تحب تحقيقه في حياتك، فلا شك في أن لديك القدرة على أن تستمتع بمعظم الامور التي تفعلها · واعلم أن في وسعك تجنب المشاكل كما في وسعك خلقها، وأن الخيار في ذلك متروك لك ·

■ بيل ليتل



اللعب بالكلمات

خلال الحرب العالمية الثانية، كانت واجباتي في مكتب رئيس موظّفي الجيش البريطاني تقضي باعداد تلخيص سري للعمليات· وكان التقرير يوزّع على عدد قليل من الاشخاص، منهم رئيس الوزراء ونستون تشرشل الذي وضع قواعد صارمة تتناول اسلوب التقرير وتنسيقه·

وفي أحد الايام ذكرتُ أن قواتنا اشتبكت في معركة مع الالمان في قرية ايطالية صغيرة· فما كان من تشرشل الا أن اعاد نسخته وعليها ملاحظة بالحبر الاحمر تقول: "اننا لا نحارب مع الالمان، بل نحارب اما من أجلهم واما ضدهم"·

ا·ت·ب·

العلم يكتشف اسراراً جديدة

الاختلاف بين الذكر والأنثى وراثي أم حضاري؟

يختلف العلماء في تحديد العوامل التي اوجدت الفوارق بين الرجال والنساء، فمنهم من يقول انها بيولوجية وراثية ومنهم من يقول انها بيئية مكتسبة

من المسلم به ان الرجال والنساء يختلفون حجماً وتكويناً ووظائف جنسية، ولكن اضافة الى ذلك فان بعض علماء اليوم يؤكدون ان الرجال والنساء يختلفون في امور جذرية اخرى، وهذا لا يعود الى تباين اساليب التربية فحسب، بل الى اختلاف في طريقة تحسس الاشياء وفي استجابة حاسة السمع لها، كما يعود الى ان طريقة التفكير في حل المسائل لدى الرجال تختلف عنها لدى النساء لان الرجال يستخدمون خلايا دماغية مختلفة عن خلايا النساء في عملية التفكير.

ويبدو ان مفتاح الاختلاف هذا يكمن في الهرمونات، فالدلائل العلمية الحديثة تشير الى ان تأثير الهرمونات لا يقتصر على حفز الخصائص الجنسية الظاهرة بل يتعداه الى الدماغ فيضفي عليه خصائص اما انثوية واما ذكرية، علماً ان الباحثين الذين راقبوا هذه

الظواهر عن قرب بدأوا يضعون تفسيرات بيولوجية لتساؤلات مثل: لماذا يمتاز تفكير النساء بالحدس بينما يتفوق الرجال في المنطق، او لماذا يبدو الصبية اشد خشونة في لعبهم من الفتيات.

اما اذا كانت هذه الفوارق الفيزيولوجية (الوظيفية) عاملا في تحديد دور للرجال في المجتمع يختلف عن دور النساء، فهذه مسألة غاية في الدقة.

ان تكوين الانسجة الدماغية لدى الرجال قد يساعدهم في الوصول الى ادراك ذهني - مكاني يفسر تفوقهم الظاهر في علم الرياضيات مثلا. اما الانسجة الدماغية لدى النساء فتساعدهن في الادراك اللفظي مما يفسر سهولة تعلمهن اللغات.

والى ذلك فان الذكور في غالبية الاجناس الحيوانية تتمتع بمعطيات هرمونية تدفعها الى السلوك العدواني. وقد يعود هذا الى حقبات التطور التي تشير الى تفوق الذكر على الانثى.

لكن اكثرية هذه الفوارق المزعومة هي موضوع تساؤل اليوم. وثمة باحثون يرفضون الفكرة القائلة بان البيولوجيا هي التي تحكم مصير الانسان موضحين ان لا شيء يثبت ان الفوارق التي ذكرنا تؤدي الى تباين وظيفي واضح. ويؤكد هؤلاء ان قولبة الوظائف الجنسية في مجتمع يسلم بسيطرة الذكر الفكرية هي اشد وقعاً على السلوك الجنسي من الهرمونات. ويقول مايكل لويس وهو عضو في معهد دراسة سلوك الاطفال المتفوقين في برنستون: "ان العوامل الحضارية هي الباعث الاساسي على التباين في السلوك الجنسي لدى الاطفال".

الطبع ام التطبع؟ - ان الابحاث العلمية الحديثة اعادت بالحاح طرح الجدل التقليدي حول ما اذا كانت الطبيعة البنيوية (العوامل الوراثية) اشد تأثيراً في تحديد تصرف الفرد، ذكراً كان ام انثى، من عوامل التنشئة التربوية (العوامل المكتسبة). وايا تكن الاثباتات السلبية او الايجابية في هذا المجال فان الباحثين في الفوارق الجنسية القوا اضواء جديدة ومثيرة على موضوع تأثير البيولوجيا في السلوك الانساني. فمن الامور المسلم بها، مثلا، ان الذكور اشد عداء من الاناث في غالبية الاجناس الحيوانية. ويؤكد علماء البيولوجيا ان هذا يعود الى تأثير هرمون الـ"تستوسترون" الذي تفرزه خصيتا الجنين الذكر خلال مرحلة حاسمة من نموه.

اربعة من علماء الفيزيولوجيا، هم شارل فينكس وروبرت غوي وآرنولد جيرال ووليم يونغ، اجروا عام ١٩٥٩ دراسة تعتبر احدى نقاط التحول في هذا الحقل. اذ حقنوا عدداً من اناث الخنزير الهندي في طور الحمل كميات كبيرة من التستوستيرون فظهرت لدى المواليد الاناث اعضاء تناسلية ذكرية الى جانب المبيض. وعندما انتزع المبيض وحقنت هذه الاناث الشاذة مزيداً من التستوسترون اخذت تتصرف كالذكور حتى انها اقبلت على مجامعة الاناث ذات التكوين الطبيعي.

وواصل غوي تجاربه في مركز الابحاث الاقليمي في جامعة

ويسكونسن مؤكداً تأثير التستوستيرون على قردة الريص(١)؛ وهو اثبت ان حقن الجنين هذا الهرمون يضفي تصرفاً جنسياً ذكرياً على المولود الانثى. والامر لا يقتصر على ذلك، اذ اظهرت دراسة غوي ان خشونة المولود الذكر ونشاطه يتأثران بتوقيت حقن الجنين بالتستوسترون.

واما اذا كان للهرمونات تأثير مماثل في التصرف الانساني فقد اثبت ذلك كل من جون موني من جامعة جونز هوبكنز وآنك ارهارت من جامعة كولومبيا (ولاية نيويورك). فهما اجريا دراسة على اطفال عانوا قبل الولادة افرازاً مفرطاً للاندروجين، وهو هرمون منشط للذكورة، بسبب نشاط غير طبيعي في الغدة الكظرية (٢). واسفرت الدراسة عن ان الفتيات اللواتي تعرضن لاختلال جسدي كهذا يظهرن تصرفاً صبيانياً كعدم الاقبال على اللعب بالدمى والامتناع عن مصاحبة الجنس الآخر حتى سن متقدمة.

وغدت ابحاث موني وارهارت بمثابة مرجع اساسي في اطار النقاش حول مدى تأثير الطبع والتطبع في التصرف الانساني.

ويؤكد بعض العلماء ان التصرف الصبياني الذي اظهرته الفتيات نتج من تعرض مفرط للهرمون، وهم يستندون في ذلك الى الاختبارات المماثلة التي اجريت على الحيوانات والتي اسفرت عن عوارض شبيهة بالتي اظهرتها ابحاث موني وارهارت. لكن علماء آخرين ينتقدون ذلك استناداً الى ان البحث، في رأيهم، اغفل ظاهرة اساسية هي ان الفتيات اللواتي عانين افرازاً خِلقياً مفرطاً في غدة الكظر غالباً ما يبدين مظاهر جنسية غير طبيعية عند الولادة مما يستوجب تدخلا جراحياً لضمان اعضاء تناسلية انثوية طبيعية. ويقول هؤلاء العلماء ان الفتيات قد يخضعن لعوامل تنشئة خاصة تكون اشد تأثيراً في تصرفهن من العوامل الوراثية.

دماغان مختلفان ـ كشفت جون راينش، وهي اختصاصية بالغدد الصم في جامعة راتجرز في ولاية نيوجرزي، معطيات علمية تؤكد وجهة النظر القائلة بان للهرمونات دوراً اساسياً في تحديد التصرف الانساني. فخلال خمس سنوات راقبت راينش ٢٥ صبياً وفتاة ولدوا لامهات تناولن مركب البروجستين (٣) طوال فترة الحمل لتفادي الاسقاط. واخضعت العالمة هؤلاء الاطفال لاختبار نفسي لتبيين الدوافع العدائية في السلوك، كما اخضعت اطفالا طبيعيين للاختبار نفسه. فكانت النتيجة ان الذكور الذين تعرضوا لمركب البروجستين ابدوا ظواهر عداء جسدي يعادل ضعف مظاهر العداء لدى رفاقهم، وان ١٢ فتاة بين ١٧ في العينة فقن رفيقاتهن عداء.

ومع ذلك فان راينش لا تنفي تأثير العوامل البيئية في التصرف بل تؤيد نظرية زملائها بان الهرمونات قد تؤثر في السلوك الجنسي للفرد، كذلك عوامل التنشئة. وقال روبرت غوي

١ ـ قرد هندي صغير قصير الذيل تجرى عليه التجارب العلمية.
٢ ـ غدة تقع فوق الكلية.
٣ ـ البروجستين او الجسفرون هرمون يهيىء الرحم لقبول البيضة الملقحة.

موضحاً: "يبدو ان الهرمون يؤهل الحيوان لدور اجتماعي معين. وهو يسهل له ذلك من غير ان يرغمه عليه".

واما العامل الفكري في السلوك، فان العلماء يؤكدون اليوم ان الهرمونات تؤثر في تحديد هيكلية الدماغ. فتكوين دماغ الانثى يختلف عن تكوين دماغ الذكر لدى كثير من الحيوانات، والاختلاف ظاهر في منطقة السرير البصري وما تحته (الهايبوتلاموس) في الدماغ، وهي ذات علاقة وثيقة بالوظائف التناسلية. والفارق الاساسي هو ان الخلايا العصبية في ذلك الجزء من الدماغ هي اكثر عدداً واكبر حجماً لدى الذكور مما هي لدى الاناث.

من الامور المسلم بها اذاً عند العديد من العلماء الذين اجروا دراسات على الحيوانات، ان الهرمونات تضفي طابعاً جنسياً على الدماغ اذ تعمل على تغيير بنية الخلايا الدماغية. ولكن هل يصح ذلك في الانسان؟ ان جل ما يمكننا قوله هنا هو ما استنتجه العلماء بطريقة غير مباشرة. فخلال سنوات من المراقبة الميدانية اتضح لهم ان الوظائف الذهنية تختلف بين الرجال والنساء. ويبدو ان الرجال يتمتعون بـ"جانبية" اكبر، بمعنى ان تفكيرهم ينتج من وظائف مستقلة في النصف الايمن او الايسر من الدماغ، فيما تختلط وظائف نصفي الدماغ لدى النساء.

ان الاستنتاجات الاولى الموثوقة في هذا المجال اتت من مراقبة المصابين بتلف في الدماغ. فقد لاحظ الاطباء ان الرجال المصابين في النصف الايسر من الدماغ قد يكونون اكثر تعرضاً لصعوبات النطق من النساء اللواتي تعرضن لاصابة مماثلة، كذلك فان الاصابة في النصف الايمن من الدماغ تعرض الرجال اكثر للعمى او تحرمهم الادراك الذهني ـ المكاني في ما يتعلق بتقديرهم المساحات. اما النساء فانهن اقل تعرضاً لعطل وظيفي من جراء اصابة الدماغ بتلف معين. ويرجح بعض العلماء ان الوظائف الدماغية لدى النساء موزعة بالتساوي على نصفي الدماغ.

ومع ان الكلام عن الفوارق بين الرجال والنساء قد يغضب بعضهم، الا ان الابحاث العلمية تؤيد نظرية التباين الوظيفي. وهناك بحث اجراه مونتي بوشبوم من معهد الصحة العقلية. اذ اخضع عدداً من المرضى لاختبارات قياس الموجات الكهربائية في الدماغ. واسفر بحثه عن ان النساء يتمتعن بطاقة وظيفية دماغية تفوق طاقة الرجال، اذ يستجبن لعدد اكبر من الحوافز الخارجية. لكن الفارق بين الجنسين لا يتعدى نسبة ٢٠ الى ٤٠ في المئة.

الفئران والبشر ـ من الواضح ان الفوارق الجنسية لا تخضع لمقاييس جامدة. فتأثير الهرمونات في السلوك ليس مسألة مبسطة بل انه يبدو اليوم اشد تعقيدا من السابق. ويقول العالم البيولوجي رينشارد لونتن من جامعة هارفارد: "هناك علاقة سببية معقدة بين الوظائف الفكرية والسلوك". وقد برهنت دراسات ان مستوى هرمون التستوسترون ينخفض لدى ذكور قردة الريص اذا ما جوبهت بهزيمة ويرتفع اذا ما نجحت في تعزيز مركزها بين

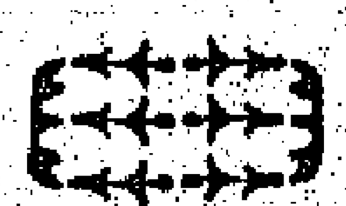
الجماعة. واشارت دراسات اخرى الى ان الافرازات الهرمونية قد تتأثر لدى اناث القوارض الحوامل اذا مرت بأزمة عاطفية مما يؤدي الى تأثير مواز في بنية الانسجة الدماغية لدى الجنين.

ولا شك في ان التكوين البنيوي (الوراثي) قد يتأثر ببعض الحوافز الاجتماعية وان يكن العلم لم يتوصل بعد الى تحديد واضح للعوامل المسؤولة عن التغير. وتأييداً لذلك فان الاختصاصية ايثل توباك من المتحف الامريكي للعلوم الطبيعية في نيويورك تذكر اختبارات اجرتها على فأرة بكر. فعندما قدم اليها فأر صغير في يومه الخامس لم تبد اهتماماً به اول الامر. واذ لازمها فانها اخذت تطوف حوله باهتمام الى ان احتضنته. وتقول توباك: "لا بد ان وجود الفأر الصغير طوال ايام شكل لدى الفأرة حوافز شمية وبصرية وحسية اثرت في كيمياء الدم لديها مما ادى الى تغير في تصرفها معه".

ومع ان الباحثين يتحفظون عن تعميم نتائج البحث المخبري الحيواني على البشر، فمن المسلم به اليوم ان التكوين البنيوي لدى الحيوان والانسان يتأثر بالعوامل الاجتماعية. لذا فان الفوارق بين الرجال والنساء تضاءلت تدريجاً بموجب نظرية التطور، خصوصاً في العقود الاخيرة.

ومما يلفت في ما توصلت اليه الابحاث العلمية اليوم ليس وجود فوارق بينة تميز الرجال عن النساء، بل ان هذه الفوارق ضئيلة جداً ونسبية. فالسلوك الانساني يمتاز بمرونة مكنت البشر، رجالا ونساء، من التكيف مع اوضاع بيئية وحضارية قاسية وثبتتهم في مرتبة تفوق مراتب الكائنات الاخرى. وفي ذلك يقول روجر غورسكي الاختصاصي بالاعصاب والغدد الصم في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس: "ان الانسان اكتسب مهارة التأثير في الهرمونات"، مما يعني ان الاختلافات السلوكية لدى الافراد تساهم في تثبيت تفوق الانسان على الحيوان.

■ "نيوزويك"



مكتبة الفكر النسائي

في العام ١٩٧٥، اصبحت ميلانو أول مدينة ايطالية تفتح فيها مكتبة تبيع مؤلفات "نسائية"، بمعنى ان جميع الكتب التي تباع هناك وضعتها نساء. والمكتبة لا تميز بين الزبائن. ففي امكان الرجال والنساء على السواء دخولها وشراء الكتب منها. وعلى رغم أنها تأسست بمبادرة من احدى الجمعيات التي تنادي بتحرر المرأة، الا أن الكتب التي تعرضها المكتبة ليست كلها من انتاج مؤلفات يعتنقن هذا المبدأ. والمكتبة تبيع، الى الكتب، تماثيل ولوحات واسطوانات وأشرطة تسجيل كلها انتجتها نساء.

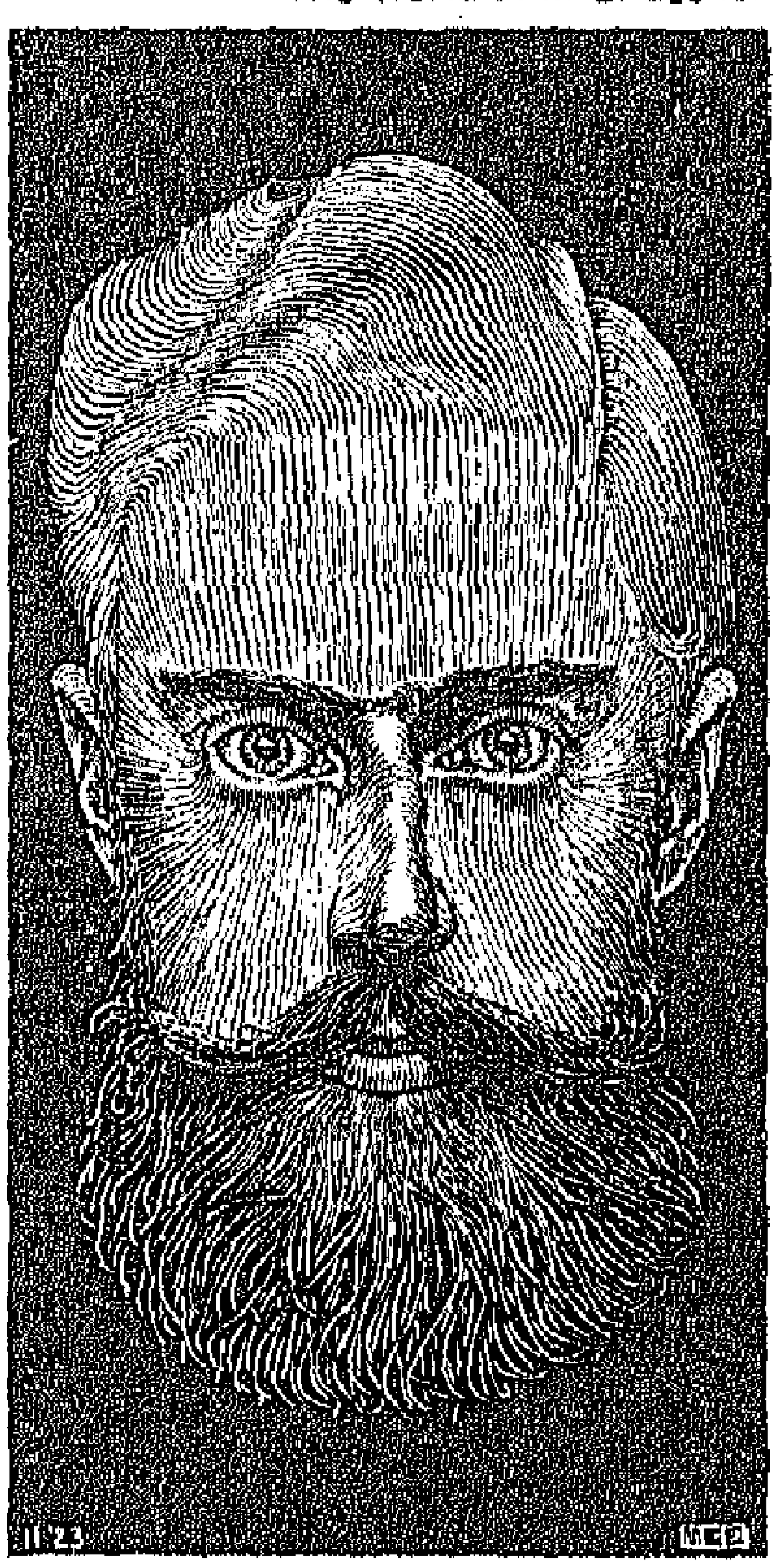
صحيفة "غرازيا"، ايطاليا

"ما كنت اود ان ابني بيوتاً بل مصحات للمجانين"

م ٠ ك ٠ ايشر



The World of M C. Escher

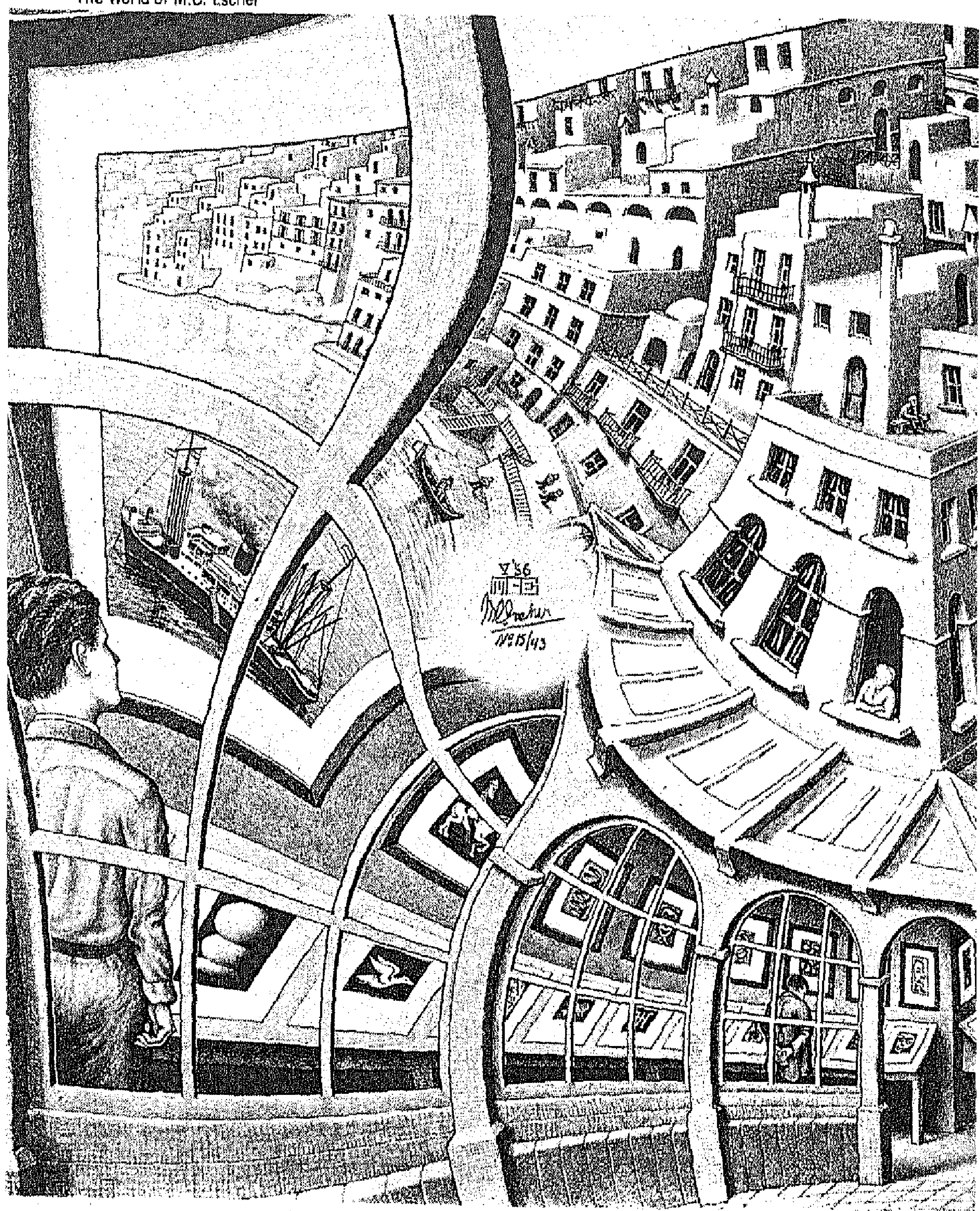


لوحة ذاتية للفنان رسمها في العام ١٩٢٣ بعد وقت قصير من مغادرته معهد الفن وهندسة العمارة في هارلم، حيث اهمل دراسة الهندسة وانصرف الى الفن٠

طالما عرف الفنانون الهولنديون كصنف غريب من اهل الفن٠ فان فرانس هالز، مثلا، كان يذرف الدمع وهو يرسم لوحته"السكاري المرحون"؛ في حين اقدم فنسانت فان غوخ على قطع شحمة اذنه٠ لكن موريتس كورنيليس ايشر هو اكثرهم طرافة٠ كان غبياً في الرياضيات وهو بعد على مقعد الدراسة في ارنهيم، فغدا معبود رجال العلم اذ اكتشف الشرائع الخفية للرياضيات وجدسها في لوحاته المطبوعة على الخشب والحجر مما اذهل علماء الرياضيات واكسبه شعبية واسعة٠

ولد ايشر عام ١٨٩٨ في ليوواردن (مقاطعة فريزلاند)٠ وكان والده مهندساً مدنياً ميسوراً٠ وحتى عامه الخامس والخمسين حاول انتاج اصناف متنوعة من القطع الفنية كمورد رزق فأخفق في جميعها٠ والى الصور المطبوعة التي بيعت الواحدة منها بما يراوح بين ١٠ دولارات و٤٠ دولاراً، صمم ايشر غلاف مجلات وطوابع بريدية واوراقاً نقدية وورق

The World of M.C. Escher

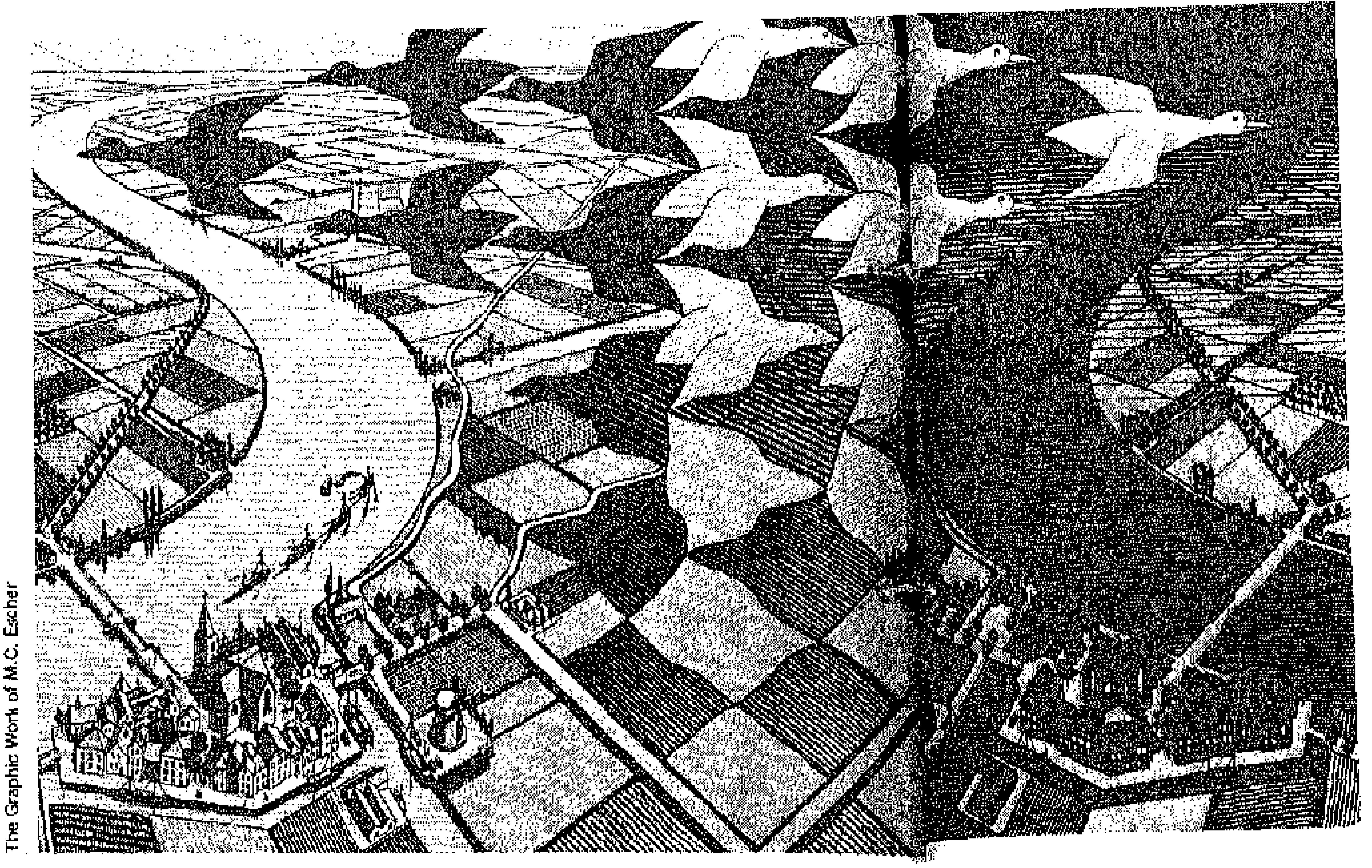


"صالة العرض" مثال واضح لاستخدام ايشر الابعاد النسبية، ١٩٥٦.

جدران. كما صمم صورة جدارية وضعت على حائط احد المدافن. وخلال ثلاثين عاما لم يجن اكثر من ٥٠٠٠ دولار، واعتمد على والده في تأمين معيشته.

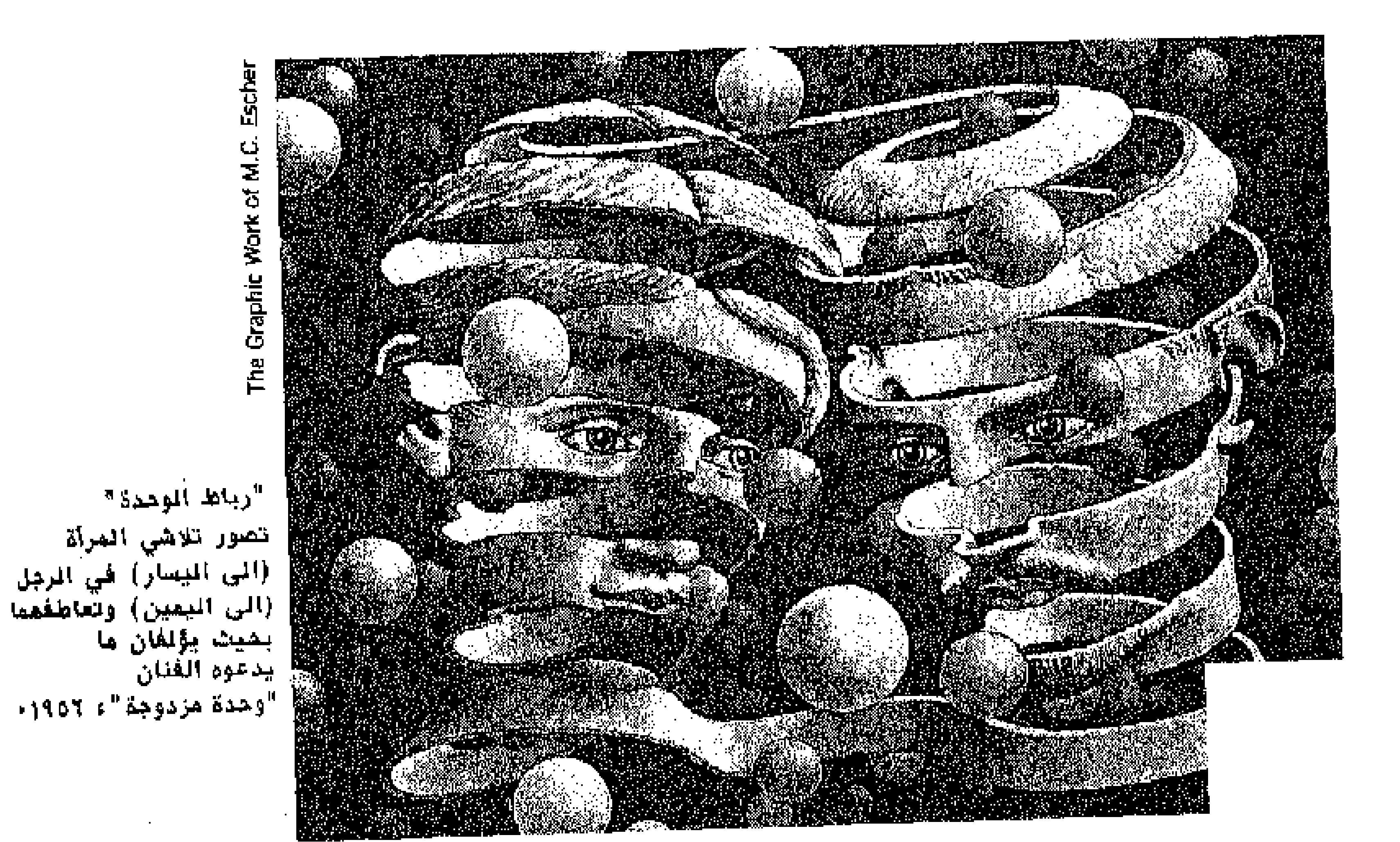
وفي الخمسينات رجح ميزان الحظ لمصلحة ايشر وبدأت الاموال تنصب عليه من مبيعات انتاجه الفني. وخلال سنة واحدة بيعت ٦٠٠٠٠٠ نسخة لعشرين لوحة من اعماله، فاغتنى بين ليلة وضحاها.

في بداية الامر كان السواد الاعظم في زبائنه من الهيبيين الامريكيين الذين اعتبروه "الفنان الاصيل الاول" الذي يتعاطى المخدرات. وطبعت تصاميمه على القمصان واللافتات وغلف الاسطوانات. لكن سرعان ما حظي بتأييد الطبقات الشعبية المحافظة، اذ ان المعرض الذي اقامه في الصالة الوطنية في واشنطن عام ١٩٧٤ استهوى اكبر جمهور عرفه معرض للفنون التصويرية.



The Graphic Work of M.C. Escher

"الليل والنهار" احدى لوحات ايشر الشهيرة وهي تظهر ايمان الفنان بان "لا خير بمعزل عن الشر ولا يسار بمعزل عن اليمين ولا نهار بمعزل عن الليل". الطيور السود تطير نحو نور النهار فيما الطيور البيض، وهي انعكاس للطيور السود، تنطلق نحو ظلمة الليل، ١٩٣٨.



The Graphic Work of M.C. Escher

"رباط الوحدة" تصور تلاشي المرأة (الى اليسار) في الرجل (الى اليمين) وتعاطفهما بحيث يؤلفان ما يدعوه الفنان "وحدة مزدوجة"، ١٩٥٦.

غير ان فنه لم يلقَ رواجاً في هولندا وسواها من البلدان الاوروبية، حتى ان والده لم يقتنِ اية لوحة من انتاج ابنه مع انه كانَ يهوى جمع اللوحات الفنية، لكن شهرة ايشر لم تلبث ان اجتازت المحيط الاطلسي.

كان اصحاب ايشر يحبون روح النكتة لديه والتي ظهرت كثيراً في اعماله. ففي لوحة "القديس فرنسيس" لا تبدو هالة القداسة حول رأس الرجل الفاضل فحسب بل تحيط ايضاً رؤوس بعض الحيوانات. وهو قال يوماً: "ان هدفي هو اثارة فضول الناس. انا لا اصبو الى نيل اعجابهم بل الى اثارتهم".

وتحمس علماء الرياضيات لاعمال ايشر على رغم جهله التام لعلمهم، وهو قال في ذلك: "راسلت استاذاً حاول تفسير لوحاتي باستخدام صيغ رياضية معقدة. لكني لم افهم كلمة مما كتب". بيد ان ايشر يوضح لنا اسس قياس الاحجام الصلبة اذ انه برع في الرسم المنظوري (★)، كما

(★) رسم الاشياء بطريقة تحدث في النفس الانطباع عينه الذي تحدثه في الواقع من حيث الابعاد النسبية والحجم وسوى ذلك.



"المقعر والمحدب" حيث يبدو خارج البيت (الى اليمين) وداخله (الى اليسار).
اما البيت الذي في الوسط فهو يبدو اما من الداخل واما من الخارج حسبما يختار الناظر، ١٩٥٥.

لفت العلماء في تصميمه غيرالمألوف للاشكال الهندسية.

وتوفي ايشر عام ١٩٧٢ وهو في الثالثة والسبعين. لكن انتاجه الفني حي حتى الآن. قال ج.و. لوخر وهو استاذ انتروبولوجي (علم الانسان) في جامعة لايدن، جنوب غرب هولندا: "ما يلفتك في معارض ايشر هو رد فعل المتفرجين. فهم لا يقفون في صمت مرتبك كما في المعارض الاخرى. فمنهم من يضحك فرحاً ومنهم من يتحدث. الشباب يشرحون اللوحات لمن يكبرونهم سناً".

هذا من الاسباب التي تجعل لوحات ايشر تحتل مرتبة خاصة في عالمنا اذ انها تتحدانا وتغيرنا وتبعث فينا الفرح.

■كريغ كيتون

فضائل سرمدية تتوق إليها نفوس اطفالكم

الازمنة تتغير
ومعها العادات والمبادئ
لكن هناك قيماً لا تزول

فصلت ابنة صديقتي عن المدرسة لانها غشّت في الامتحان، وهي فتاة في الرابعة عشرة من العمر. وحين انبتها امها قالت: "وماذا في الامر؟ كل شيء يختلف الآن. نحن لا نتقيد بقوانينكم".

واعترفت لي امها بارتباك: "هذا صحيح ويا للاسف. اني لا اعرف كيف اعالج هذه المشكلة".

هل يمكن ان نكون اليوم في حيرة من امر اولادنا لا نعرف ما ننشئهم عليه من قيم في عالم مضطرب وسريع التغير؟

هل نرتجل ما نقوله لهم باستمرار؟ طبعاً لا. فعلى رغم تقلبات العصر لا بد من ان نشعر بالحاجة نفسها التي شعر بها اجدادنا، الى ان نحيا بفرح وشجاعة ونعيش في وئام مع الآخرين ونتمسك بتلك القيم التي تحدد النمو ونصبو الى الافضل.

ما هي تلك القيم؟ فكرت طويلا قبل الجواب عن هذا السؤال، وها انا الخصها بخمس اعتبرها اساسية:

١. الفرح ـ انا قبل اي شيء اعلم طفلي الفرح. ليست السعادة الهدف الاسمى في الحياة، كما اننا لا نملك ان نكون سعداء دائماً. ولكن اذا ما اكتسب احدهم القدرة على الرضا في كل حال كما تُكتسب عادة من العادات، فلا بد من ان يجد عزاء في المحن. ان القصور عن التمتع بالحياة القى الكثيرين في مرارة الاسى. والخبرات الفرحة التي نمر بها تكسبنا شخصية منفتحة وسموحة وتمنحنا رصيداً من الذكريات الطيبة التي تبعث الدفء في حياتنا.

هذا يذكرني بيوم من ايام يونيو (حزيران) قبل سنوات. كانت ابنتي في عامها الاول وقد اتتها جدتها بأول ثمرة فريز (فراولة) رأتها في حياتها. وطفح وجهها بشراً واخذت ترقص وتضحك. وبعدما انتزعت قضمتها الاولى امسكت الثمرة بيدها وراحت تنظر اليها باعجاب كأنها لا تصدق عينيها، ثم التهمت ما تبقى.

كيف يلقن الاهل اطفالهم شيئاً عابراً مثل الفرح؟ انهم غالباً ما يحققون ذلك اذا ما تركوا اطفالهم وشأنهم. فالاطفال يجيدون التمتع بالحياة وما علينا الا ان نساعدهم كي يحتفظوا بتلك المقدرة في حياتهم الراشدة. وافضل ما تفعلينه لطفلك هو

ان تجدي انت السعادة والرضا في حياتك. تمتعي بما يحيط بك فينتقل فرحك الى طفلك كالعدوى.

٢. المحبة ـ ازرعي في طفلك الرغبة في الاحتفاظ بالمحبة وتغذيتها. يشاع عن المحبة في ايامنا انها تشبه ريحاً موسمية تهب وتعصف بشدة ثم تهمد. وهذا مؤسف لان الطفل يحتاج الى محبة ثابتة يطمئن الى تدفقها باستمرار فتكون له اكيدة مثل شروق الشمس كل يوم. فاذا اردنا ان نساعد الطفل لينشأ ويكبر وينضم الى عالم الراشدين، فعلينا ان نزوده بما يحافظ به على المحبة وينميها.

ولا يكفي ان نعلم الطفل كيف يحب بل ان يكون ايضاً انساناً محباً يعتبر المحبة موقفاً اساسياً في الحياة. والمشكلة تكمن في ان اطفالنا اليوم لا ينشأون اناساً محبين. يقول الطفل الدارج لامه: "اني احبك" ثم يضيف بعد لحظات: "انا لا احبك". كيف توجهين بذور الحب هذه لتنمو في شخصية محبة راشدة؟ هناك اسلوب وحيد لذلك هو ان تجعلي طفلك على اتصال يومي بشخص راشد ومحب هو انت.

٣. الصدق ـ علمي طفلك ان النزاهة مسألة غاية في الاهمية. فلا يعقل ان نتصور مجتمعاً سليماً يخلو من الصدق والنزاهة. النزاهة تعني ان يثق الآخرون بنا، ان نطرد الكذب من بيننا ونفي دائماً بوعودنا، ان تكون محبتنا صادقة ومدحنا للآخرين بلا رياء.

في وسعنا ان نلقن اطفالنا النزاهة من خلال نمط حياتي مبني على الصدق. اجاب صبي استاذه يوماً بعدما اتهمه هذا بالكذب: "في عائلتنا لا احد يكذب".

يتعلم الولد الثقة اذا ما اوكلت اليه مسؤوليات. لكن هذا النوع من التوجيه صعب ولطالما فترت محبة الطفل لاهله اذا ما اصروا على موقفهم، وعلى الاهل ان يدركوا ان الطفل يحتاج الى مساعدة كي يدرك معنى المسؤولية. وهذا يعني ان نُلزم الطفل المثابرة على مهمة معينة الى ان يتمها، وهو يعني ايضاً ان ندعه يتم العمل بنفسه حتى وان اقترف اخطاء في ذلك.

والنزاهة تعني ايضاً ادراك الطفل ان عليه تقبل التأنيب اذا ما استحقه. كان ابننا في عامه السادس عندما عثر في احدى المكتبات على كتاب يحوي قصصاً مصورة. ولم يكن يحمل من النقود ما يكفي لشرائه. فما كان منه الا ان استغفل صاحب المكتبة واخذ الكتاب. وعلم زوجي بالامر واتى يروي لي ما حدث، فاتفقنا على دفع ثمن الكتاب. وارتأيت ان نحمل نحن النقود الى صاحب المكتبة، فالصبي لم يزل حديث السن ولن يكرر فعلته اذا تحدثنا اليه في ذلك الشأن.

لكن زوجي لم يقتنع برأيي، وهو اخذ الصغير الى المكتبة حيث اعترف بما فعله. وهو كان على حق، فعلينا ان ندفع ثمن الصدق ومن الافضل ان يدرك الاطفال ذلك في سن باكرة.

٤. الشجاعة ـ علمي طفلك ان يكون شجاعاً كي يعيش حياة نزاهة وصدق ويواجه بصمود احزان الحياة ونكساتها.

كتب الروائي آلان بايتون الى ابنه: "تراك الحياة آتياً اليها فتنتظرك متربصة بك الاذى". فاذا نحن منعنا

الالم عن عالم اطفالنا فاننا بذلك نحجب عنهم الحياة ذاتها.

ولكن كيف نعلم اطفالنا الشجاعة؟ هل نقول لطفل فرح ان الألم آت؟ انا من الذين يؤيدون ذلك. فالطفل مهما يكن صغيراً يجبه بموت جدته او بعذاب كلبه الصغير. وهو يختبر ما معنى ان يغدر به رفاق الطفولة وينصرفوا عنه. وافضل ما نقوله لطفل اصغر من ان يستوعب الملاحظات الفلسفية هو ان هذه هي الحياة.

واسي طفلك اذا اعترته شدة. دعيه يثق من انك تفهمينه، ولكن لا تمنعيه عن البكاء. اقبلي حزن طفلك واسمحي له بالتعبير عن مشاعره، وعندما تهدأ عاصفة حزنه قولي له: "لنر الآن ما يمكنك ان تتعلم من هذا. ولنكتشف معاً كيف تبدأ من هنا منطلقاً نحو الافضل".

يمكنك ان تهيئي طفلك كي يصبر في حال الالم اذا علمته ان يشعر مع الذين يتألمون. فكثيراً ما تهون مصائب المرء اذا التقى شخصاً يحتاج الى مواساته.

٥. الايمان – امنحي طفلك ما يؤمن به. ان معطيات الايمان تختلف حجماً ونوعاً، وهي تراوح بين حلم صبي صغير بان يصبح طياراً وعزم مارتين لوثر كينغ (★) تحرير قومه. ولكن كيف "نمنح" اطفالنا احلاماً جيدة؟ الحقيقة اننا لا نستطيع ذلك، ولكن يمكننا ان نستمع الى احلامهم بمحبة واحترام ونساعدهم في تحقيقها وان بدت لنا ساذجة.

في وسعنا ايضاً ان نفتح عقول اطفالنا على عالم الكتب والموسيقى والفن لان هذه هي المخبأ الافضل للاحلام السامية. كما لنا ان ننشئهم على الايمان بالله الذي هو المجال الاسمى والاوسع للايمان.

عندما كان ابني في الثالثة سمعته يوماً يصلي: "ساعدني ربِ لاكون صبياً طيباً. وعليك انت ان تكون الٰهاً طيباً ايضاً". واعجبني مغزى تلك الصلاة. فاذا ايقن الطفل ان هناك الٰهاً طيباً مسؤولا عن العالم، اصبحت حياته اكثر صفاء كمن وجد درباً في مجاهل غابة مظلمة.

ساعدي طفلك كي يعبر عن ايمانه. فاطفالنا مثلنا يكبر ايمانهم اذا هم طبقوه في سلوكهم.

■ آرديس وايتمان

(★) رجل دين امريكي قاد حركة لمناهضة التمييز العنصري (١٩٢٩ – ١٩٦٨).

فتشوا عن الازواج

خلال اقامتنا في الخارج كان يجاورنا زوجان شابان. وذات مساء دعتني جارتي الى شقتها ووجهها شاحب من فرط الذعر، وأخبرتني أن منزلها تعرّض لسرقة. وكانت جميع الخزائن والادراج مفتوحة ومحتوياتها مبعثرة. وهممت باستدعاء الشرطة، لكني نصحتُها باطّلاع زوجها على الامر أولا. وحُلت المشكلة حين أخبرها زوجها أنه قطع عمله فترة قصيرة أتى خلالها الى المنزل بحثاً عن رخصة سوق السيارات.

ا.م.

مَملكة العميان

قبل سنوات طويلة استطاعت حفنة من العائلات البيروفية التملّص من جَور حاكمها الاسباني، وانطلقت عبر المضايق الوعرة المخيفة والشّعاب الثلجية حتى بلغت وادياً منعزلا في أقاصي فَلَوات جبال الانديز الاكوادورية. وهناك وجدت جُلّ ما يرغبه قلب الانسان: المياه العذبة والمراعي والتربة الخيرة. غير ان داء غريباً أصاب اولئك القوم وجعل جميع الأطفال الذين وُلدوا لهم هناك، وعدداً من أولادهم الأبكار، عمياناً. حدث ذلك ببطء شديد لم يلاحظوا معه، باديء الأمر، هول الكارثة. واخذوا يرافقون صغارهم العميان الى الوادي حتى تلمّسوا أنحاءه وتعلموا طرقه على نحو تام. وهكذا عرفوا أرضهم جيداً حتى بعدما لم يبقَ أحد منهم مبصراً.

ثم حدث اضطراب بركاني قطع عن الوادي أرجُل المستكشفين. ولكن صدف ان أحدهم كان عند طرف من الوادي لدى حدوث الجائحة. وعلى رغم أنه لم يعمّر طويلا بعد ذلك الوقت، الا أنه روى قصة لا تُصدّق عن مملكة العميان سارت في الناس كما تسير الأمثال، وظلّ شَعب الكورديليرا في جبال الانديز يرويها طويلا. وبعد أربعة عشر جيلا من انتشار الوباء تمكن شخص غريب من دخول ذلك العالم المغلَق.

وفي ما يأتي قصة هذا الشخص:

كان نونييز متسلق جبال بارعاً اتخذته دليلا جماعة من الانكليز قصدت الاكوادور لتتسلّق قمة باراسكوتوبيتك، أعلى نقطة في الانديز. وبعد بلوغها سفح تلك القمة أقامت الجماعة مأوى لها تحت

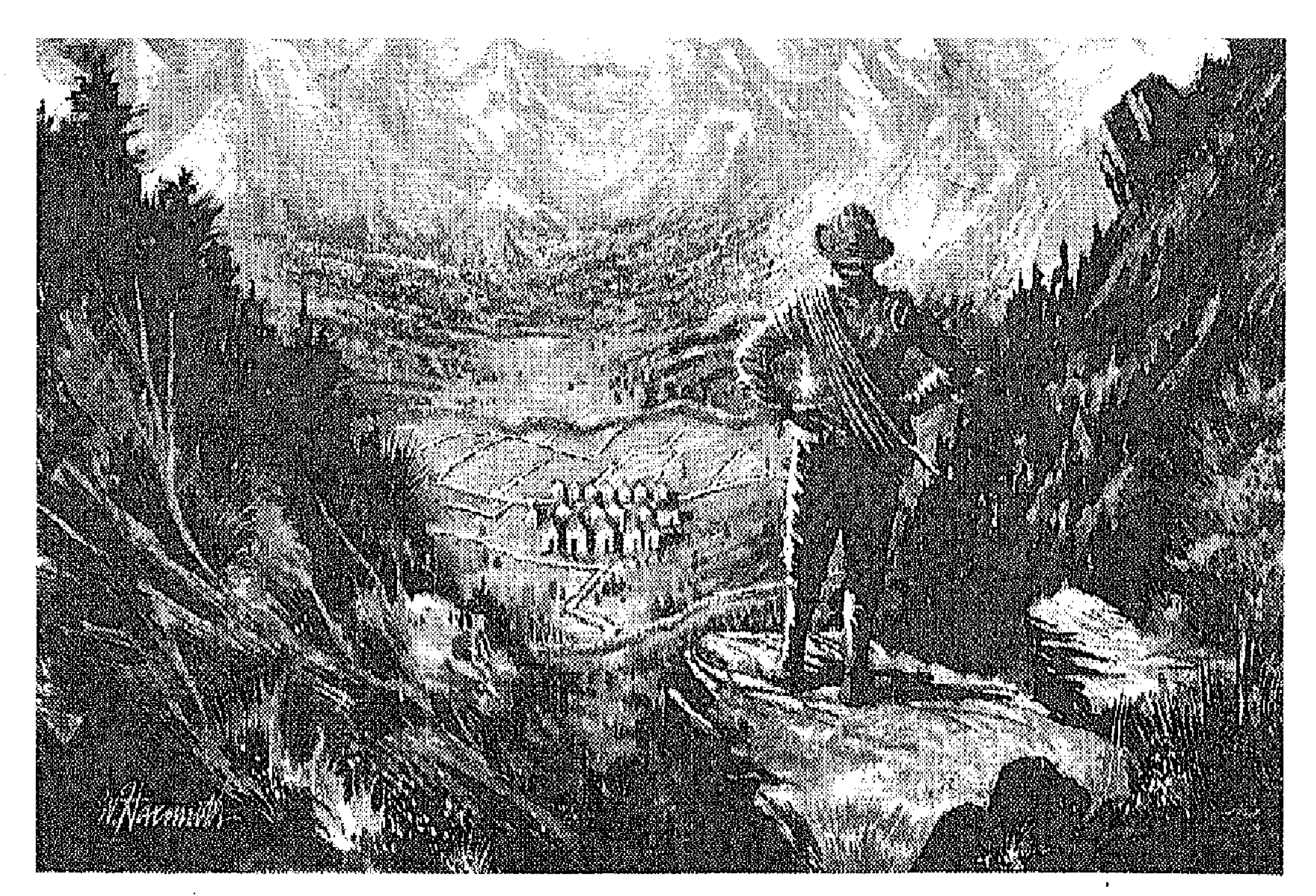
قصة قصيرة بقلم الكاتب البريطاني هيربرت ويلز، تدور على حكمة قديمة قِدَم الحضارة البشرية

الأجراف وسط الجليد والصخر. واختفى نونييز في الليل. ولدى حلول الصباح كانت آثار قدميه ظاهرة فوق الأرض، وبينت أنه انحرف شرقاً وانحدر الى أسفل جرف هائل اختفى وراءه.

والواقع ان نونييز هوى نحواً من ٣٠٠ متر وسط الغيم والجليد، الا أنه نجا. وذُهل من هول ما حدَث، لكن عَظْمة واحدة لم تنكسر في جسمه. وسار نحو تلال أكثر انبساطاً وشق طريقه بعيداً عن الثلج. وشاهد تحته جرفاً آخر يشقه صدع كالمدخنة ولا يفكر في اجتيازه سوى بطل خارق أو انسان أحمق.

وتابع نونييز طريقه الى فوق دونما مَشَقّة حتى بلغ منحدراً تملأه الأشجار. ونظر وراء الأشجار ليرى مروجاً في البعيد تقوم وسطها منازل شيدت بالحَجَر. وكان يطوّق الوادي جدار مرتفع.

وعَبَرَ المضيق المشجر الى سَهْل



تضربه الشمس. ومن هناك بدت له المنازل غريبة جداً. وعلى نقيض بيوت الانديز التي عرفها مشوّشة، كانت تلك الأكواخ تمتد في صفين طويلين من شارع رئيسيّ يتميز بالنظافة التامة. وكان من حين الى آخر يرى باباً يخترق واجهة تلك المنازل، لكنه لم يقع على نافذة واحدة.

ثلاثة عميان ــ اخيراً أبصر نونييز ثلاثة رجال يحملون الدّلاء ويسيرون خلف الثيران. وأطلق صيحة عظيمة، فتوقّف الرجال وأخذوا يديرون وجوههم في هذه الناحية وتلك. ولكن لم يبدر منهم ما يدل على أنهم شاهدوه. وزعق نونييز مرة اخرى قال بَعْدَها لنفسه: "هؤلاء الحمقى يجب ان يكونوا عمياناً".

وعندما دنا اليهم وقف الثلاثة جنباً الى جنب وهم يديرون آذانهم نحوه. ورأى أهدابهم مغلقة وغائرة كأنما مُقَلهم انكمشت وزالت.

وقال أحَدُهم بلغة اسبانية تكاد لا تُفْهَم: "انه رَجُل: انسان أو روح آت الينا من بين الصخور".

وتقدم نونييز نحوهم بخطى واثقة وقد التمعت في ذهنه جميع الروايات التي سمعها عن وادي العميان والمثل القديم القائل: "الأعورُ ملك في بلاد العميان".

وسأل احدُهم: "من أين أتى هذا الغريب، أيها الأخ بدرو؟".

فأجاب نونييز: "لقد اتيتُ عبر الجبال، انطلاقاً من ضاحية مدينة اسمها بوغوتا تضم مئة الف نسمة وتمتد بيوتها وراء البَصَر".

وتمتم بدرو: "البَصَر؟"

ودُهش نونييز عندما أدار الثلاثة وجوههم نحوه بحركة واحدة تلقائية. وتراجع قليلا وهم يمدّون أصابعهم نحوه. غير أنهم قبضوا عليه باحكام وراحوا يتلمسونه. ووجدوا عينيه، بأهدابهما المتحركة، شيئاً في منتهى الغَرابة.

وقال بدرو: "انه مخلوق عجيب يا كوريا، دعنا نأخذه الى شيوخنا".

عندئذ قال نونييز: "في امكاني ان أبصر".

فأجاب كوريا: "تبصر؟"

وقال نونييز وهو يتعثّر بالدلو الذي يحمله بدرو: "نعم، أبصر".

وإذ ذاك انبرى الأعمى الثالث قائلا: "ان حواسّه لا تزال ناقصة، فهو يتعثر ويتفوه بكلمات غير مفهومة، والأفضل ان نقوده بيده".

وأجاب نونييز وهو يسير الى جانبهم ضاحكاً: "افعلوا ما شئتم".

قصة الخلْق - لدى بلوغه القرية أُقحم نونييز في ممر أفضى به الى غرفة حالكة السواد، وراحت أصوات بعض الكبار تستجوبه وهو يحاول وصف العالم الكبير الذي سقط منه، الا أنهم لم يصدّقوا أو يفهموا شيئاً مما قاله لهم، لقد انقطع هؤلاء القوم ١٤ جيلا عن عالم النظر، وهكذا ماتت لديهم اخبار العالم الخارجي وأسماء الأشياء التي تملأه.

وما ان عرف نونييز حقيقة أمرهم حتى جلس ينصت لبقية الرواية، وأخبره اكبرهم سناً كيف كان العالم (وهو يعني واديهم) خلاء لا يحوي سوى الصخور، هذا في البداية، ثم ظهرت الأشياء الجامدة التي لا حسّ لها، وتلتها بعض الحيوانات البرية، وبعد ذلك ظهر الانسان، وأخيراً الملائكة الذين يمكن سماعهم يغنون ويصفقون ولكن لا يمكن لمسهم، وهذا أدهش نونييز كثيراً، الى ان تذكر العصافير.

وتابع الشيوخ روايتهم، فأخبروا نونييز كيف وزّعت الأوقات بين الحرارة والبرد قائلين انه من الأفضل للمرء ان ينام خلال الحر ويعمل خلال البرد.

وحملوا إليه حليب الماعز في وعاء مع خبز يغطيه الملح الخشن، وتركوه يأكل وينام حتى ايقظهم برد الليل ليبدأوا "نهاراً" آخر من العمل، غير أن نونييز لم ينم على الاطلاق.

ودعاه صوت من القرية قائلا: "يا، هو، بوغاتا! انهض وتقدم الى هنا".

ووقف نونييز وخرج وهو مزمع على تلقين اولئك القوم ما معنى البصر للانسان، وحاول السير على حافة الطريق، وما أن فعل حتى جاءه الصوت نفسه يقول: "لا تطأ العشب يا بوغاتا! هذا غير مسموح".

ووقف نونييز مذهولا، وركض صاحب الصوت نحوه عبر الممرّ قائلا: "أتحتاج الى من يقودك كطفل؟ ألا يمكنك سماع صوت الممرّ وأنت تمشي عليه؟"

فضحك نونييز وقال: "بل يمكنني أن أراه".

لكنّ الرجل الأعمى صمت قليلا ثمّ تابع: "ما هي كلمة "أراه" هذه؟ كفّ عن حماقتك واتبع صوت قدمَيّ".

وتبعه نونييز وهو منزعج قليلا، وقال: "سيأتي وقتي، ألم يخبركم أحد أنّ الأعور في بلاد العميان ملك؟"

وسأله الأعمى وهو يضع يده على كتفه دونما اكتراث: "وما معنى العميان؟"

حواسّ مصقولة - انقضت أربعة أيام، وجاء اليوم الخامس وملكُ العميان ما زال مجهولا وغريباً، لا فائدة تُرجى منه بالنسبة الى شعْبه،

وكان هؤلاء يعيشون حياة بسيطة مفعمة بالعمل. وكان لهم الطعام واللباس، وقد صنعوا موسيقى واغنيات كثيرة وأحبوا بعضهم بعضاً ورزقوا أطفالا.

وبدا أن كل شيء في عالمهم المنتظم وجد لارواء حاجاتهم. وصقلت أحاسيسهم حتى بات في امكانهم سماع ضربات قلب أحدهم وهو على بعد اثنتي عشرة خطوة وتمييز الواحد عن الآخر بالشم على غرار الكلاب.

وذات صباح كان اثنان منهم جالسين مع نونييز، فحاول أن يبين لهما قيمة النظر. وشاهد بدرو يتقدم نحوهم من مكان بعيد جداً على السمع أو الشم، فقال لهم: "بعد قليل يكون بدرو هنا". ألا أن بدرو غير اتجاهه وسار نحو جدار الوادي. فما كان من الاثنين ألا أن سخرا من نونييز.

وفكر نونييز في تسديد ضربة الى أحدهما تطرحه أرضاً، وذلك لكي يبرهن لهما قيمة النظر. وما ان حمل رفشه حتى وقف غريماه متأهبين وآذانهما مصيخة اليه فشعر نونييز بخوف لا يوصف حمله على الخروج من القرية.

وعبر مرجاً من ناحية الى أخرى، واطئاً العشب الأخضر الذي التوى تحت قدميه. وما هو الا قليل حتى تقدم نحوه عدد من الرجال الذين يحملون العصي والرفوش وهم يتشممون الهواء وينصتون. وناداه أحدهم: "بوغوتا! يا بوغوتا! أين أنت؟"

فنادى من ناحيته قائلا: "اسمعوا. اني اريد تنفيذ ارادتي في هذا الوادي".

وتابعوا التقدم نحوه وهم يلهثون، لكن خطاهم كانت واثقة. وبدا انهم يلعبون لعبة العميان والمبصر، وفيها تعصب أعين الجميع سوى واحد. وأخيراً وجد نونييز نفسه وسطهم. فقال وهو يتنهد غيظاً: "اسمعوا! اني سأؤذيكم! بحق السماء سأؤذيكم".

وأخذ يركض نحو فرجة في النطاق المضروب حوله. لكن مطارديه العميان ركضوا أيضاً يحكمون الطوق عليه. وسمع وقع خطى وراءه، ورأى أعمى طويل القامة يسرع نحوه وهو يضرب مجرفته نحو مصدر الصوت. وفقد نونييز أعصابه، لكنه استدار وهرب مذعوراً نحو باب صغير في الجدار. وخرج منه الى الصخور وارتمى فوقها يلهث بعياء.

المواطن الصالح – هكذا أحبط الانقلاب الذي حاوله نونييز. وبقي ليلتين ونهارين في العراء بلا طعام ولا مأوى. وأخيراً زحف نحو السور وأطلق الصوت عالياً حتى تقدم أعميان نحو الباب.

وقال لهما: "لقد تصرفت على نحو أخرق. ولكن اعذراني فأن حواسي ناقصة".

فقالا له ان هذا أفضل، وسألاه اذا كان يستطيع أن "يبصر".

فأجاب باكياً: "كلا! لقد كان ذلك حماقة. وتلك الكلمة لا تعني شيئاً". وهو بكى لشعوره بوطأة الضعف والمرض.

وهكذا غدا نونييز مواطناً في مملكة العميان، ونمت الفة بينه وبين الناس. وكان سيده يدعى يعقوب، وهو شخص رقيق حين لا يزعجه

أحد، وكان هناك بدرو، ابن أخي يعقوب، ومدينا - ساروتي، ابنة يعقوب الصغرى، هذه راقت نوعاً ما في عيني نونييز لأن أهدابها لم تكن غائرة على غرار سكان الوادي، مما عنى له أنها قد تصبح مبصرة بين ليلة وضحاها، وكانت أهدابها طويلة، وهذا عاهة في رأيهم، لكنه في نظر نونييز بدا جميلا.

وفي يوم عطلة جلسا جنباً الى جنب في ضوء القمر القاتم، ومد نونييز يده الى يد الفتاة وشد عليها، فشدت بدورها على يده.

بعد ذلك لم ينقطع عن الحديث معها كلما سنحت له الفرصة، حتى جاء يوم تقدم فيه بطلب يدها من والدها يعقوب وكبار القوم.

وقامت أول الامر معارضة شديدة للاقتراح، فالشباب غاظتهم فكرة تدنيس دم القبيلة، وأخيراً طرأت فكرة لأحد شيوخهم فعبر عنها بالآتي: "ان عيني بوغوتا مصابتان بمرض يؤثر في دماغه، فهما منتفختان وأهدابهما تتحرك، مما يعني أن دماغه في هياج مستمر، ولا يلزمه سوى عملية بسيطة لإزاحة هذه الأجسام المثيرة".

نعمة البصر - تبنت مدينا - ساروتي تلك الفكرة وألحت على نونييز بتسليم نفسه للجراحين العميان، فسألها: "أتريدين أن أفقد نعمة النظر؟ أن عالمي كله يقوم على عيني، فبهما أبصر الاشياء الجميلة: الازهار وغروب الشمس... وأنت! أن وجهك الجميل وحده كاف لتكون لي هاتان العينان".

لكنها أجابته: "أود أحياناً لو أنك لا تتكلم على هذا النحو، فأنا أدري أن ما تقوله جميل، أما الآن..."

- أما الآن ... فتريدين أن اوافق على ما ارتئي لي؟

وطوقته بذراعيها وهي تبكي وتشهق قائلة: "آه لو أنك توافق".

ولم يعرف نونييز طعم النوم طوال الاسبوع الذي سبق موعد الجراحة، وعندما حل يومه الأخير المبصر، كانت له بعض هنيهات مع مدينا - ساروتي.

وقال لها: "غداً لن أبقى مبصراً".

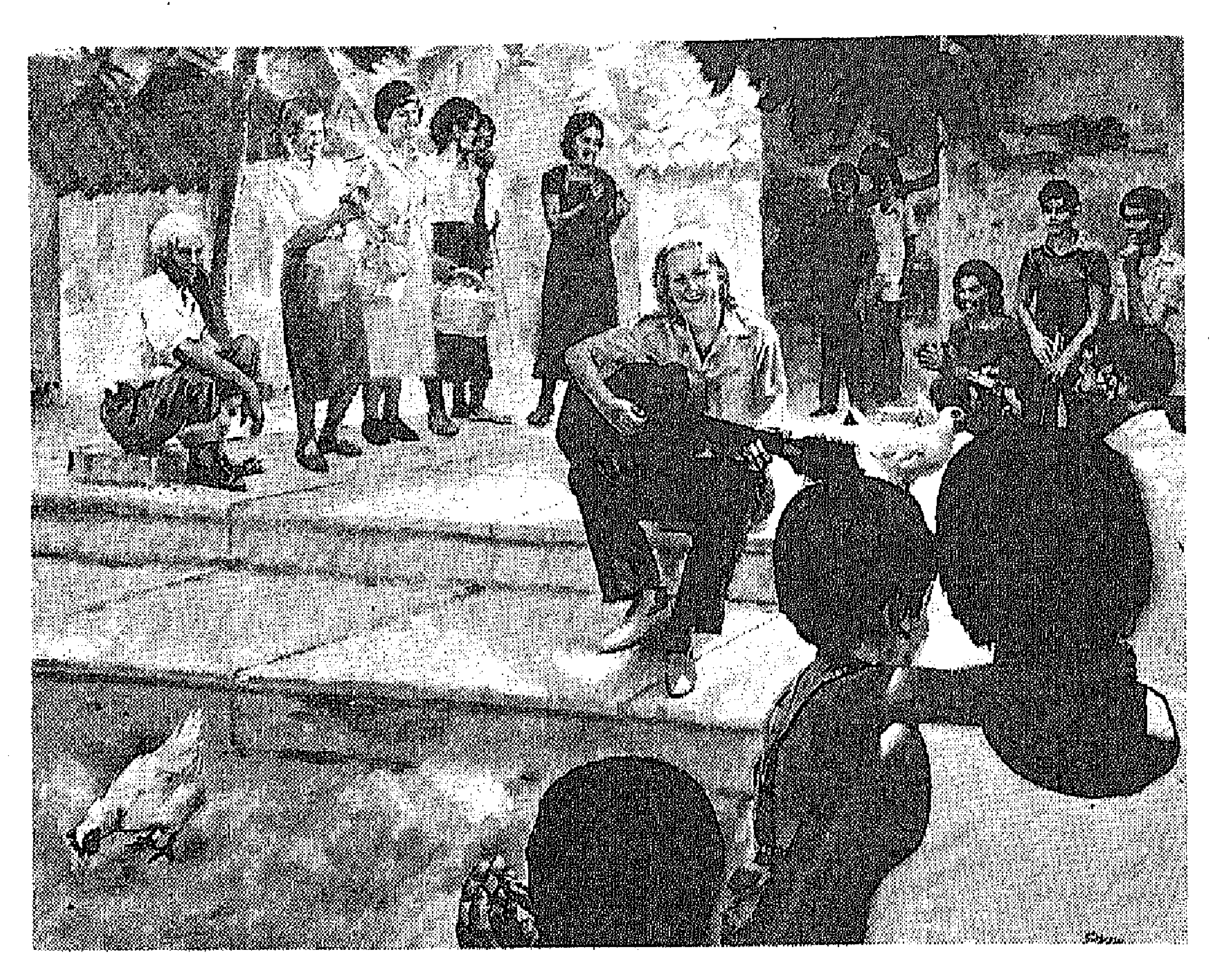
فشدت على يديه وقالت: "هذا لن يؤلمك الا قليلا، ولكن تذكر، يا حبيبي، أنك ستعاني هذا الألم من أجلي".

ونظر الى وجهها الجميل مرة أخيرة وهمس: "وداعاً".

وأراد الذهاب الى مكان منعزل تغطيه الازهار البيضاء والبقاء هناك حتى يحين موعد تضحيته، ولكن ما أن فتح عينيه على الصباح الذي بدا له مثل ملاك في درع مذهب، حتى تابع طريقه صعوداً نحو السور الذي اخترقه الى أن بلغ الصخور، ومن هناك باشر التسلق.

وعند الغروب وجد نفسه عالياً وبعيداً، وكانت ثيابه ممزقة وأطرافه مدماة، وقد أصابته الخدوش في غير موضع من جسمه، لكنه استلقى أرضاً والفرح يغمر كيانه، وغاب خيط الشمس والغسق وحل الظلام، لكنه بقي مضطجعاً تحت النجوم الباردة وهو يبتسم ويشعر بالسعادة لأنه تمكن من الهرب من بلاد العميان، حيث وعد نفسه بالملك.

■ هـ. ج. ويلز



طوبى لصانعي السلام

في السابعة والعشرين
كانت هذه الفتاة تملك جلّ
ما تحلم به فتاة عصرية:
العلم والوظيفة والحب
والنعيم العائلي·
لكنها هجرت هذه جميعاً
لتحمل النور الى أرض
يزحف عليها الظلام

وقف الاطفال يلوحون للسيارة البيضاء التي تهدر عجلاتها عبر الطرق الرملية· والحق أن تلك السيارة، بالنسبة الى أهل السلفادور الذين يعانون ويلات الحرب الأهلية، كانت بمثابة الامل يأتيهم فوق عجلات·وكانت سائقة السيارة تنشد اغنيات ايرلندية هزلية وتحمل الحلوى الى الاولاد، والى المنكوبين الغذاء والدواء· كما كانت تنقل الجرحى الى المستشفيات والمشردين الى المآوي·

تلك الفتاة كانت جين ماري دونوفان· وهي شابة في السابعة والعشرين كرّست نفسها لخدمة

المعذبين في السلفادور. وكانت تقول للفلاحين: "إني لست راهبة... أنا فتاة عادية، مثلكم تماماً". وكانت جين ذات طول معتدل وجسم ممتلىء، وعلى وجهها الضاحك براءة الاطفال. وكانت لها القدرة على بث الرجاء في النفوس.

إلا أن الرجاء خبا ليلة الثاني من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٠. ذلك أن عصابة من الرجال أوقفت السيارة. وكانت مع جين ثلاث راهبات هن دوروثي كيزل وإيتا فورد ومورا كلارك. إلا أنهن لم يقلقن، فأهوال الحرب الأهلية هناك لم تأتِ على مواطني أمريكا الشمالية. وكانت جين ودوروثي كلتاهما شقراوين. وقد قالت جين سابقاً لافراد عائلتها تطمئنهم: "إن ذوي الشعر الاشقر والأعين الزرقاء لا يتعرضون للاذى في السلفادور".

لكن تلك الليلة حملت معها أذى كبيراً. فقد وجدت السيارة البيضاء محروقة ومهجورة صباح اليوم التالي. وبعد يوم رُفعت جثث الفتيات الاربع من مقبرة طافية. وكان الرصاص أطلق عليهن من مؤخر الرأس، واعتدي على اثنتين منهن، وربما ثلاث، قبل اغتيالهن. وعلى رغم أن القصة الكاملة لن تروى على الاطلاق، إلا أن ستة أنفار من القوى السلفادورية المسلحة اعتقلوا واستجوبوا حول الحادث.

الحياة الصالحة ـ من هي جين دونوفان؟ وماذا كانت تفعل في السلفادور؟

لقد وُلدت تلك الفتاة قبل أوانها، فجاءت عنيدة وهي تلهث سعياً الى الهواء. ويقول أبوها راي دونوفان: "أظن أن كلماتها الاولى كانت: شق طريقك بنفسك". وفي حداثتها كانت الفتاة الوحيدة التي تلعب مع الصبيان في أحد احياء وستبورت (ولاية كونيتيكت الامريكية) حيث يقوم منزل والديها، وكانت تصارع كي تجد لنفسها مكاناً بينهم وتتسلق الأشجار أفضل مما يفعلون.

وكثيراً ما كانت تعود الى المنزل بأصدقاء جدد. وتتذكر امها بات ذلك بقولها: "كان بعضهم من عائلات مفككة وبعضهم له ملء الحرية في ان يفعل ما طاب له. وبعد سنوات أسرت اليّ جين بأنها حملتهم الينا حتى يشاهدوا بأنفسهم كيف تكون الحياة الصالحة. والامر نفسه دفعها للذهاب الى السلفادور. وهي قالت لي ان على الناس هناك أن يختبروا الصلاح ويعيشوه لا أن يسمعوا العظات حوله".

مغامرة ورسالة ـ في المدرسة الثانوية حصلت جين على علامات عالية. وانتُخبت رئيسة لصفها، وبرعت في ممارسة رياضة الهوكي على ظهور الجياد حتى غدت فارسة مقدامة. وما لبثت أن دخلت الجامعة ودرست الاقتصاد السياسي.

وحصل حادثان غيَّرا مجرى حياتها. الأول كان إصابة أخيها مايكل بمرض جلدي خطر. وكتبت الآتي: "ذاك جعلني أُدرك كم هي الحياة عزيزة".

وعندما بدأ مايكل يبل من مرضه سافرت جين الى ايرلندا. ويقول مايكل: "ذهبت الى هناك سعياً وراء المغامرة. والسبب نفسه دفعها الى

السلفادور"٠ وفي ايرلندا انضمت الى إرسالية هدفها خدمة المعوزين٠ ومن هناك كتبت الى عائلتها الآتي: "لقد أدركت أن هناك رسالة علي أن أؤديها للآخرين"٠

ولدى عودتها الى الولايات المتحدة بدت محط الانظار فهي تحمل درجة ماجستير من جامعة "كيس وسترن ريزيرف" المرموقة في كليفلاند (اوهايو) وتشغل وظيفة جيدة في شركة محاسبة كبيرة٠ ويقول أخوها مايكل: "كان راتبها يتجاوز العشرين ألف دولار في السنة، ولديها شقة واسعة وسيارتان ودراجتان ناريتان"٠ وفوق هذا كله كان لديها صديق تعاهدت وإياه على الزواج، وهو طبيب شاب اسمه دوغلاس كيبل٠

لكنها لم تنفك، من وقت الى آخر، عن القول أمام الناس: "ثمة شيء آخر، شيء أكبر، اريد تحقيقه"٠ وانضمت الى جماعة "كاليدوسكوب" (المشكال)،وهي حركة شبيبة غايتها مساعدة الآخرين٠ وما هو إلا قليل حتى سمعت بالبرنامج الذي نظمته رعية كليفلاند لمساعدة منكوبي حرب السلفادور٠ فقصدت كاهن الرعية الأب آل وينترز وقالت له: "اريد الذهاب الى هناك كي اكرس بعضاً من وقتي لخدمة الله٠ ان لدي امتيازات كثيرة في حياتي، وربما كان أحدها المقدرة على مساعدة اولئك الذين يحتاجون الى عون"٠وهكذا أرسلت الى نيويورك للتدرب٠

"أنا أهتم!" ـ عند وصول جين الى السالفادور صيف ١٩٧٩ كانت الحرب مقتصرة على الشمال٠ وفي زاراغوزا ولاليبرتاد الجنوبيتين، حيث عاشت وعملت، لم تكن هناك سوى مناوشات خفيفة لا تتجاوز استحكامات تقيمها الشرطة هنا وهناك وطلقات رصاص متقطعة واختفاء أحدهم من وقت الى آخر٠

٠ وقالت جين للمسؤول عن البرنامج: "حدد لي مهمتي، وسأقوم بها"٠ ولم يكن في البرنامج، الذي يضم كهنة وراهبات، سوى علمانيين اثنين، أحدهما جين نفسها٠ وقد عهد اليها في تنظيم الحسابات والاشراف على جوقة الأحداث٠ كما كانت ترشد القرويات حول شؤون التغذية وتوزع الاطعمة على الاطفال الجياع والنساء الحوامل٠ وكانت خلال بضعة أيام في الاسبوع، تنطلق الى القرى المحيطة ببلدة لاليبرتاد وهي تنشد الاغاني وتروي القصص وتلعب مع الاطفال وتقود حلقات المناقشة والصلاة وتقرأ مقاطع من الكتاب المقدس٠

وكانت تسألهم بين وقت وآخر: "هل ترون؟ هل تعرفون ماذا يعني هذا المقطع؟" لكن المزارعين كانوا يستغربون أن يسألهم أحد عن رأيهم٠ ومرة قال أحدهم: "ومن ترى يهتم لرأي فلاح؟" فأجابته جين: "أنا أهتم٠٠٠والله تعالى يهتم"٠

وهي كانت ترى أن ثوار السلفادور، وهم تجمع يحوي اناساً من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، كانوا على ضلال٠ لكن جين، في الوقت نفسه، وجدت أن الزمرة العسكرية الحاكمة ليست في وضع أفضل٠ وأدركت أن مكانها في الوسط، مع الاكثرية المعذبة من المزارعين غير الملتزمين سياسياً٠ وتقول الاخت كريستين برودي التي

عملت معها: "لم تكن جين ذات ميول سياسية، مثلنا جميعاً". غير أن الفرقة حوربت من أهل اليسار على أنها تضم "مستعمرين أجانب" ومن أهل اليمين على أنها تنشر "رسالة منحرفة".

اشتداد العنف ـ ألقى الخوف ظله على السلفادور. ومع الوقت أصبح الجزء الأكبر من عمل جين دفن الجثث المرمية على قارعة الطريق. وقويت النزعة الى اغتيال الكهنة السلفادوريين. وفي شهر مارس (آذار) ١٩٨٠ قتل المطران اوسكار روميرو.

وغدت ألعاب التسلية والقصص واللقاءات محفوفة بالأخطار. واضطرت الارسالية الى قصر نشاطها على الديني. وهي أقامت على أراضيها مراكز موقتة لايواء اللاجئين. وكانت جين تقود السيارة البيضاء، تحمل المشردين والجياع والجرحى من الجانبين.

وفي خريف ١٩٨٠ أخذت جين إجازة شهر، صرفت الجزء الأول منه في ايرلندا حيث اجتمعت بخطيبها دوغلاس وحضرت زفاف صديقة. ويتذكر دوغلاس تلك الفترة بقوله: "لقد تبدلت جين، ولم تعد قصصها تدور على المغامرات الخفيفة بل أصبحت وصفاً للاجساد المشوهة الملقاة أينما كان، وللأمهات اللواتي يقصدنها حاملات جثث أطفالهن كيما تباركها، وللقرويين الذين يخترق الرصاص أجسادهم وهم يحاولون عبور النهر الى الهندوراس".

وعندما وصلت جين الى الولايات المتحدة رجتها أمها ألا تعود الى السلفادور. فأجابتها: "كما أسمعك جلياً يا أماه، فهناك صوت آخر أسمعه، بالجلاء نفسه، يحثني على العودة". وبعد رجوعها استأنفت مخابرة ذويها اسبوعياً، لكنها لم تقل شيئاً عن العنف الذي كان يزداد.

وفي رسالة أخيرة الى صديق في ولاية كونيتيكت كتبت جين: "إني أُحبّ الحياة وأُحبّ أن أعيش. مرات كثيرة راودتني فكرة الاعتزال، وكدت ان أفعل لولا الاطفال، ضحايا جنون البالغين. من ذا الذي يطاوعه قلبه على هجر دمعهم وبؤسهم وسماع صوت العقل؟ ليس أنا، يا صديقي، ليس أنا".

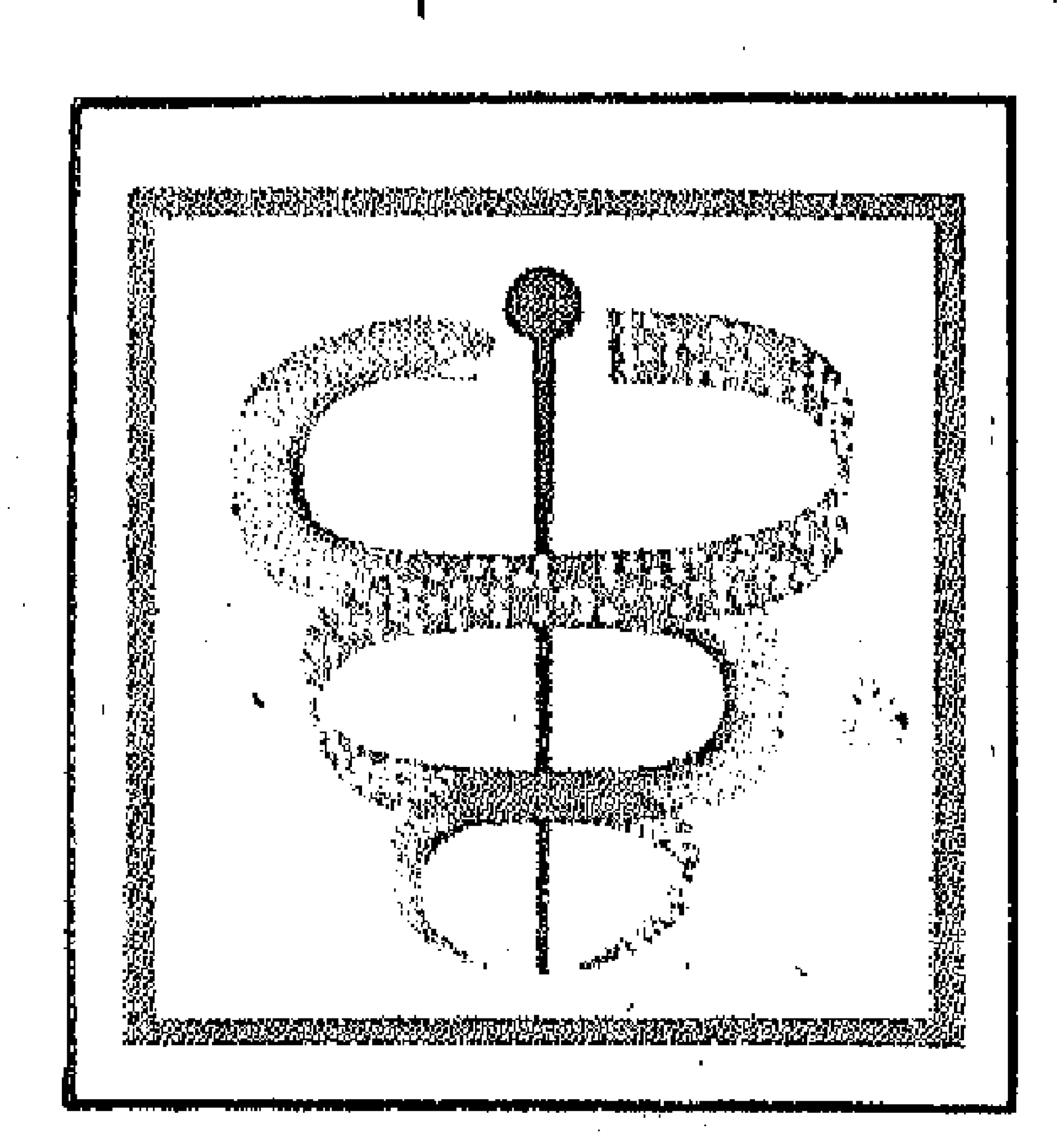
وعندما سُجّي جثمانا جين دونوفان والاخت دوروثي كيزل في الهواء الطلق في لاليبرتاد، شارك القرويون بأعداد غفيرة في الصلوات التي أُقيمت طوال الليل، متحدين جميع الاخطار. وعندما حُملت الجثتان الى المدفن وقف الجموع يصفقون والدموع تسيل من أعينهم.

ومن يذهب الى تلك القرى اليوم، يجد أن أهلها ما زالوا يتذكرون جين وكيف كانت تنتظر المتطوعين. وكانت، إذا أحجموا خوفاً، قالت لهم: "بئساً لكم! إني لن أبقى معكم مدى الايام. وينبغي أن تتعلموا إنجاز هذه الأمور بأنفسكم".

وبعد مقتل جين ذهب أفراد فرقتها من مزارعين ومراهقين، واحداً بعد آخر، الى كاهن الرعية، يقولون له: "الآن يجب أن نتابع المسيرة. وكما قالت جين، علينا إنجاز أمورنا بأنفسنا".

■ كلير سافران

أصداء من عالم الطب



أمل للمصابين بالصرع

هناك أمل جديد لمرضى الصرع (داء عصبي) الذين يتناولون العقاقير. ويقول الباحثون في مستشفى جامعة جونز هوبكنز الامريكية في بالتيمور (ولاية ماريلاند) ان أكثرية الذين يعانون هذه العلة منذ طفولتهم بات في امكانهم التطلع الى يوم يزول مرضهم. وقد جاء في التقرير الذي نشر في "مجلة نيو انغلاند الطبية" ان في الامكان تعيين المرضى الذين يجدي فيهم قطع الدواء، وهم الاولاد الذين لم تتجاوز نوباتهم الثلاثين قبل بدء العلاج، شرط أن تكون الموجات الدماغية لديهم طبيعية أو شبه طبيعية. وهناك ٩٥ في المئة من هؤلاء يمكنهم الاستغناء عن العلاج.

وجاء هذا الاكتشاف نتيجة دراسة أجريت على ٦٨ حدثاً عولجت نوباتهم بالعقاقير طوال أربع سنوات. وبعد انقاص العلاج تدريجاً، لم يعرف خمسون منهم أي نوبة في السنوات الست التالية. ويقول الباحثون ان أربع سنوات من دون نوبات دليل كاف على زوال الصرع.

اذاعة "وستنغهاوس"

سرطان العقد اللمفاوية

قبل ١٦ سنة، كان حظ المصابين بسرطان العقد اللمفاوية في الحياة لا يتجاوز السنتين. لكن هذا المرض بات يُعَدّ اليوم قابلا للشفاء في كثير من الحالات، كما يقول الدكتور فينسنت دو فيتا وزملاؤه من المعهد القومي الامريكي للسرطان في تقرير نشروه في مجلة "حوليات الطب الداخلي".

وكان الفريق أجرى اختباراً عام ١٩٦٤ للتحقق من فعالية العقار "موب" في معالجة الحالات المتطورة من هذا المرض. والدواء المذكور مركب من العقاقير الآتية: مكلوريثاميين، فينكريستين، بروكاربازين، بريدنيزون. ومن المرضى الـ١٩٨ الذين عولجوا بهذه الطريقة حتى العام ١٩٧٦، هناك ٨٠ في المئة حققوا تحسناً ملحوظاً بعد ثلاثة أشهر من بدء العلاج. ومن هؤلاء ١٠٧ مرضى لم يظهر عليهم أثر لهذا المرض خلال السنين العشر التي أعقبت العلاج.

مجلة "أخبار العلم"

علة الرياضيين

هناك "علة" بصرية لدى عدد كبير من الرياضيين المحترفين، لكنها ذات فائدة ايجابية في لعبة البيسبول (كرة القاعدة) وان تكن مؤذية في حال العمل الاكاديمي الذي يعتمد القراءة والكتابة. والعلة المذكورة هي تفوق العين اليسرى لدى اولئك الذين يستخدمون اليد اليمنى وتفوق العين اليمنى لدى الذين يستخدمون اليد اليسرى. وهذه "النقيصة" تساعد لاعب البيسبول بجعله يسيطر على الكرة التي يراها جيداً وهي بعيدة عنه لأنه ينظر اليها بعينه القوية. وعلى رغم ان هذه الحال ليست غالبة بين سواد الناس اذ انها لا تتجاوز العشرين في المئة، الا ان خمسين لاعباً ماهراً من أصل ٢٥٠ وجدت لديهم هذه الظاهرة.

صحيفة "شيكاغو تريبيون"



كان الساحر يخرج افعى من العصا
فغدت هذه مخبأ للأحلام، من الساعة الى السيف

قصتنا مع العصي تعود الى بضعة آلاف سنة. فالفرعون توت عنخ آمون كان يملك مجموعة عصي ذهبية يحملها كشارة للحكم. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر جرت العادة ان يدقق الرجال في اختيار عصيهم لتناسب ملابسهم، تماماً كما يختارون ربطة العنق اليوم. ويروى عن المفكر الفرنسي الشهير فولتير انه كان يتباهى بخزانة ثيابه التي حوت اكثر من ٧٥ عصا.

انا شخصياً افضل العصي التي تخفي غاية معينة. في القرن التاسع عشر كانت "العصا ـ الاداة" من كماليات الاناقة لدى الاثرياء، كما استخدمها الحرفيون لحمل عدتهم. عازف البيانو وضع فيها مطرقة الدوزنة وعامل السكة الحديد ضمنها مقياساً لعرض السكة والمصور الفوتوغرافي امسك عكازاً كان يتحول ركيزة ثلاثية القوائم تثبت عليها آلة التصوير. وفي مجموعتي الشخصية

Condensed from The Encyclopedia of Collectibles, (c) 1978 by Time - Life Books Inc., Alexandria, Virginia.

مقبض عصا من الخشب في شكل رأس كلب سلوقي، وهو كان شائعاً في بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا (١٨٣٧ - ١٩٠١)٠ عصا تعود الى نهاية القرن التاسع عشر وعلى مقبضها العاجي رأسا جوادين اصيلين يتسابقان في الطليعة ويتبعهما جواد ثالث٠

عصا نادرة ذات مقبض يخفي آلة تصوير٠

وبين الاشكال الشائعة للعصي - الادوات تلك التي تخفي اسلحة٠ فهناك العصا - السيف والعصا - الخنجر٠ ويدار مقبض بعضها فيطلق النصل، ويستل السلاح في بعضها الآخر بضغط زر في شكل حلية صغيرة في المقبض٠ وفي بعض عصي المشي يطلق النصل من مؤخر العصا بواسطة مفتاح خفي في المقبض٠

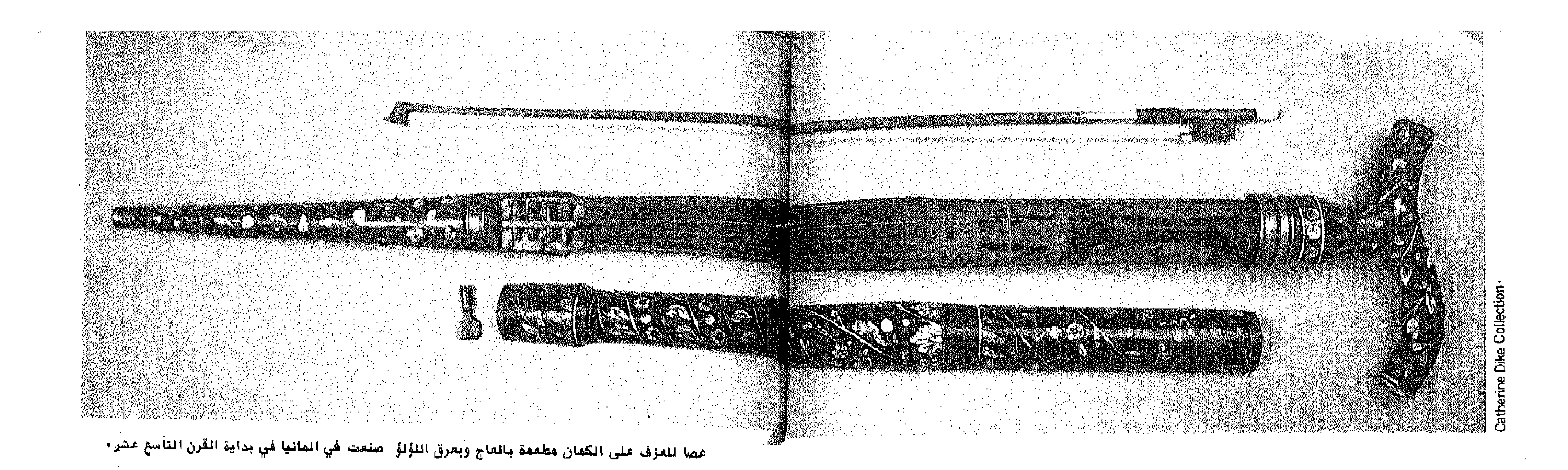
والضغط على الحلى المثبتة في عصي غريبة قد يشكل خطراً٠ فهناك تاجر اعرفه كان يتفحص عصا للمشي، فضغط زراً في المقبض اطلق نصلا بسرعة فائقة فانغرس في خشب مكتبه٠

والى العصي - الاسلحة التي تخفي نصالا، هناك عصي اخرى تأوي اسلحة نارية من مدافع صغيرة وبنادق ومسدسات، وقد ثبتت في قضبانها متفجرات٠ وتضم المجموعة التي امتلكها نحو مئة من العصي - الاسلحة تطلق النار باكثر من عشرين طريقة مختلفة٠

وتقدر قيمة العصا - الاداة استناداً

عصي من مجموعة الكاتب وهي من اليسار:
عصا من الفولاذ لها رأس حربة، وهي مغلفة بالجلد وتعلوها بوصلة٠
عصا ايطالية الصنع من الخشب المطعم٠
عصا ذات مقبض في شكل رأس نسر تخفي مسدساً٠
عصا للمشي من خشب الماهوغاني٠
عصا طبيب تحوي عدة طبية٠
عصا خشبية من جزر هاواي رأسها في شكل ثمرة الاناناس٠
عصا رجل سياسة يعلوها تمثال نصفي لغروفر كليفلاند الرئيس الاسبق للولايات المتحدة٠
عصا - ساعة تعود الى قرابة العام ١٨٧٠ ويفتل مقبضها لتعبأ الساعة٠
عصا تحمل علبة فضية للسجائر٠
عصا من خشب الليمون متقنة الحفر٠
عصا للسيدات تستخدم للدفاع عن النفس وتنطلق من رأسها ستة مسامير ضخمة عن طريق ضغط زر مثبت فيها٠

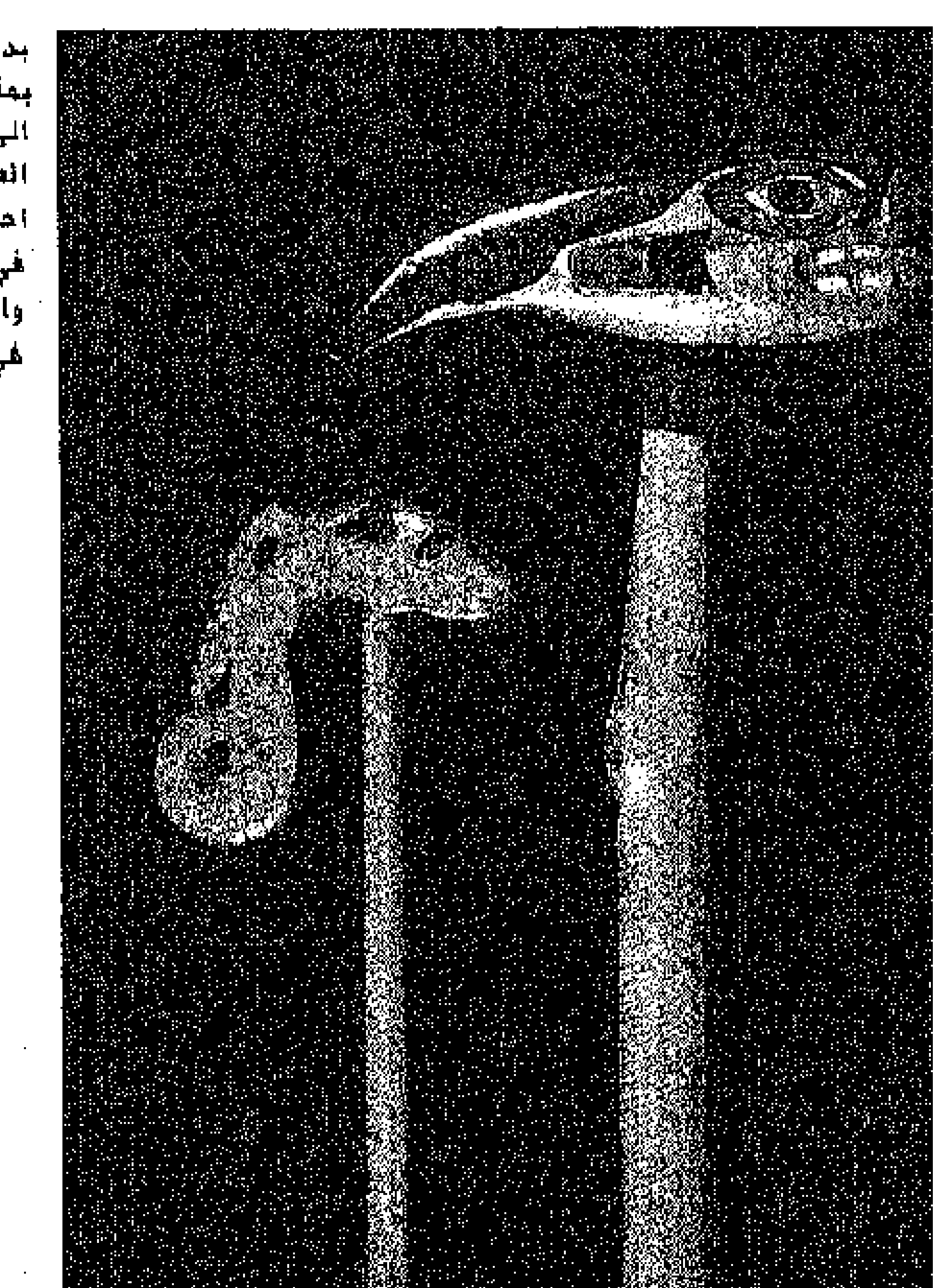
Francis H. Monek Collection



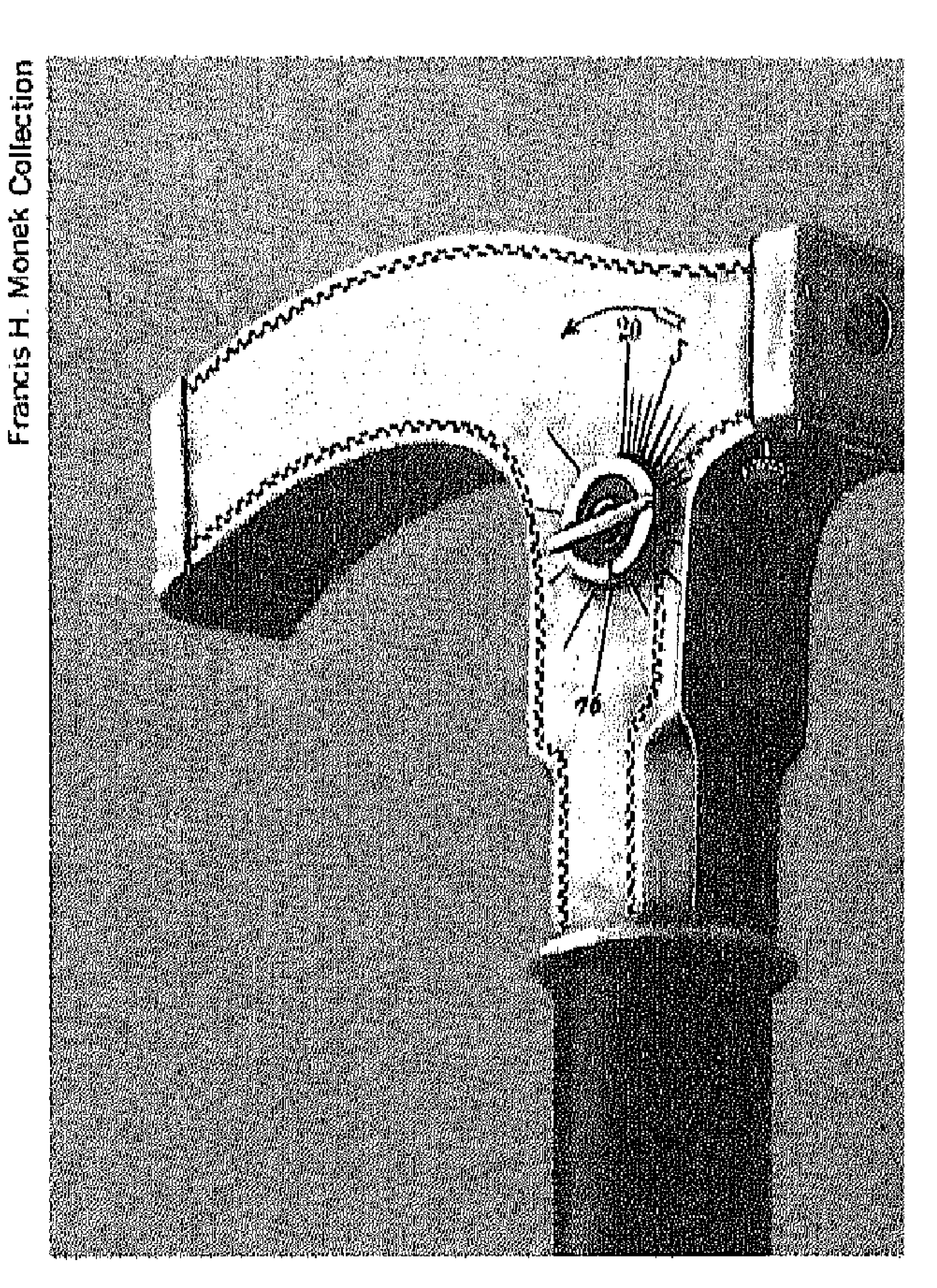
عصا للعزف على الكمان مطعمة بالعاج وبعرق اللؤلؤ صنعت في المانيا في بداية القرن التاسع عشر.



عصي ـ اسلحة وهي من اليمين
مسدس ذو زند مصون
وفيه تسع حجرات مستقلة للذخيرة،
من صنع المخترع
البريطاني كليفت (١٨١٤)،
عصا تحتوي على مسدس جيب
من انتاج الولايات المتحدة،
عصا ـ مسدس ذات
مقبض من ذهب،
مسدس ذو ست طلقات مع خنجر،
مسدس من صنع هيرستال
مثبت في عصا للمشي
ذات مخزن لاربعين طلقة،



بدائيتان من الخشب المحفور
بمقبضين ملونين، تعودان
الى بداية القرن العشرين،
العصا الى اليسار من صنع
احد سكان الجزر الجنوبية
في المحيط الهادىء
والاخرى من صنع الاسكيمو
في ولاية آلاسكا.

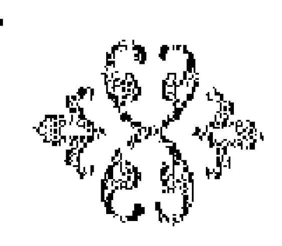


آلة تصوير للشرطة السرية.
عدسة الآلة مخفية في الطرف الايمن من مقبض العصا
والحلقة تلف فيلم التصوير
والارقام تشير الى عدد اللقطات.

الى وظيفتها التي تبقى غامضة في احيان كثيرة. اشتريت يوماً عصاً من هاو كان يود ان يتخلص من مجموعته واخترت منها عصا بدت لي كأنها تخفي شيئاً. ونقرتها خلسة علني اسمع خشخشة، وهززتها وشددت المقبض، لكني اخفقت في تأكيد ظني. بيد اني لمحت خطاً خفياً في قصبتها يشير الى انها صنعت من قطعتي خشب ثبتت احداهما بالاخرى. وكان الخط رفيعاً جداً الى حد اني عجزت عن معرفة مغزاه. لكني اشتريت العصا ومضيت بها.

واذ عدت الى الفندق قبضت على قصبة العصا بكلتا يدي وشددت بقوة محاولا فتحها، فانفلعت محدثة صوتاً حاداً واستللت منها سيفاً رائع النقش. لقد اخفي السيف في العصا ببراعة فائقة حتى ان صاحبها لم يدرك انه كان يملك عصا ـ سيفاً. ولا عجب في ذلك، اذ يبدو ان احداً لم يحاول فتح العصا طوال مئة سنة.

■ فرنسيس مونيك



المتأخرات اولا

صلاة رجل أعمال: "رباه، اني أُحيلك على صلواتي السادسة والسابعة والثامنة للشهر الماضي التي لم أتلق جواباً عنها بعد".

ا.ك.

زوجة واسعة الخيال

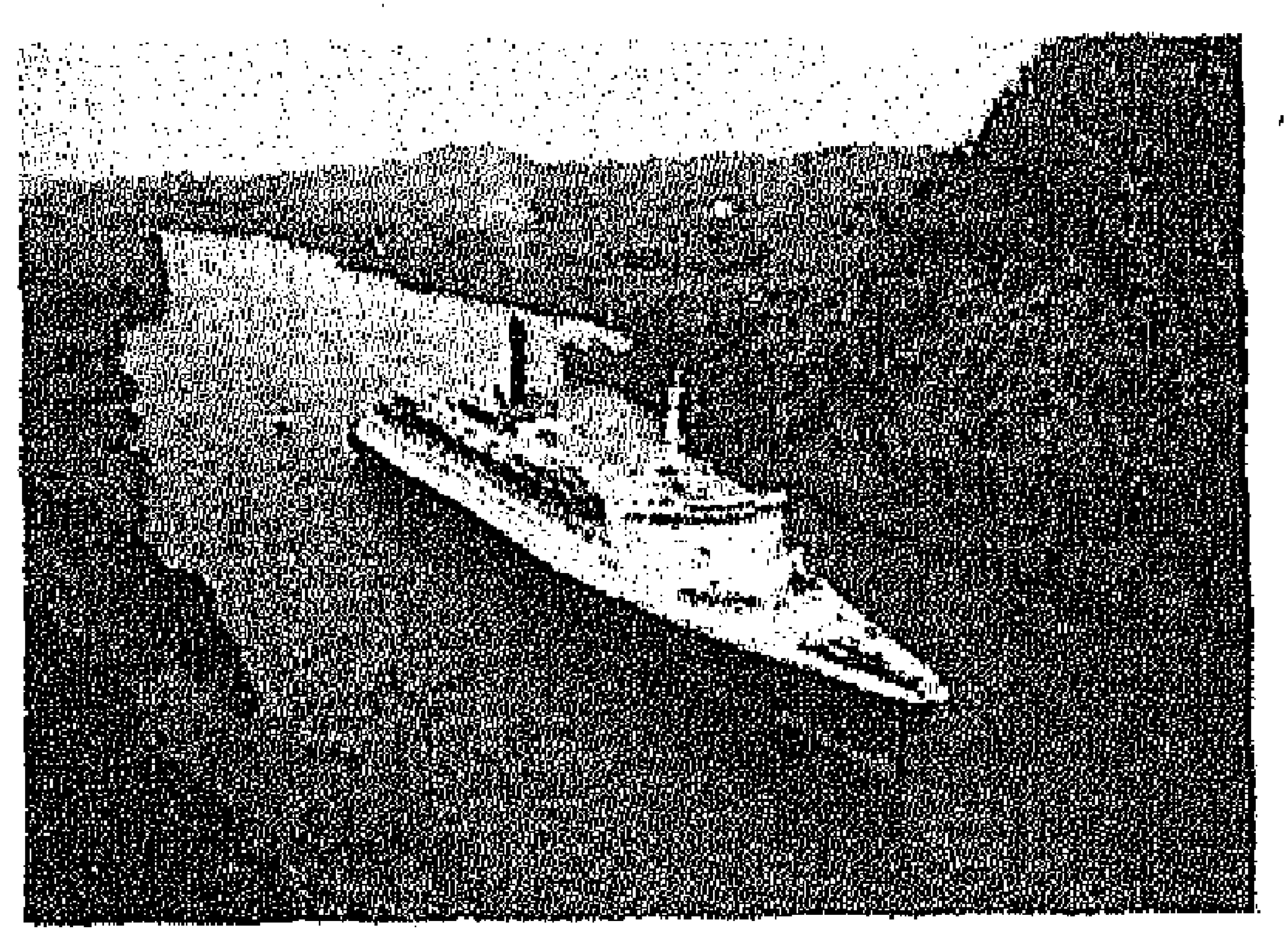
قالت مذيعة التلفزيون: "لقد بينت الاحصاءات أنه في الصين يولد طفل كل ٤٧ ثانية". فما كان من احدى المشاهدات الا أن قالت لزوجها: "يبدو أنه مجتمع دقيق التنظيم، اذ تمكن من ضَبْط الفاصل بين ولادة واخرى".

م.غ.

"اليزابيث الثانية"

ملكة البحار

عش ملكاً خمسة ايام
في رحلة بحرية
بين اوروبا وامريكا
على متن افخم بواخر العالم



"الملكة اليزابيث الثانية" تعبر قناة بناما.

اول ما تتبينه من "الملكة اليزابيث الثانية" هو انها لا تشكو عقدة التواضع الزائف. فهي في خطوط سفر "كونارد" تعتبر "افخم باخرة في العالم".

اما الانطباع الثاني فهو انها لا تصلح لسفر كبار الموظفين الذين يودون الافادة من رحلتهم لتحضير التقارير المالية، الا اذا كانوا يملكون ارادة من فولاذ، لان اموراً كثيرة تنتظرهم على متن هذه الباخرة الرائعة التي تعتبر افضل فندق عائم في العالم.

انها مزودة باربعة اجهزة لحفظ التوازن تخفض حدة تمايلها الى ثلاث درجات كحد اقصى، وهي مجهزة للابحار وفقاً لتوجيهات قمر اصطناعي. ويتولى دماغها الالكتروني رصد الاحوال الجوية وتسجيل السرعة واكتشاف الاخطار التي تخبئها البحار فضلا عن ضبط المحركات. وليس في طاقمها مدير محاسبة اذ انه ابدل بمدير فندق.

كل من يتوق الى السفر على متن "الملكة اليزابيث الثانية" عليه ان يحقق حلمه خلال السنين العشر المقبلة، اذا كان يملك رصيداً مالياً مناسباً. لقد انزلت الباخرة الى الماء عام ١٩٦٧، وسوف تصبح عجوزاً بعد ٤٠ سنة. وما ان تقبل التسعينات

Condensed from Gourmet (August' 79), (c) 1979 by Gourmet, Inc. New York, N.Y.
Photos and diagram courtesy of Cunard Line.

حتى تغدو مهجورة او تحول متحفاً او فندقاً يرسو على شاطىء احدى امارات الخليج. انها اليوم آخر بواخر الركاب التي تنتقل بانتظام بين اوروبا والولايات المتحدة، وهي تجتاز المحيط الاطلسي ٢٣ مرة بين ابريل (نيسان) وديسمبر (كانون الاول) من كل سنة. وخلال ما تبقى من العام، اي بين يناير (كانون الثاني) ومارس (آذار)، تنضم الى البواخر التي تقوم برحلات استجمام خلال فصل الشتاء.

لتكون مسكنهم طوال خمسة ايام. وتعزف فرقة موسيقية لحن "الحياة على متن الامواج"، ثم تبحر "الملكة" في الحادية عشرة والنصف.

ويأتيك من المذياع صوت بلهجة سكان لانكشير: "صباح الخير، ربان الباخرة يرحب بكم على متن "الملكة اليزابيث الثانية"". ثم يضيف معلومات حول الطقس والبرنامج اليومي للباخرة.

في جناح الدرجة الاولى تجد عدداً

دجاجة متعجرفة — رغبت مرة في السفر على متن باخرة فخمة، فحجزت مقعداً في رحلة عبر المحيط الاطلسي خلال شهر اغسطس (آب).

كان المطر ينهمر في ميناء سوثامبتون جنوب بريطانيا. "الملكة اليزابيث الثانية" تنتظر بصبر وقد انتصب مقدمها فوق الماء الساكن مثل جرف عال، فبدت في عجرفتها كدجاجة رابضة. ويصعد اليها ١٢٠٠ راكب، ٦٥ في المئة منهم امريكيون،

من عشاق الابحار. الجو هنا هادىء. اما في جناح الدرجة السياحية فانك ترى الاهل يصحبون صغارهم الى قاعة اللعب حيث يرفه عنهم مهرجون محترفون وتعرض افلام سينمائية للصغار. واما الفتيان فانهم يلهون بكرة الطاولة. وتجد الركاب هنا وهناك يدققون في الخرائط ويستكشفون اجزاء الباخرة ويتوهون في خباياها. ويبلغ عرض "الملكة اليزابيث الثانية" ٣٥ متراً

وطولها ٢٩٤ متراً، وفيها ١٣ منصة تبلغ مساحتها الاجمالية نحو ٣٧٠٠ متر مربع.

وقرابة الثالثة بعد الظهر يخضع الركاب لتمارين على استخدام قوارب النجاة. بعد ذلك تجدهم يتراخون في الردهات او يذرعون السفينة ذهاباً واياباً ليتعرفوا الى الركاب الآخرين. وفي صالة السينما عرض لفيلم امريكي جديد. كما ان غرف المطالعة مفتوحة دائماً.

الرأس واليسرى الى الجنب! الآن اقفز ثلاث مرات، واحد، اثنان، ثلاثة! حسناً، بدل واقفز ثانية!"

بقيادة المدرب الرياضي اريك مايسون ترانا قطعنا السفينة ثلاث مرات جرياً، وها نحن الآن نقفز على ظهر السفينة بين اوتاد الكُت (★) اننا ١٥ او ٢٠ شخصاً، وبيننا احداث. لماذا يقبل على الرياضة من لا حاجة به اليها؟

الساعة الآن العاشرة والنصف صباحاً. بعض الركاب الذين لا يحبذون الرياضة يجلسون في المقصف ويتحدثون في امور شتى، من علم الانساب الى الموسيقى والبورصة ومستحضرات التجميل وعلم المحيطات. في كل سفرة تقدم "الملكة" عدداً من المحاضرين والممثلين والموسيقيين. وتتشابك الاحاديث الثقافية بالمسرحيات والحفلات الموسيقية وحلقات لعب الورق (الشدة) والنرد ودروس الاشغال اليدوية وتمارين الغولف والرماية.

واذا لم تكفك حرارة الشمس عند بركتي السباحة على المنصتين المكشوفتين، فهناك حوضان آخران في المنطقة السفلى. انهما من الاحواض القليلة في العالم التي تتحرك في اتجاه الشمس يمنة او يسرة وفقاً لوجهة الباخرة. وقرب بركتي السباحة قاعة رياضة وحمام بخاري وآخر تركي.

وفي الكازينو طاولات للعب الورق

وبعد قليل يلتئم في مقدم الباخرة حشد صغير ليشاهد شاطىء فرنسا. ونصل الى مرفأ شيربور وسط الهتاف وصيحات الاعجاب، فيصعد الى الباخرة ساعي بريد فرنسي ليتسلم الرسائل ويبيع الطوابع.

وفي الثامنة مساء نغادر المرفأ، وامامنا تربض الشمس في الافق الرمادي حمراء كالدم.

محطتنا المقبلة هي نيويورك.

حمام تركي — "ذراعك اليمنى فوق

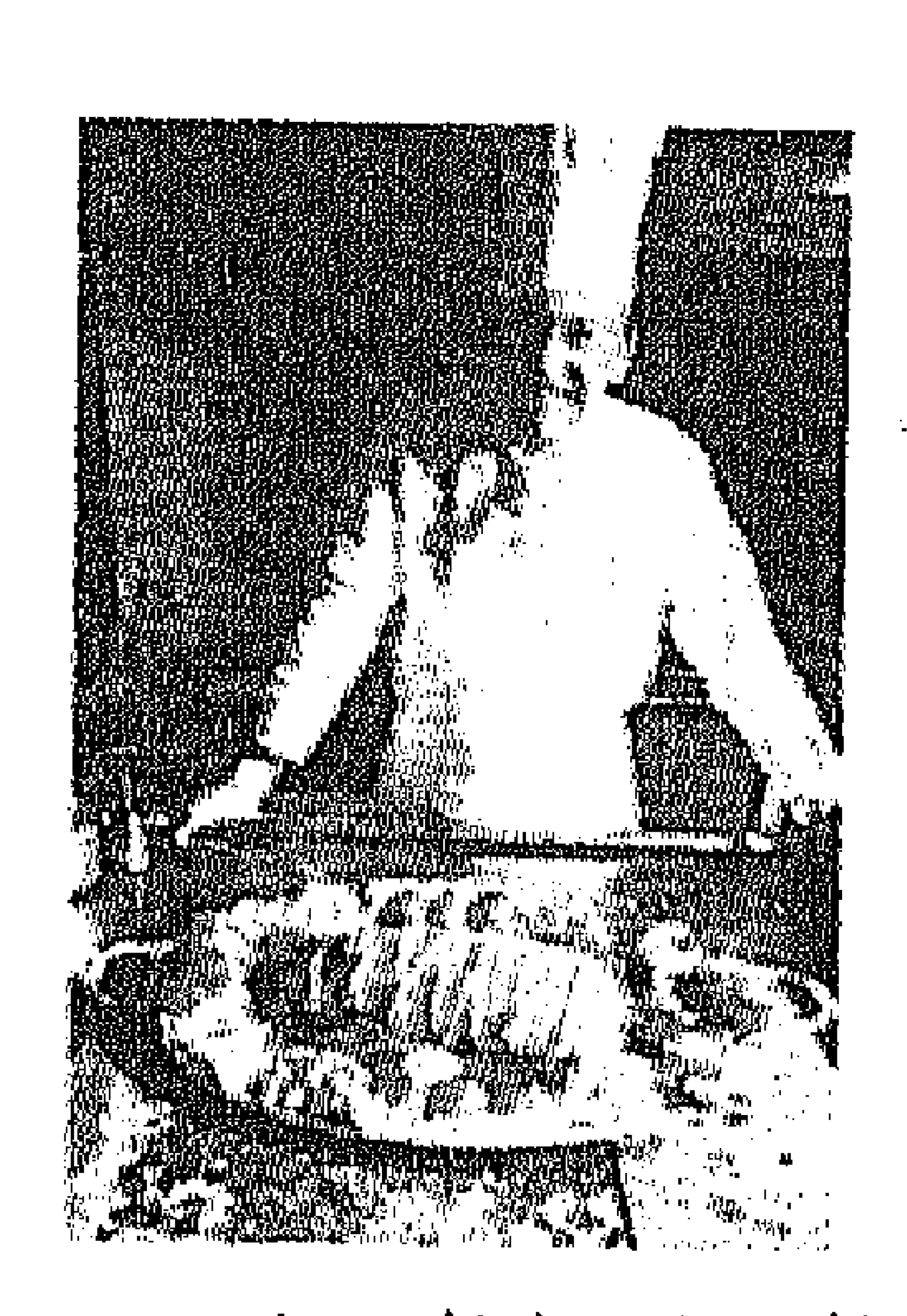
(★) لعبة ترمى فيها حلقات معدنية لتطوق وتداً غرس في الارض.

ولعبة الروليت وآلات تزودك بعصير الفواكه. واذا كنت تشعر بان بعض جمال الدنيا يفوتك فان "اليزابيث الثانية" تضع في تصرفك صالونات التجميل والحلاقة لديها. وفي وسعك ايضاً ان تذهب الى عيادة طبيب الاسنان او تحمل ثيابك الى الغسالة الآلية او تدخل المستشفى لتحقن ضد اعراض الدوار في مقابل خمسة دولارات، على رغم ان الباخرة تبدو بلا حراك اذ تمخر المياه الهادئة متوجهة غرباً بسرعة ٢٨،٥ عقدة (٥٢ كيلومتراً في الساعة). كما يمكنك ان تلزم غرفتك وتستمع الى الراديو الذي يبث على ست موجات مختلفة.

واذا حجزت جناحاً في الدرجة الاولى فهذا يعني انك دفعت ١١٥٠٠ دولار ذهاباً، في حين يمكنك ان تحجز لسفرك ذهاباً واياباً في الدرجة السياحية بـ٨٤٥ دولاراً. وهناك شقتان فخمتان تؤجر الواحدة منهما بنحو ١٨٥ الف دولار للسياحة السنوية حول العالم، وهي تستغرق ٨٠ يوماً. هاتان الشقتان هما اول ما يحجز على الباخرة.

في المطبخ - البط المعد بالبرتقال كان افضل طبق تناولته في مطعم "الاميرة" وهو احد المطاعم الثلاثة على متن الباخرة (يتسع "المطعم الدولي" لـ٨٣٠ شخصاً ويقدم افضل اطباق المطابخ العالمية) اتاني الطبق شهياً، ناضجاً، كاد اللحم فيه ان ينفصل عن العظم، وفيه قطع لولبية الشكل من البطاطا وقد زينته شرائح البرتقال وحبوب الكرز المغلفة بالسكر.

ولو ان معدتي سمحت لتناولت



بعض الفراولة (الفريز) او الحلوى. الا اني في الصباح اكلت السمك واللحم المجفف والبيض، ثم جلست ظهراً الى وجبة الغداء التي اوصى بها رئيس الطباخين وهي تضم الشمام (البطيخ الاصفر) وحساء الدجاج مع الكري وشريحة من لحم البقر مع البطاطا المقلية وحلوى التفاح مع صلصة المشمش. ولكن لا بأس، فسأجري غداً دورة اضافية حول السفينة واتناول الوجبة ذات الوحدات الحرارية المنخفضة (عصير البندورة وشريحة لحم غنم وسلطة وفواكه).

اطلعني جون بينبريدج مدير المطبخ على لائحة المؤن التي تعد للسفرة الواحدة عبر المحيط، وهي تحوي مئة صنف من المؤن الاساسية ومنها ٥٠،٠٠٠ كيس شاي صغير و٩٠٠ كيلوغرام من البن و٢٣٠٠ كيلوغرام من السكر و٦٠٠ علبة من طعام الاطفال و٤٢ كيلوغراماً من البسكويت المخصص للكلاب و٩٥٠٠ ليتر من الحليب و٦٨٠ كيلوغراماً من الكركند (سرطان البحر) و١٠،٠٠٠ كيلوغرام من الفواكه الطازجة و١١،٠٠٠ كيلوغرام من لحم البقر

و١٢٠٠٠ كيلوغرام من الخضر الطازجة والف زجاجة شراب و٥٨٦٤ غطاء للموائد و٥١٠٠٠ قطعة من الزجاجيات.

واذا رغبت في التعرف الى ربان الباخرة فاعلم ان ذلك رهن حظك وقوة ارادتك. يمكنك ان تلقاه في حفلة الكوكتيل المخصصة لركاب الدرجة الاولى. واذا كنت مسافراً في الدرجة السياحية فقد تجد نفسك جالساً الى مائدة الربان في مطعم "كولومبيا" او في "المطعم الدولي" اذ انه يتناوب ومساعده على تناول العشاء في احدهما.

يمكنك ايضاً ان تصادف الربان وهو يقوم بجولته اليومية في الباخرة. واذا استفردته وعرفته بنفسك فانه يدخل معك في حديث قصير مرح. فالكابتن روبرت ارنوت رجل ضخم الجثة وصاحب مزاج طيب. انه يبدو الآن مرهقاً بعدما واجهت الباخرة ريحاً هوجاء حتمت عليه قضاء الجزء الاكبر من الليل والنهار على ظهر السفينة.

كانت العاصفة قوية، ولزم بعض الركاب غرفهم بينما لم يشعر آخرون بأي شيء. اما الآن فالشمس ساطعة والحديث يدور حول احد المسافرين اذ سرت اشاعة بانه ربح ٩٠٠٠ دولار في لعب الورق ليلة امس.

اليوم تقام حفلة ساهرة على متن الباخرة. الاطفال يمرحون بين الشرائط الملونة وعلى رؤوسهم تيجان من ورق وقبعات بلاستيكية. وهناك نافخ بوق يقود فرقة تعزف الحاناً شعبية. وعلى ظهر السفينة اضواء خافتة تضفي على الجو لمسة سحر.

غداً نصل الى نيويورك. في الرابعة صباحاً اطلقت صفارة الباخرة وسط الضباب والليل. واقبل مركب صغير لملاقاتنا في قناة امبروز وقادنا الى المرفأ. وفي السابعة صباحاً لاح لنا تمثال الحرية وقد لفه الضباب.

في الثامنة الا ربعاً برزت الشمس فجأة فوق مبنى "امباير ستايت". وشدت حبال السفينة الى رصيف المرفأ حيث وصلنا في الثامنة صباحاً.

ونزلنا باعتزاز. الم نقطع المحيط على متن "افخم باخرة في العالم؟".

■ **مايكل كانيون**

❋❋❋

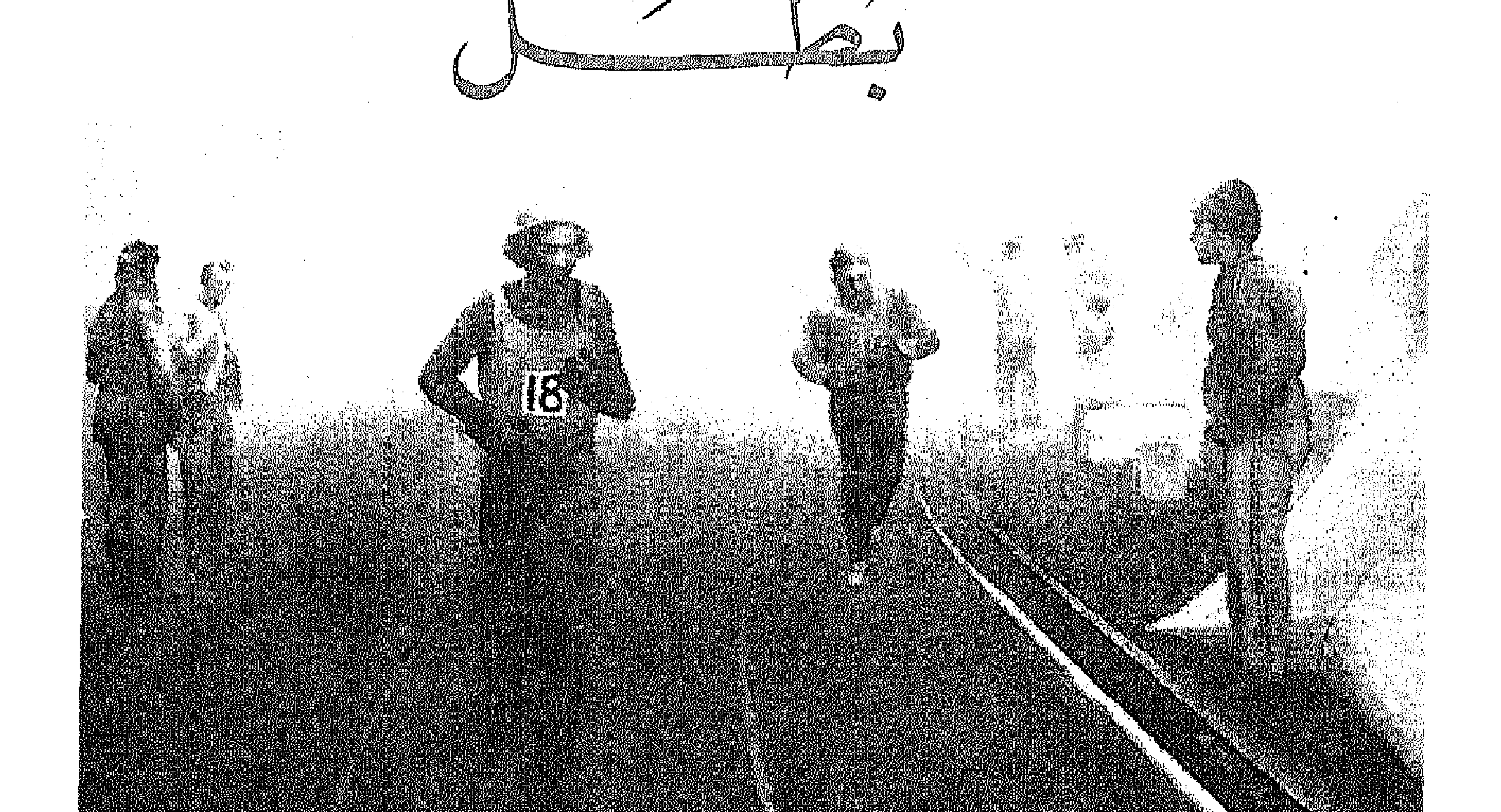
رجل قاموسي

ان قاموس اكسفورد الانكليزي، وهو خير مرجع للمفردات الانكليزية فهو يحوي ٤١٤٨٢٥ كلمة. وقد أُنجزت مجلداته الثلاثة عشر بين ١٨٨٤ و١٩٢٨. وفي العام ١٩٥٧، عُهد الى روبرت بورتشفيلد في توسيع هذا القاموس باضافة المفردات المستجدة اليه. وقد صدر حتى الآن جزءان من هذا الملحق، والجزء الثالث في طور الاعداد. ويأمل بورتشفيلد أن يظهر الجزء الرابع والاخير عام ١٩٨٥. وهو ينتظر بشغف انتهاء "حربه الشعواء مع الكلمات" ويتوق الى التقاعد.

ومرة سُئل عن أحبّ كلمات القاموس ال٤١٤٨٢٥ اليه، فأجاب: "انها فعل "ينتهي"، كما في قولنا: لقد أنهيتُ القاموس".

ف.ه.، صحيفة "الناس"

بَطَل



عداء مسافات طويلة يكشف احاسيسه ومخاوفه
خلال سباق مجنون دام ٢٤ ساعة متواصلة

السبت في ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩.

كنت رابط الجأش هادئاً كما لا ينتظر من عداء على وشك الانطلاق، مع عدد من المجانين امثاله، في جري طويل يدوم ٢٤ ساعة فوق حلبة سباق طولها ٤٠٠ متر.

عندما استيقظت في الصباح كان ينتابني صداع شديد لازمني حتى وصلت الى حلبة السباق المشمسة في مركز "كريستال بالاس" الرياضي جنوب لندن. عندئذ فقط ايقنت اني امام الواقع. كنا ١٧ متبارياً وقد لبينا دعوة نادي عدائي الطرق في بريطانيا الذي قدر ان كلا منا يمكنه ان يجري مسافة لا تقل عن ٢١٠ كيلومترات.

وفي تمام الرابعة بعد الظهر رفع مراقب الانطلاق ذراعه واطلق النار من مسدس. وها انا اخيراً، بعد اشهر من التدريب والقلق، اعدو فوق الحلبة.

عندما اكملنا الدورة الاولى كنا جميعاً كتلة واحدة ما عدا دون ريتشي الاسكوتلندي الذي اندفع في

Condensed from «Ultramarathon», copyright (c) 1980 by Jim Shapiro, published by Bantam Books, Inc. New York, N.Y.

المقدم. ووقفت شقيقتي هارييت بين النظارة قرب خط الانطلاق فكنت ابتسم لها مرة كل دقيقتين.

بماذا افكر في المرحلة الاولى من السباق حين لا تزال امامي ٢٢ او ٢٣ ساعة من الجري؟

ربما يبدو لشخص من الخارج ان العداء في مثل هذه الحال يستبد به السأم فيدفعه الى الجنون. واعترف بان هذه المخاوف ساورتني فعلا. غير اني عداء مسافات طويلة واجد متعة في الجري بثبات نحو هدف محدد.

لكن ما أنا فيه الآن مختلف تماماً. فليس امامي مسافة محددة عليّ اجتيازها بل انا في صدد اختبار أقسى ما يمكن ان تتحمله روح وجسد. وكان لي في ذلك من الاغراء بحيث قررت خوضه لأسبر غور نفسي واكتشف معدني.

ساعة واحدة. في الساعتين الاوليين بدا كل شيء على ما يرام. وقد تولى مدرباي ميلاني ماركوس وجو غرين تعبئة خيمتنا الزاهية بأكداس من الاطعمة والمشروبات.

كان جاك بريستول، الامريكي الآخر في السباق، يعدو أسرع مني، ولذا لم نتمكن من اقامة اتصال بيننا. كنت اسمعه يمر بي لاهثاً ويدمدم: "هوفا بوف" فأقول له: "نعم يا سيدي". وعلى رغم كوننا في سباق عنيف فقد استمتعنا بالصحبة.

هبط الظلام باكراً وكنت اجري بمعدل ١٠ كيلومترات الى ١١ كيلومتراً في الساعة. وغمرني السرور وانا اعدو بثبات، فيما كان يخالجني بعض الاسى كلما التمعت اضواء لوحة النتائج الالكترونية الضخمة محددة مواقعنا في السباق. فبين المتبارين الـ١٧ كنت انا الخامس قبل الاخير. لا بأس، فليهدر هؤلاء الشبان قواهم. الرقم القياسي العالمي هو ٢٥٩ كيلومتراً و٤٩٨ متراً وسأحاول ان احطمه.

واجهت مشكلة قرابة السابعة مساء حين اخذت فخذي اليمنى تنبض بالألم وهذا يهدد بشر ما اخشاه. وليس التعب المضني ما اخشى بل الانهيار المفاجىء في عضل او وتر.

المسافات تمضي وراءنا وريتشي لا يزال منطلقاً نحو رقم قياسي في الـ١٦٠ كيلومتراً الاولى. وكنا نحن نحضه على مواصلة الجري. واقتربت هارييت مني لتقول انها عائدة الى وسط لندن ثم توارت في الظلام.

عند الساعة ٧،٤٥ مساء ساءت حال فخذي فانسحبت من الحلبة لأريّض عضلاتي قليلا، لكن ذلك لم يجدِ، وللحال اخذت فخذي اليسرى تؤلمني ايضاً. حينئذ تذكرت ان كل عداء يواجه مثل هذه المصاعب التي تبدو للوهلة الاولى امراً مخيفاً ثم لا تلبث ان تزول. ان الخوف الناشىء عن جهل ما يمكن حدوثه هو أسوأ ما في الامر، وليس الحدث في ذاته. وعندما ادركت ذلك شعرت بالانشراح.

اول طعام تناولته مساء كان حساء الدجاج. فعند انتهاء السباق يكون الجسم استهلك ١٦،٠٠٠ سعرة حرارية ولا يمكن ان يأكل المرء ما يعوض هذه الخسارة، غير ان الشحم المختزن في الجسم يمد العداء بالقوة طوال مدة السباق.

بعد مضي خمس ساعات استمرت قدما ريتشي تضربان الارض بسرعة

كبيرة جداً. وكنت اشك في قدرة اي انسان على احتمال جهد الجري بهذه السرعة ١٩ ساعة اخرى. كنت اسمعه يقول وهو يمر بي: "لعنة الله على هذا السباق السخيف".

ست ساعات. في العاشرة ليلا توقفت مكبرات الصوت عن اذاعة تفاصيل السباق كيما يتاح لسكان الجوار ان يخلدوا الى النوم. وران صمت ثقيل. حتى المتقدمون لم يتوقفوا ليتناولوا شرابا او حتى ليمشوا بضعة امتار.

واوغل الليل، واذا رينتشي يخرج من السباق بعدما عدا اكثر من ٨٠ كيلومتراً. وفكرت اني على الاقل لن اكون اول الخارجين. وتقدم مايك نيوتن اللندني الى المركز الثاني بعد بريستول. كلاهما تجاوزا مسافة الـ٨٠ كيلومتراً في اقل من ست ساعات ونصف ساعة محطمين الرقم القياسي العالمي لسباق الـ٢٤ ساعة بفارق كبير.

بين حين وآخر كنت اتجاوز متبارياً فيشعرني هذا بالسعادة. ولكن بعد مرور تسع ساعات اخذت عضلات فخذي تتوتر على نحو شديد. الآن كيف اتصرف؟ وغمرني شعور عارم بالقنوط.

مرت ساعة وتلاشى الرعب الذي انتابني. لكني لم البث ان شعرت بالم جديد. جلست وخلعت حذائي وجواربي فرأيت انتفاخاً جلدياً في حجم حبة العنب بين اثنتين من اصابع قدمي. مزقت الجلد لاسفح السائل المتجمع ودهنت الموضع بالمرهم. وبعد ابدال جواربي انتعلت حذائي وتابعت الجري. كانت فخذاي منهوكتين، وراودتني فكرة ان الرقم القياسي لن يتحطم تلك الليلة لكني ابتسمت وطردت الفكرة عن ذهني.

في الثالثة صباحاً كنت قطعت ١٢٥ كيلومتراً و٢٤٦ متراً. وللمرة الاولى دخلت الدور النصف النهائي. ظل نيوتن في الطليعة وقد قطع ١٤٨ كيلومتراً و٤١١ متراً وبريستول ١٤٣ كيلومتراً و٣٣٣ متراً والانكليزي ديفيد جونز ١٣٢ كيلومتراً و٩٧متراً.

انقضت ١٢ ساعة على بدء السباق فكانت نقطة الانتصاف. ما بقي امامنا سيكون هيناً الآن. وصور لي خيالي سهلا شاسعاً منبسطاً امامي ينحدر حتى الافق فتجددت حماستي. كان امامي اربعة رجال يسبقونني بدقائق قليلة، وقد تملكتني رغبة قوية في مطاردتهم.

ولمحت نيوتن يخاطب شخصاً على جانب الحلبة. الاخبار تتسرب همساً ضمن عالمنا المغلق. انه سيخرج عندما يكمل مسافة ١٦٨ كيلومتراً و٤٢٥ متراً. واخذتني موجة طفيفة من الاسف.

١٣ ساعة. في الخامسة صباحاً كنت اجتزت ١٣٥ كيلومتراً واخذ الوهن يدب الي. وشعرت بالخدر ينتشر في عضلاتي واوتاري وعظامي. ثم سمعت صياح ديك.

عند الساعة ٨،٢٤ اكملت مسافة ١٧٧ كيلومتراً وبلغت المركز الثالث. كل خطوة اخطوها الآن تجعل سباقي هذا اطول مسافة قطعتها في حياتي. افتقدت شقيقتي وتمنيت لو انها تعود قبل ان اتخاذل وانكفىء الى المشي. وفي الحادية عشرة برزت هارييت بين النظارة وقالت لي ان مظهري مدهش. ابهجني قولها ولم

ادرك الا لاحقا براعتها في الكذب.
ما زالت امامي اربع ساعات وقد بلغت المركز الثاني. عند الساعة ١٢.١٤ حطمت الرقم القياسي الامريكي للمئتي كيلومتر. ان ٢٩ رياضياً فقط حققوا رقماً يزيد على ١٩٣ كيلومتراً في ٢٤ ساعة، وكنت اعي ان كل كيلومتر اقطعه يرفع مرتبتي في سلم المراكز العالمية. ومهما يكن من أمر فانني اخذت اتراخى وامشي مسافات اطول. اطواق الفولاذ التي التفت حول فخذي ظلت تقرص لحمي ساعات حتى مللت ذلك العذاب.

بعد ثلاثة كيلومترات ابلغ مرتبة صديقي تيد كوربيت الذي قطع ٢١٥ كيلومتراً و٧١٥ متراً. لكني الآن امشي فقط. واذ لم يبقَ امامي سوى دورتين فاني شعرت ان افضل ما اعبر به عن تقديري لجهد تيد هو ان اختبر هذا الجهد بأعمق ما استطيع. فأرغمت نفسي على الهرولة. اوه! قطعت دورة ولكن ما زالت امامي دورة كاملة اخرى... سأقطعها على مراحل ... اجري في هذا المنعطف... ثم في خط مستقيم... وهاانا اتخطى رقم تيد.

شعرت ان في وسعي تحقيق ما هو اكثر من الانهيار. قال لي جو غرين اني اكاد افقد المركز الثاني وانزلق الى المركز الثالث ثم الرابع، لكني لم اعد آبه لذلك. كنت مصمماً على ان ادرك رقم ٢١٨ كيلومتراً و٦٥٤ متراً الذي حققه دون تشوي في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨، وهو ثاني اعلى رقم حققه امريكي. وبلغت مرتبة تشوي قرابة الساعة الثالثة بعد الظهر.

٢٣ ساعة. لم يبقَ امامي سوى ساعة واحدة. واعلنت مكبرات الصوت ان الانكليزي غراهام بيدي يسبقني بنصف دورة، فلسعني هذا الاعلان واندفعت اجري كالبط المتمايل. وازداد ألم فخذي. فخطر لي ان اجلس واقضي الساعة الاخيرة مستريحاً. وتساءلت عن جدوى العدو في حالي التعسة لقطع كيلومتر او اكثر. لكن السباق يعتمد على المسافة التي يقطعها العداء ويجب ان يتحقق كيفما تكن حال المرء.

بدا جو ريكورد الاوسترالي في المركز الثاني كأنه يطفح حماسة وقوة. وتجاوزني بيدي فربت كتفي ودعاني "يا زميلي" بينما كان بريستول يزحف كالسلحفاة كأنه مزمع على مواصلة تقدمه بسرعة ثلاثة كيلومترات في الساعة حتى هبوط الظلام. اما جو الراسخ في المركز الاول فبدأ يتراخى وينكفىء الى نوع من السير الحثيث.

لم يبقَ امامنا سوى ٤٥ دقيقة. وبدأت اشعر ان اهتمامي بالعالم الخارجي يتضاءل. وزين لي تعبي ان انسحب اذ بدا من المستحيل ان اواصل الجري. لكني مضيت في السباق، ولا اعرف كيف ولماذا.

بقيت امامي ١٥ دقيقة فقط واخذ جسدي كله يتأجج اثارة. اصبحت حركتي جهداً مضنياً لكني احتاج الى كل متر اقطعه الآن وان اهدرت في سبيله انفاسي الاخيرة.

خمس دقائق. لقد اخذ الانهاك منا كل مأخذ وراح المتفرجون يحثوننا صاخبين: "هيا! أسرع. انك قادر على ذلك". وكنا نستجيب بقدرتنا القصوى حتى بكى بعض المتفرجين

ثلاث دقائق. شيء جميل يحدث الآن. انه شعور غامر بضآلة الزمن وبأن هذه المغامرة الطائشة اقتربت من نهايتها. وانطلقت في خبب مجنون. يا ألهي لِمَ يضج هؤلاء الناس؟

قطعت المنعطف الاخير في عدو مجنون واذا برجل يركض نحوي حاملا مخروطاً برتقالياً هو الاخير في رحلتي. ودوى طلق ناري ثم سقط المخروط على الارض محدثاً دوياً. وتوقفت عن الجري بعد خطوة او اثنتين وانحنيت الى الامام واضعاً يدي على ركبتي فيما صدري يعلو ويهبط في زفير وشهيق.

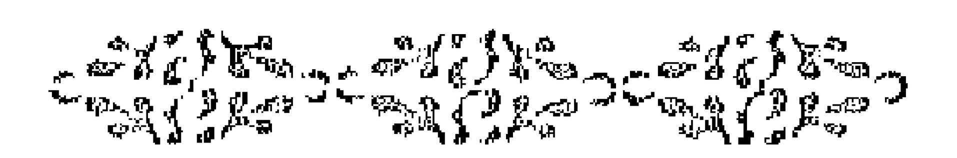
واجهشت بنشيج مخنوق ثم غمرني شعور بالانفراج.

وتراكض الناس يغمرونني ويضمونني الى صدورهم وأخذت لي صور وسارع كثيرون يهزون يدي وانهالت التهاني من كل صوب. وتسربت الي همسة اني قطعت ٢٢٣ كيلومترا و١٢٢ متراً وحللت في المركز الرابع وكنت راضياً بما حققت.

تجمع المتسابقون على مقعد طويل. اما جونز، الفائز الاول الذي قطع ٢٤٧ كيلومتراً و٤٥ متراً، فامسك كأس "برسي شيروتي" ورفعها عالياً ثم شرب منها. وادرناها علينا. يا له من شعور عظيم ان يكون المرء بين اقرانه.

واخذني صديق انكليزي بسيارته الى الفندق، وبعد حمام ساخن وبعض الطعام تركت وحيداً لانام. ان الجسد يطلب الراحة والفراش الوثير يغريني وعلي ان اختلي بنفسي لالعق جروحي بعد هذه المغامرة... في انتظار سباق طويل آخر.

■ جيمس شابيرو



ما فات مات

ان عدداً كبيراً من الرياضيين ينتهي به المطاف مستشاراً او معلقاً رياضياً، خلافاً لمعظمنا. فعندما نتقاعد من وظائفنا، لا نجد من يدفع لنا المال في مقابل الكلام عنها.

ب.ف.

محمد علي وكرة القدم

قال بطل الملاكمة محمد علي: "حاولت في مطلع حياتي الرياضية أن أمتهن لعبة كرة القدم. لكني صرفت النظر عن تلك الفكرة بعدما وجدت ان الزي الذي تفرضه تلك اللعبة يمنع الناس من رؤية اللاعب كما هو".

ر.د.

هندسة القرن العشرين

العلم يتحكم بالوراثة

هل انت تعاني مرض السكري او تشكو قصراً في القامة او تواجه شبح السرطان؟ قد يجد لك علماء الوراثة العلاج الناجع

جامعة هارفارد اعلنت انها ستنشىء شركة لهندسة الوراثة، وذلك كي تحصد الارباح الناتجة من الاساليب التي تم تطويرها في مختبراتها، لكنها لم تلبث ان عدلت عن ذلك تحت وطأة الضغوط.

احد علماء الوراثة استخدم، خطأ، فيروساً (جرثومة) خطراً تحمله حشرة افريقية، فاوقف عمله فوراً.

عالم بارز تعرض لانتقاد قاس بسبب اجرائه اختبارات على البشر في مجال انقسام الجينات (١).

ان اخبار التلاعب بالعامل الوراثي *DNA* (٢) الذي كان في الماضي امراً بعيد المنال تنشر الآن على نطاق واسع. وتتحدث الصحف والمجلات المختلفة عن التقدم المبشر بالنجاح في هذا المجال. وان وصل الجينات (الذي يسمى ايضاً *DNA* الملتئمة) ادى الى انتاج انسولين زهيد الثمن لمصلحة المصابين بداء السكري وانزيمات (خمائر) تحلل الجلطات الدموية، كذلك الى زرع جينات لمكافحة الامراض الوراثية. وهو يمكن ان يفضي في وقت قريب الى انتاج الانترفيرون على نطاق واسع لمكافحة الامراض المعدية.

لكن السيل الجارف من الانجازات ــ وتطبيقها تجارياً ــ لم يُنْسِ المراقبين أن هذه الاساليب خرجت الى الوجود قبل أقل من عشر سنين وسط عاصفة من الجدل. فقد عبر بعضهم عن تخوفه من ان يؤدي التلاعب بالعامل الوراثي في الجراثيم

---

(١) اجسام دقيقة في نواة الخلية تحمل الخصائص الوراثية.

(٢) Deoxyribonucleic Acid

الى ولادة جراثيم مميتة تنطلق من عقالها داخل المختبرات لتحدث امراضاً جديدة تفتك بالجنس البشري.

هذه المخاوف ادت عام ١٩٧٤ الى توقف موقت في اعمال وصل الجينات، ولم يستأنف العمل الا بعدما اقر العلماء انظمة صارمة بما فيها منع التجارب على الجراثيم السامة والجراثيم ذات المناعة ضد مضادات الحيوية (الانتيبيوتيك) الا في مختبرات معزولة تماماً.

وخلال السنوات الخمس الاخيرة ظهرت فورة من الاكتشافات، ومعظم العلماء في هذا الحقل يؤكدون ان الاساليب المعتمدة سليمة عملياً. غير ان كثيرين ما زالوا يتخوفون من ان تؤدي التطبيقات التجارية، التي ستتناول الوف العمال، الى تلاشي تدابير الوقاية. ويقول عالم الوراثة جوناثان بيكويذ من جامعة هارفارد: "كان وصل الجينات مربحاً جداً سواء في الاختبارات الاساسية او في تسويق المنتجات بحيث اهمل المعنيون شأن المسائل المتعلقة بالسلامة".

القطع والوصل – ان الاكتشافات التي جعلت اعمال السحر الوراثية هذه ممكنة تحققت في كاليفورنيا في اوائل ١٩٧٠. كان العلماء يعرفون ان الخصائص الوراثية في النبات والحيوان تتحكم بها جزيئات طويلة تشبه السلاسل وتسمى *DNA* وهي موجودة في نواة كل خلية. ولكن حتى بعدما كشف العلماء الرمز الكيميائي الذي بواسطته يصدر العامل الوراثي *DNA* تعليماته، بقيت الجينات المفردة بعيدة المنال عن الذين حاولوا التلاعب بها.

ويشبه جزيء *DNA* ضفيرة طويلة من شريط للدماغ الالكتروني. والجينة هي مجرد جزء صغير من التعليمات المسجلة على ذلك الشريط. واذا مُدت اشرطة *DNA* الموجودة في خلية انسانية واحدة لبلغ طولها حوالي متر واحد. لكنها حين تكون محشوة من غير تناسق داخل النواة فهي تبدو نتفاً متناهية الصغر تكاد لا ترى تحت المجهر الضوئي.

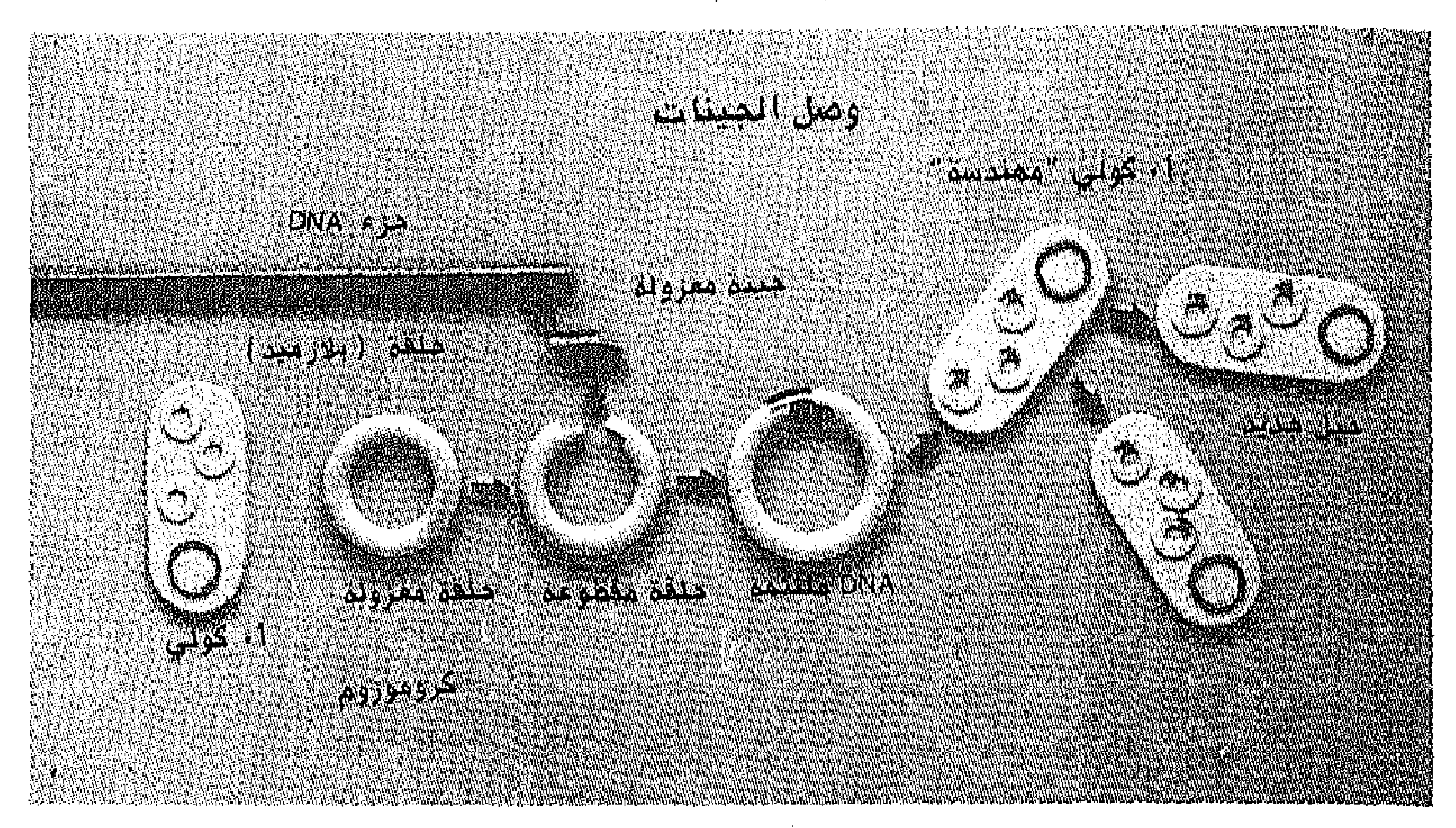
وانصرف العلماء الى دراسة جينات الكائنات البسيطة لانها اقل تعقيداً. فأخذوا اول الامر البكتيريا (نوع من الجراثيم) المعروفة باسم "أ. كولي" (٣) التي يسهل زرعها، وهي جراثيم وحيدة الخلية وغير مؤذية وتعيش في امعاء الانسان. فتبين لهم ان لديها اجزاء حلقية من *DNA* هي بسيطة ومميزة داخل جسم الخلية.

وفي العام ١٩٧٢ طور ستانلي كوهن من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا طريقة لنزع هذه الحلقات الصغيرة (تسمى البلازميدات) من جرثومة وزرعها في جرثومة اخرى. وداخل الخلية المضيفة اصبحت حلقة *DNA* المزروعة جزءاً من الجهاز الوراثي للجرثومة، وعندما تكاثرت الجرثومة تكاثرت *DNA* الغريبة معها.

الخطوة التالية كانت تطوير طريقة لفصم حلقة *DNA* بحيث يمكن ادخال جينة جديدة عليها. تخيل حلقة

---

(٣) Escherichia coli



تعزل حلقة DNA (بلازميد) من جرثومة "ا،كولي" وتقطع بواسطة انزيم، بعد ذلك تُدخل جينة بشرية على الحلقة وتزرع الـ DNA الملتئمة في جرثومة اخرى فلا تلبث ان تتكاثر،

DNA في شكل سلسلة من الدمى الورقية،

في اوائل السبعينات وجد هربرت بوير من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو اسلوباً لاتمام ذلك الوصل بواسطة انزيمات معينة، وهي بروتيينات يمكنها ان تتعرف الى مواقع محددة في سلسلة *DNA*وتتسبب في قطعها في تلك المواقع، وهكذا اصبح العلماء قادرين على استخراج حلقة DNA بسيطة من جرثومة واستخدام الانزيم لقطعها ثم ادخال جينة بشرية على الحلقة وزرع الحلقة في جرثومة اخرى، والجراثيم تتكاثر بسرعة، فلا تمضي ساعات قليلة حتى يصبح لدينا الوف الجراثيم وكل واحدة تحوي جينة بشرية وتحمل الخصائص التي تنقلها تلك الجينة،

فعندما يزرع العلماء الجينة البشرية التي تصنع الأنسولين في حلقة *DNA* جرثومية، ينتج من ذلك الوف الكائنات المشحونة بالانسولين، وهكذا يتوافر لدينا، فجأة، هرمون ثمين لم يكن استخلاصه ممكناً الا من الخراف والمواضي،

مزارع الجراثيم - اجريت الآن عمليات مذهلة لزرع الجينات البشرية في الجراثيم (كذلك في خلايا الخمائر) لانتاج انواع مختلفة من المواد الكيميائية الحيوية المهمة، واليوم تحولت مئات المختبرات في انحاء العالم مزارع للجراثيم تنتج الجينات البشرية من اجل الابحاث، وفي بعض الحالات من اجل الحصول على المواد الطبية القيمة التي تخلقها، وتشمل هذه المواد:

■ الاندورفينات او الناقلات العصبية التي سُمّيت افيون الدماغ، وكان البحث فيها عسيراً من قبل نظراً

الى صعوبة تصنيعها. غير ان العلماء في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو يقولون الآن ان الـ"بيتا - أندورفين"، الذي يُحتمل ان يكون فعالا في علاج الفصام (انشطار الشخصية) والكآبة والألم، قد يصبح متوافراً بكثرة للابحاث لأن الجراثيم يمكنها انتاجه على نطاق واسع.

■ هرمون النمو البشري لمعالجة الاطفال المصابين بالتقزم. هذا الهرمون نادر وباهظ الثمن لأن المصدر الوحيد له حالياً هو الغدة النخامية التي تستأصل من الجثث. وكمية الهرمون المطلوبة لمعالجة طفل واحد مدة سنة يجب استخلاصها من ٥٠ غدة نخامية.

■ الانترفيرون وهو بروتيين ينتجه الجسم لمواجهة العدوى الفيروسية. في الوقت الراهن ينتج الانترفيرون بكلفة ١٠٠ دولار للغرام الواحد. ونظراً الى احتمال تضمنه تأثيراً مضاداً للسرطان فهو يجرب في معالجة عدد من مرضى السرطان بكلفة تبلغ ٣٠،٠٠٠ دولار سنوياً لكل مريض. ولكن من الممكن ان يتوافر الانترفيرون للتجارب على نطاق واسع لان الباحثين السويسريين نجحوا في استخدام الجراثيم لانتاج هذا البروتيين.

والى ذلك تبذل جهود مكثفة لاستعمال *DNA* الملتئمة في مكافحة داء السكري. ويعتمد ملايين المرضى الآن على الانسولين الحيواني للسيطرة على الداء. وكان الخبراء يسعون الى ايجاد بديل ارخص واسهل. وفي اواخر السبعينات اكب الباحثون على العمل في جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو والمركز الوطني الطبي في "مدينة الأمل" (سيتي اوف هوب) قرب لوس انجلس، كذلك في "جيننتيك" وهي شركة جديدة في سان فرنسيسكو تختص بوصل الجينات. واستخدم الباحثون رموز *DNA* لتركيب جينة اصطناعية للانسولين البشري (٤) ووصلوا هذهالجينة داخل جرثومة لتتكاثر. وقد نجحت التجربة ويتوقع الآن انتاج الانسولين المصنع جرثومياً على نطاق واسع خلال فترة تراوح بين سنتين وخمس سنوات.

كذلك تستخرج لقاحات اقل خطراً عن طريق اعادة وصل الـ *DNA* . فبعض اللقاحات يستخدم بحذر لأن الجراثيم التي يحويها لا تزال تحتفظ بسميتها وقد تحدث اعراضاً جانبية. و *DNA* الملتئمة يمكنها ان تتجاوز هذه المعضلة ببرمجة الجراثيم لتصنع الغشاء البروتييني للجرثومة المرضية، وهذا يكفي لاثارة جهاز المناعة في جسم الانسان كي ينتج الاجسام المضادة لمحاربة الجرثومة دونما حاجة الى حقن اي جسم مسبب للمرض.

واليوم تتهيأ مصانع الأدوية لتصنيع منتجات *DNA* الملتئمة. وقد اعلنت شركة "ايلي ليلي" خطة لانتاج الانسولين على نطاق واسع. وفي الوقت نفسه يؤسس علماء الوراثة شركات صغيرة لحسابهم الخاص للاستفادة من المنافع الاقتصادية الناجمة عن اكتشافاتهم. ويتكهن الخبراء بأن سوقاً بمليارات

---

(٤) لم ينجح علماء الوراثة فيعزل جينة الانسولين الطبيعي.

الدولارات ستنفتح للتطبيقات غير الطبيعية لـ DNA الملتئمة، مثل تطوير جراثيم لازالة تلوثات النفط وكائنات تساعد في تصنيع المواد الكيميائية ومواد تسمح بتحويل النفايات وقوداً.

مجازفة ورجاء ـ يخشى بعض العلماء ان يؤدي الاندفاع الى استغلال DNA الملتئمة تجارياً الى تلاشي تدابير السلامة. ويقول ريتشارد غولدشتاين العالم البيولوجي في جامعة هارفارد: "هناك مبالغ ضخمة متاحة للربح، وللمرة الاولى يجد البيولوجيون (علماء الحياة) امامهم فرصة للحصول على نصيب من الغنيمة. بعض شركات الادوية الكبرى يملك خبرة واسعة في مجال الكائنات الجرثومية، وهو اثبت جدارته في ضمان السلامة. لكن الشركة الصغيرة التي تنبت بين ليلة وضحاها ليست لديها اية خبرة في معالجة هذه الكائنات الصغيرة ولا يمكن التنبؤ بالعواقب التي تنجم عن اي خطأ ترتكبه".

وعلى رغم ذلك يعتقد معظم العلماء ان سبع سنوات من الابحاث حول DNA الملتئمة وعشرات السنين من العمل بالوسائل التقليدية اثبتت ان الاخطار ضئيلة. ويقول ستانلي فولكو عالم الجراثيم في ستانفورد: "ان صناعة الصيدلة مازالت تنتج مواد من كل الاصناف، بما في ذلك لقاحات الحمى الصفراء والتيفوئيد والخناق، ولها سجل جيد من ناحية السلامة".

ونظراً الى الامكانات الهائلة المتاحة في مجال الهندسة الانسانية فان غالبية العلماء تؤكد ان الفوائد المترتبة على هذه الصناعة تفوق الاخطار التي قد تنطوي عليها.

وبفضل DNA الملتئمة يكتسب العلم فهماً افضل لاعمق اسرار الجسم والامراض بما فيها ـ ربما ـ السرطان.

ويقول مايكل هاربولد من مركز ابحاث السرطان في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس انجلس: "يعتقد بعض الناس ان السرطان يتولد من تشكيل جيني ناشز. لكن ذلك مجرد نظرية لاننا لا نعرف بعد التشكيل الجيني الصحيح. وبمساعدة DNA الملتئمة يمكننا ان نكشف مبادىء تشكل السرطانات المختلفة. وعندئذ ربما نستنبط طرقاً لمنع حدوث هذه التشكيلات".

واذا كان لنا من كلمة اخيرة فيمكننا ان نقول انه منذ الانشطار الذري لم تواجه البشرية علماً جديداً يضعها امام هذا التحدي الذي تختلط فيه المجازفة بالرجاء.

■ جون فرايد



متى سَعِدَ مات!

ربّ العمل للموظف: "يؤسفني انك قررت التقاعُد. فليس من السهل الحصول على شخص مثلك بالراتب الذي كنت تتقاضاه".

و.ج.

رسالة الورد

"كيف لي أن أشكرك؟"
قالت صديقتي الجديدة...
وبعد إحدى وعشرين سنة وجدت الجواب

عندما ولد ابني عام ١٩٥٦ كانت تشاركني في غرفة المستشفى امرأة شابة وضعت ابناً في اليوم نفسه. وكان والداي يملكان محلا لبيع الازهار، وهذا أحد أسباب امتلاء غرفتي بباقات الورد العطرة.

وبدأ يراودني شعور بالانزعاج بعد حمل الباقة السابعة الى الغرفة، لا لأني امقت الازهار بل لأن رفيقتي في الغرفة لم تتسلم شيئاً منها. وجلست على حافة سريرها تتأمل تلك التشكيلة الاخيرة باعجاب. وعلى رغم أنها كانت شابة حسناء، إلا أن عينيها البنيتين الواسعتين كانتا تنطويان على مقدار كبير من الكآبة. وخيل إلي أن جميع الازهار التي أعجبت بها حتى ذلك الوقت كانت تخص الآخرين.

وقالت، كأنما قرأت أفكاري وشاءت أن تؤكدها "إني أستمتع بكل لحظة من وجودنا معاً. أليس رائعاً أن تكوني رفيقتي في الغرفة؟"

غير أن ذلك لم يمحُ انزعاجي. وودت لو كان هناك زرّ سحري أضغطه لأرفع الأسى من عينيها. ألا يمكن، على الأقل، أن أجعل أحداً يهدي اليها بعض الأزهار؟ وعندما عادني والداي ذلك اليوم طلبت اليهما ارسال باقة زهر الى آن في اليوم التالي.

وكنا على وشك انهاء العشاء حين وصلت الازهار. فقالت آن ضاحكة: "ها هي باقة اخرى لك".

فأجبتها وأنا أنظر الى البطاقة: "كلا! إنها حصتك هذه المرة".

وأخذت تنظر الى الازهار وهي لا تتفوه بكلمة. وراحت تمرر أصابعها على الاناء الازرق ثم تتلمس الورود الحمراء كما لو أرادت أن تطبعها في ذاكرتها.

وأخيراً قالت بصوت دافىء: "كيف لي أن أشكرك على هذه البادرة؟"

وشعرت بارتباك لم أستطع معه جواباً.

Condensed from Guideposts Magazine (January'80), (c) 1980 by Guideposts Associates, Inc. Carmel, N.Y.

وكان الطفل الذي وُلد لنا ذلك اليوم من العام ١٩٥٦ ولدنا الوحيد. وملأ حياتي وحياة زوجي فرحاً وحبّاً وابتساماً نحواً من إحدى وعشرين سنة، مانحاً إيانا الشعور بتحقيق الذات. لكنه مات بهدوء في أحضاننا، بعد صراع طويل ومضن مع السرطان، صبيحة اثنين الفصح من العام ١٩٧٧.

وبينما كنت في المستشفى وحيدة الى جانب الجثة التي تغطيها الورود، دخل أحدهم يحمل إضمامة صغيرة. ولم أقرأ البطاقة المرفقة بها إلا ونحن في طريقنا الى المدفن، وهي تقول: "الى جون غريفز من الصبي الذي وُلد وإياه في المستشفى التذكاري، ومن امه".

وعادت الى مخيلتي صورة الورود التي أهديتها الى شابة كئيبة قبل سنوات طويلة. وقد مرت تلك السنوات من غير أن يتم اتصال بين آن وبيني. وهي لم تتعرف الى ابننا قط ولم تعرف بالداء الذي أصابه. ولا بد من أنها قرأت نعيه في صحيفة. وأعطيت البطاقة الى امي التي كانت تجلس بجانبي، فتذكرت الحادث جيداً هي الاخرى.

وقالت أمي: "انه اللطف يكافىء نفسه".

وبعد أيام ذهبت وزوجي، يرافقنا بعض أفراد العائلة، الى المقبرة لانتزاع الأزهار الذاوية عنها. وهناك كانت الباقة المرسلة من آن عند باب القبر.

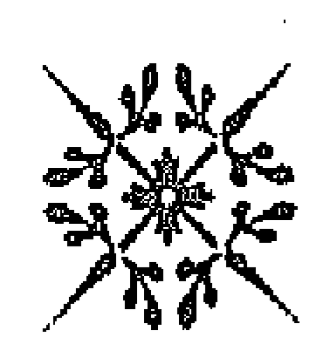
وقال أحدهم: "ما أغرب أن يرسل هذا الورد لمناسبة كهذه. انه يليق أكثر بالولادة".

فأجاب زوجي بهدوء: "لقد كانت هناك ولادة حقة. ذلك أن جون وُلد من جديد، في الحياة الأبدية".

ونظرت إليه وأنا لا أصدق ما أسمع، لمعرفتي بأن كلاماً من هذا النوع يعسر على رجل لم يسبق أن نطق به علناً.

وحمل زوجي الوعاء الذي أرسلته آن وسلمني اياه بعدما أفرغ منه الورود. وحملته ورحت أتلمسه، تماماً كما فعلت آن قبل إحدى وعشرين سنة، وأنا أفكر في العبرة التي ينطوي عليها وهي جذوة الصداقة التي لم تطفئها السنون، وردّ الجميل، وفوق هذا وذاك الايمان بالقيامة، هذا الايمان الذي يمنحنا العزاء.

▪ فرجينيا هول غريفز



المال والبنون والعمر الطويل

عندما حملت زوجتي طفلنا الاول، زادت همومنا المالية وقطعنا بعض مصاريفنا. ولم أكتشف مدى قلقها الا صباح يوم أحد ونحن نستمع الى عظة دينية تتناول قصة ابرهيم وساره. فقد رزق الله ابرهيم، لايمانه، ولداً وهو في التسعين. ولدى سماعها هذا قالت زوجتي أمام الجميع: "لقد انتظرا حتى أصبح لديهما المال الكافي".

ش٠١٠

بلجيكا:

عقلها مع الوحدة وقلبها مع الانفصال

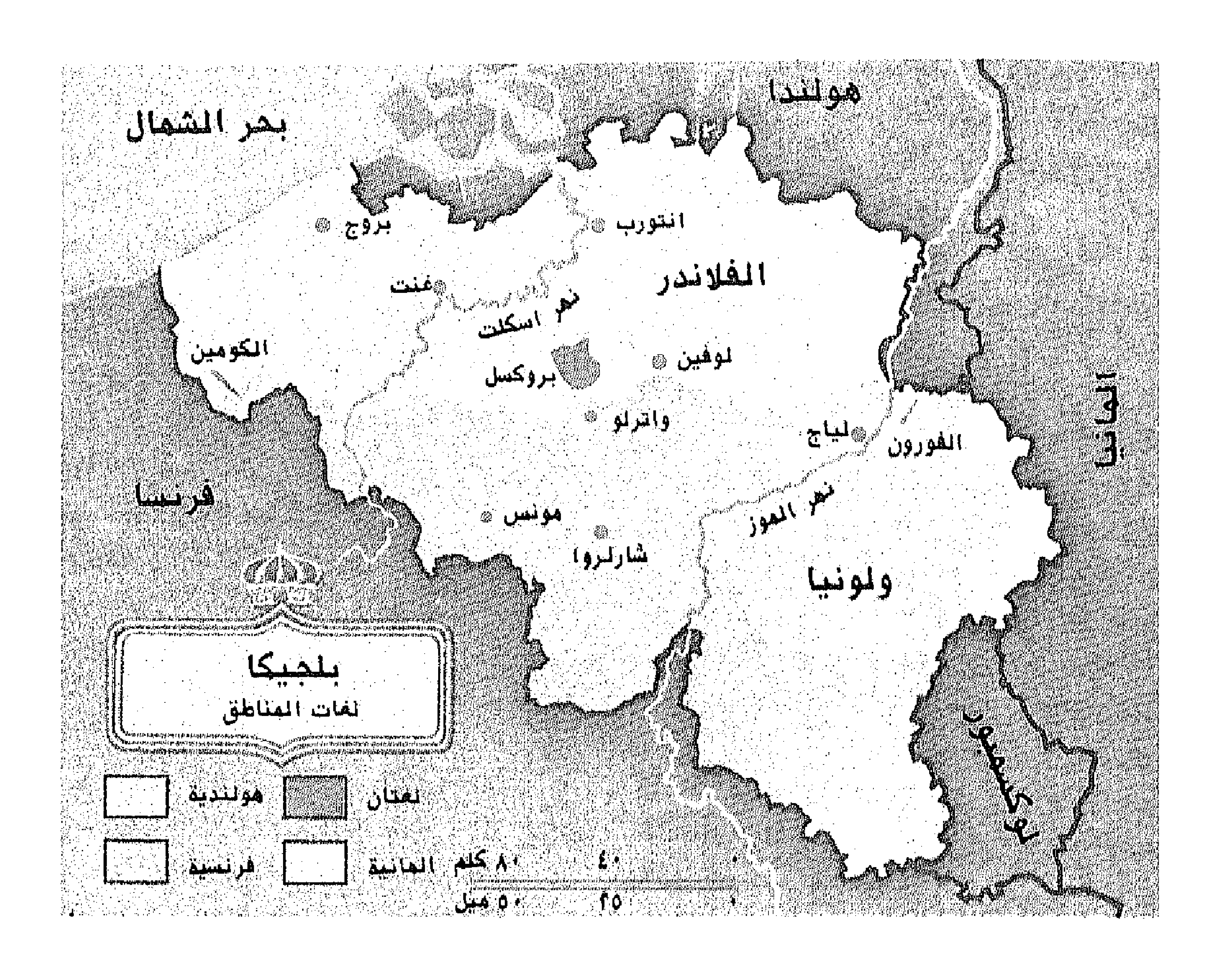
منذ العام ١٨٣٠
استشرى العداء
بين البلجيكيين الولونيين
الذين يتكلمون الفرنسية
ومواطنيهم الفلمنكيين.
واليوم تقف البلاد
على مفترق طرق:
فاما الوحدة واما الانفصال

ذات مساء من ربيع ١٩٨١ اراد محام بلجيكي اسمه بيار ديلتنر ان يستأجر سيارة في مطار بروكسل الدولي، لكن مساعيه اخفقت او انه هو نفسه عدل عن رغبته.

قال المحامي للموظف: "ان العقد مكتوب باللغة الفلمنكية، وانا لا اقرأها. أريد عقداً باللغة الفرنسية. أليست هذه مدينة بروكسل؟"

اجاب الموظف: "هذا حقاً مطار بروكسل يا سيدي، لكنه يقع ضمن الاراضي الفلمنكية ولا يسمح لنا بأستعمال الفرنسية هنا". عندئذ رفض ديلتنر استئجار السيارة وركب سيارة اجرة.

تجربة ديلتنر تعكس ناحية صغيرة من العداوة التاريخية المستحكمة بين الفلمنكيين الذين يتكلمون الهولندية ويقطنون الشمال، والولونيين الذين يتكلمون الفرنسية ويقطنون الجنوب. لكن النزاعات المريرة التي تباعد اليوم بين هاتين الطائفتين تزيد الموقف خطورة. فالبلجيكي يتصدى لمواطنه ليس فقط بسبب الاختلاف اللغوي بل من اجل المال والوظائف والتعليم وغموض مستقبل البلاد الذي يغشاه الانتكاس الاقتصادي. ومن منظار التفاؤل يمكن القول ان بلجيكا اليوم تمر بفترة من التجارب القاسية، اما من منظار التشاؤم فيمكن القول انها تخطو في المراحل الاولى للانفصال.



ففي بروكسل كما في مناطق اخرى مثل الفورون عند ضواحي لياج (شرق بلجيكا) والكومين قرب الحدود الفرنسية، تتململ الاقلية العرقية في ظل السلطة الادارية غير الرؤوفة التي تمسك بها الطائفة الاخرى، فتنفجر اعمال العنف لتثبت ان الاندماج لا يجدي وان الطريقة الوحيدة لاستمرار تعايش البلجيكيين هي انفصالهم.

كيف حدث ذلك؟ في العام ١٨٣٠ انفجرت الثورة ضد الحكم الهولندي في بروكسل والمقاطعات (الامارات الاقطاعية المنتشرة حول المدن المزدهرة مثل لياج وغنت وانتورب وبروج). فطوال القرون السابقة رزحت هذه الاراضي الزراعية المنبسطة تحت حكم الغرباء من رومان وبرغانديين واسبان ونمسويين وفرنسيين وهولنديين. وفي ١٨٣٠ اعلن الثوار استقلال بلادهم. وفي مؤتمر دولي عقد السنة التالية في لندن، اعترفت الدول الاوروبية العظمى ببلجيكا دولة مستقلة ومحايدة. ووسط تلك النشوة الغامرة لم يفطن احد للخيط الرفيع الذي امتد وسط البلاد من الشرق الى الغرب.

الطلاق — في البداية كانت للولونيين سيطرة مطلقة. فالدستور والقوانين والجهاز القضائي ومجمل الاعمال الحكومية كانت تعتمد اللغة الفرنسية وحدها. اما الفلمنكية فكانت تحتقر كلهجة جرمانية. والاغلبية الساحقة

من الفلمنكيين كانت من الفلاحين المدقعين، بينما اصبحت ولونيا المنطقة الاولى في اوروبا التي طالها التطور المتفجر من الثورة الصناعية. غير ان الفلمنكيين، بحافز من العناد الجرماني المتأصل فيهم، اجتهدوا لاثبات هويتهم. وفي نهاية الحرب العالمية الاولى غدت الفلمنكية لغة رسمية الى جانب الفرنسية. وفي ١٩٣٢ أقر البرلمان الذي تعكس تركيبته الاغلبية الفلمنكية بين السكان، فصل البلاد منطقتين لغويتين - الشمال والجنوب. هكذا زرعت بذور الانفصال.

منذ ذلك الحين واصل الفلمنكيون كفاحهم، وكان لهم الزمن خير معين. لقد تضاءلت طبقات الفحم الحجري الغنية وسقطت صناعات الفولاذ والاقمشة والزجاج التقليدية فريسة المنافسة الاجنبية، فبدأ اقتصاد ولونيا يتقهقر بأطراد. اما فورة الازدهار الاوروبي في اعقاب الحرب فلم يستفد منها سوى الشمال. ونقلت اليها الشركات المتعددة الجنسيات صناعات ذات تقنية عالية وقد جذبتها التسهيلات المرفئية الممتازة (انتورب هي الآن رابع اكبر مرفأ في العالم الغربي) وشبكة المواصلات الواسعة من طرق برية وسكك حديد، اضافة الى الموقع الجغرافي المتوسط والتسهيلات الضريبية وعقود الايجار الطويلة الاجل واليد العاملة المستقرة. ففي الفلاندر، غرب البلاد، يعمل زعماء نقابات العمال من داخل النظام الرأسمالي جاهدين لزيادة نصيبهم من المنافع. اما في ولونيا فالاتجاه السائد يهدف الى سيطرة العمال على الدولة، بدءاً بوسائل الانتاج. ففي العام ١٩٧٧ خسرت ولونيا ٣٢٣ يوم عمل لدى كل الف عامل بسبب الاضرابات في مقابل ١٢٥ يوماً في الفلاندر. فلا غرو ان تنعم الفلاندر بـ٨٠ في المئة من مجمل التوظيفات المالية الاجنبية في بلجيكا خلال العقدين المنصرمين.

وعندما تحولت اوروبا الناهضة من دمار الحرب سوقاً مشتركة، واختارت هذه السوق بروكسل عاصمة لها، استيقظ الولونيون ليكتشفوا انهم باتوا في المنزلة الثانية في بلادهم. فصعب الامر عليهم وراحوا يلقون تبعة مصائبهم على جشع الفلمنكيين وعلى البرلمان الذي يمثل ستة ملايين فلمنكي واربعة ملايين ولوني، فاتهموا البرلمان بأنه يراعي الشمال على حساب الجنوب.

وتعيش البلاد اليوم جواً من عدم الثقة كما بين زوجين على شفير الطلاق، حيث يثير اي صرف ضئيل للاموال العامة احتسابات حمقاء. فاذا بُني كشك هاتف في الفلاندر، هب الولونيون مطالبين بان تُبنى لهم سقيفة امام موقف سيارات.

وبدافع خوفهم من سيطرة الفلمنكيين طالب الولونيون بالمساواة الوزارية وحصلوا عليها. ففي مقابل كل وزير فلمنكي يجب تعيين وزير ولوني. وكانت حصيلة ذلك ائتلافات حكومية متخاصمة وغير مستقرة. ويقول ليو مولان الرئيس السابق للمعهد البلجيكي للعلوم السياسية وأحد أبرز المفكرين الاجتماعيين والسياسيين في البلاد: "لا احد يثق بالحكومة هنا حتى وان تكن من

حزبه، فكل شيء تقرره الجماعات الضاغطة". حتى النظام الملكي لا يبدو كافياً لابقاء البلاد متحدة. فالملك بودوان الاول رجل مستقيم ومحبوب لكنه لا يملك اية سلطة حقيقية.

وفي العام ١٩٨٠ وصلت بلجيكا الى مفترق طرق مصيري حين اضفى البرلمان صفة الشرعية على الشرخ المتسع. فاعتباراً من اول اكتوبر (تشرين الاول) انقسمت البلاد اقليمين: الفلاندر وولونيا (١). لكل اقليم هيئة تنفيذية ومجلس اقليمي تمدهما بروكسل بنحو ١٠ في المئة من الموازنة العامة. ومع ان الصلاحيات الاقليمية لا تزال محدودة (الثقافة والتعليم والصحة العامة والموارد الطبيعية وسواها) فان الاقليمين يضمان في الواقع حكومتين مصغرتين وبرلمانين يمكن ان تتحول ادارات دولة مكتملة في حال الانفصال التام.

القتال متعة — ترى هل يعني توسيع صلاحيات الحكم الاقليمي الانزلاق نحو الانفصال التام او انه يزيد في سرعته؟ لم يحن الوقت بعد لمعرفة ذلك، ولكن في اي حال لن يغير تعزيز الحكم الاقليمي ميزان الازدهار الذي يرجح لمصلحة الفلاندر. ففي ربيع ١٩٨١ كانت نسبة البطالة في الفلاندر ١٤ في المئة وفي ولونيا ١٧ في المئة. ووفقاً للاحصاءات المتوافرة يعطي مؤشر الانتاج ١٥٤ نقطة للفلاندر في مقابل ١٢٩ نقطة لولونيا.

وآثار هذه الارقام واضحة على الخريطة. فأراضي الفلاندر لا تزال ترقطها طواحين الهواء والمزارع الخضراء، الا ان بعض الاماكن مثل المرفأ الجديد في انتورب (انفير) يطفح بالتجارة. فالمرفأ الضخم الذي بوشر بناؤه عام ١٩٥٠ لا يزال العمل فيه قائماً من دون توقف فهناك مراس جديدة للسفن ومناطق صناعية تُشاد بأستمرار لاشباع نهم التجارة الحديثة المتعددة الجنسيات. وقد رفع دليلي صوته فوق ضجيج الجرافات ليقول: "السر يكمن في التقنية العالمية. لا مفر لك من اكتسابها، فهي الطريقة الوحيدة للخروج من القرن التاسع عشر".

اما في ولونيا فالقرن التاسع عشر تراه في كل مكان، في مناجم الفحم الحجري المهجورة حول شارلروا ومونس وفي المدن الصناعية التي يكسوها سخام مصانع الفولاذ في كوكريل على ضفاف نهر الموز في جوار لياج. قال الصحافي كلود كريستوف: "تنتج كوكريل صفائح الفولاذ بكلفة ١٥ فرنكاً بلجيكياً (٠،٤٢ دولار) للكيلو الواحد، بينما السلعة نفسها تكلف المنتجين في اليابان وبلدان العالم الثالث عشرة فرنكات (٠،٢٨ دولار). وقبل فترة وجيزة زرت مصنعاً للورق المقوى ووجدت أن أحدث آلة فيه، باستثناء واحدة فقط، يعود صنعها الى العام ١٩٣٤. انت لا تجد هنا بعد نظر ولا واقعية".

ومن دواعي السخرية ان صيحة الطلاق ترتفع اقوى ما تكون من الجنوب. حتى جان موريس ديهوس،

---

(١) ابقي مصير العاصمة بروكسل معلقاً، وعلى رغم ان نسبة ٨٠ الى ٨٥ في المئة من سكانها يتكلمون الفرنسية فانها تقع في القطاع الفلمنكي. وقد اعلن البرلمان بروكسل اقليماً ثالثاً لكنه لم يمنحها بعد جهازاً تنفيذياً ومجلساً تمثيلياً مستقلين.

رئيس السلطة التنفيذية في ولونيا الذي يحبذ الصيغة الحالية للبلاد، لا يعتبر الانفصال احتمالا مخيفاً ويقول: "لوكسمبور دولة، كذلك ليختنشتاين (٢)".

وتبدو فكرة استقلال ولونيا في الوقت الراهن تهديداً يدفع السيه التحدي فحسب، لكنها تتفاقم لأن البلجيكيين المتكلمين الفرنسية يشعرون انهم ضحايا الاندفاع الفلمنكي الرهيب. وعندما افتتح ولوني متجراً صغيراً في احدى ضواحي بروكسل التي تقع في القطاع الفلمنكي، اكتشف ان القانون يحتم عليه ان يعتمد اللغة الفلمنكية في مراسلاته الرسمية بما في ذلك تعليماته الى مستخدميه. وكانت لذلك التاجر مستخدمة واحدة هي امينة سره وزوجته في آن! وعندما يترك لها رسالة رسمية فعليه ان يكتبها بالفلمنكية. ولكن من يدري بالمخالفة؟ هناك عبرة في ما جرى لأستاذ جامعة ولوني وشت به خادمته فناله تأنيب قاس لعدم تكلمه الفلمنكية في أحاديثه المنزلية.

ومن الطبيعي ان تثور نقمة الولونيين احياناً وتتفجر. ففي العام ١٩٦٣ ضمّت الى الفلاندر ستة اقضية اختار سكانها بغالبيتهم الساحقة ان يظلوا في ولونيا. ومنذ ذلك الحين لم تنقطع الصدامات في تلك الارياف. واصبح للمتكلمين الفرنسية الآن "جبهة تحرير وطنية" تدعى "جبهة العمل الفورونية" وعلم يتألف من اللونين الاصفر والاحمر اضافة الى نشيد وطني.

والحال في الجهة الفلمنكية ليست افضل. فحتى ابرز المواطنين، من وزراء ومحررين ومديري شركات، يجاهرون بالولاء لعلم الفلاندر الذي يتألف من اللونين الاصفر والاسود. وقال جوزف دوبريه احد القادة في البرلمان: "نحن الفلمنكيين لا نحب ان نعترف بهويتنا البلجيكية. ففي قلوبنا هويتنا، انها فملنكية".

الى اين سيؤدي هذا؟ المتطرفون، وهم اقلية، يدعون الى الانفصال التام بحيث تنضم ولونيا الى فرنسا وتظل الفلاندر بلاداً مستقلة ذات علاقات وطيدة مع هولندا. اما المعتدلون فيأملون ان تعزيز السلطات الاقليمية الذي أقر عام ١٩٨٠ سيكون كافياً. غير ان هناك امراً اكيداً هو ان الشعار الوطني الذي اطلق حين تأسست البلاد والذي يقول: "في الاتحاد القوة" اصبح الآن صدى ساخراً للاوهام المتبددة. اما الشعار الذي اقترحه ولفريد ثيلمانس المدير المساعد للمجلس الثقافي الفلمنكي في بروكسل فيصف المقاومة الفلمنكية التي ينظمها هو بعبارة باللاتينية تقول: "بوغنا بلاسيت بلوس" اي: "هناك متعة اكبر في القتال".

والمشكلة هنا ان كلمة "بوغنا" اللاتينية لها معان عدة بدءاً بـ"الجدال" وانتهاء بـ"القتال". واذا كان مقدراً لتلك البلاد ان تبقى موحدة فعلى المواطنين في الجانبين ان يعالجوا مفهومهم للغة اللاتينية بكثير من الحذر والتعقل.

■ رودلف شلمنسكي

(٢) امارة مستقلة بين النمسا وسويسرا مساحتها ١٦٠ كيلومتراً مربعاً وعاصمتها فادوز.

أنت تحب ؟ اذاً، أنت موجود

الحب حمى تهبط عليك من حيث لا تدري
فيضنيك لهيبها
ويعميك عن طلب النجاة



الحب علة تتسلط على المرء على نحـو مقلـق. هـاك احـد البـؤسـاء المصابين بهذا الداء. انه يرتمي على المقعد حابساً انفاسه الا من زفرة عميقة يائسة بين حين وآخر، ثم يروح يذرع المكان جيئة وذهاباً وفي وجنتيه شحوب تارة واحمرار طوراً. ترى هل وخزته شوكة او قرصته بعوضة صغيرة؟

اذا جلس لتناول الغداء، رأيته يعرض عن الاكل. لا احد يحبه، لذا فانه يمقت جسده ويمنع عنه الغذاء. ثم تراه بعد نصف ساعة يتسلم رسالة. انها تحبه! وها هو يغطس في الطبق امامه حتى الانف. واذا ما القى عليه احدهم تحية فانه لا يردها بل يشخص هنا وهناك ولا يذكر محييه. يلتقط صحيفة في ذهول ويقف حائراً في ما عساه يمسك بين يديه.

آه يا كيوبيد (١) ! يا لك من صبي شقي!

انظر كيف يتكىء رجل الاوجاع على الجدار فيحمي عينيه بيد من دوار اصابه ويقبـض علـى صـدره بالاخرى ليخنق خفقان قلبه. واذا عبرت خياله صورة من يحب او تذكر

---

١. إله الحب عند الرومان.

Condensed from «Confessions of a Knife», copyright (c) 1979 by David Goldman and Janet Selzer, trustees, is published by Simon and Schulster, New York, N.Y. Illustration: Tina Holdcroft

قدمها او وشاحها، توهج ذقنه وجبينه بنشوة حمقاء. ولكن مهلا! انه تذكر امرا، وها ان محياه يتحول من جديد قناعاً من الالم وقد حفرت فيه تجاعيد عميقة. تلك هي نشوة الحب. لتحفظنا السماء من فرح كهذا.

الوشاح السحري – كل مرض ينال من مكان ما في الجسم. الجنون يصيب الدماغ والتليف يمس الكبد والقطان (٢) يكون في اسفل الظهر. اما الحب فانه ينال من تلك الشبكة المؤلفة من العقد والخيوط والمعروفة بالجهاز العصبي الطرفي. يا لها من سخرية ان يكمن لغز الحب هناك.

ان الطبيعة زودت نصف الجنس البشري بهرمونات معينة والنصف الآخر بهرمونات معاكسة لكي تبعث على الجماع، كما انها صممت تكاوين الجسد لتتلاءم مع ذلك. وزادت الامر تعقيداً بان لفت الكل بوشاح سحري يدعى الجهاز العصبي الطرفي. ان داء الحب ناتج من عطل يطرأ على هذه الشبكة.

امام كل فقرة في سلسلة الظهر، ابتداء من قاعدة الجمجمة حتى مؤخر العصعص، سلسلة مزدوجة من عقد عصبية مثبتة بالحبل الشوكي ومرتبطة بعضها ببعض. وانطلاقاً من تلك العقد تمتد رزم من الالياف العصبية تلتقي في محطات ابدال منتشرة في الجسم. وتتصل تلك الكتل العصبية المتنوعة بعضها ببعض عبر جهاز معقد من الدارات الكهربائية، وهي تفوق في اتقانها اعظم الادمغة الالكترونية.

في ذلك الجهاز العصبي تنتقل المشاعر في شكل تموجات وتفاعلات كيميائية هي غاية في السرعة، وهنا تترجم مشاعر الخوف والكبرياء والحسد وسواها الى لغة اللحم والدم. فيه تمكث الحماسة والنشاط وينتقل الحب. الاحاسيس تحمل منه بواسطة الياف عصبية بالغة الدقة الى الشعيرات الدموية وجريبات الشعر والغدد العرقية في الجسم. العضلات الملساء في المعي والغدد الدمعية والمثانة واعضاء التناسل، كلها تخضع للرشقات التي ترسلها هذه القيثارة. والاوامر المرسلة من خلالها لا تحصى: تقلص! تمدد! افرز! انتصب! انها في نشاط دائم.

ومن ميزات الجهاز العصبي الطرفي انه لا يتأثر بالفكر او بالارادة. جسدنا هنا يتحدث بصراحة عن كل ما يجتذبنا او يثير اشمئزازنا لا مكان هنا للوعي. نحن نشعر، اذاً فنحن موجودون.

العاشق الخائب – هل تنتظر لمسة حب في الغد او تذكر حبك في الامس؟

ما يمر بذهنك يلتقطه الجهاز العصبي الطرفي، وفي ما يشبه الكيمياء العربية القديمة يتحول حلمك واقعاً وردياً. تتمدد مليارات الشعيرات الدقيقة في وجنتيك وتمتلئ دماً، فيحمر وجهك وتبدو وسيماً. اما اذا رفض حبك فسوف تعود هذه التموجات في اتجاه مخالف، وفي رقصة دموية تتقلص الشعيرات دافعة ذلك السائل الاحمر من الوجنتين الى حوض اكبر في

٢. القطان او العناج الم عصبي في القطن وهو اسفل الظهر.

الجسم، فتبدو انت في شحوب الموت وكأنما انامك من جليد.

تخيل نفسك في وضع عاشق رفض حبه. انت تجلس في احد المطاعم بصحبة من تحب. تمد يدك لتتناول المملحة وفي اللحظة ذاتها تمد هي يدها لتتناول المبهرة. وتتلامس انامكما عن غير قصد، فتنطلق دفقة من جهازك العصبي تجعلك تسحب يدك وكأنها اصيبت بلذعة نار. وتؤمر شعيرات وجنتيك بالتمدد فتمتلىء دماً وتتورد بشرتك. وتأتيك اذ ذاك ابتسامة صديقتك الساخرة وهي تقول: "ما الأمر؟ انت تحمر حياء!".

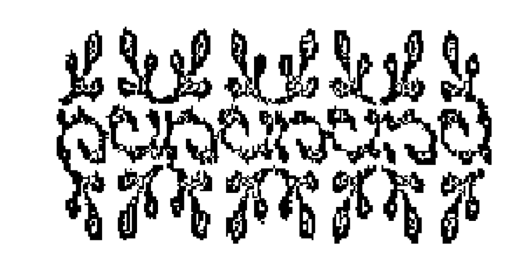
واذ تصل اليك كلماتها، تفتح غددك العرقية مسامها فتغلفك طبقة رطبة. وتلاحظ صديقتك ذلك فترفع احد حاجبيها. ويبلغ اذنيك صوت قرقرة غازية، فتضغط بطنك بيدك لتسكت الصوت. لكن صديقتك تسمعه كما يسمعه كل من في المطعم، فتنهض منصرفة.

ايها العاشق التعس، انك وقعت ضحية جهازك العصبي الطرفي. فهو خانك ونفر حبيبتك.

الحب مرض عضال، ولكن هل من رجاء في الشفاء منه؟ اذا ما اجتاز المصاب المراحل الصعبة، فله ان يترقب هبوطاً في حدة الحب وهموداً في لهيبه. وهذا من حسن الحظ لان من تضنيه حمى الحب المزمنة لا بد من ان يلقى حتفه قبل الاوان.

ومع ذلك فهناك من يحلم باكتشاف الدواء الشافي. ومتى نجح احدهم في ذلك فان الف جائزة نوبل ستقصر عن مكافأته. وهذا ما يجعلني افترض ان هناك غدة مركزية في مكان ما من الجسم، لعله تحت رضفة الركبة او بين الابهام والسبابة. فاذا انتزعت هذه الغدة اكتسب المرء مناعة ضد الحب. وها انا اجد باحثاً عن غدة الحب هذه مقلباً الانسجة وفاحصاً سراديب الجسم المظلمة علني أحظى بما يرشدني اليها. وقد لا اجد هذه الغدة لكني سأواصل البحث ما دمت حياً وسأوصي بذلك من يأتي بعدي. وحتى ذلك الحين لا يسعني الا ان اكرر نصيحة عمي الذي يوصي بان يغتسل العاشق بماء بارد ثم يقوم بثلاث جولات حول بيته كي يخفف من وطأة حبه.

■ ريتشارد سيلزر



...وللناس في ما يعشقون مذاهب

بعدما اشترى شاب سترة غادر المحل مبتهجاً. لكنه عاد في اليوم التالي ورد السترة مسترجعاً ثمنها، وفسر ذلك بقوله ان صديقته لم تحبها.

وبعد اسبوع رجع الشاب الى المحل نفسه واشترى السترة التي ردها. فسأله صاحب المحل: "هل غيرت صديقتك فكرها؟" فأجاب مبتسماً: "كلا، بل أنا الذي غيرت الصديقة".

ب. ر. ب.

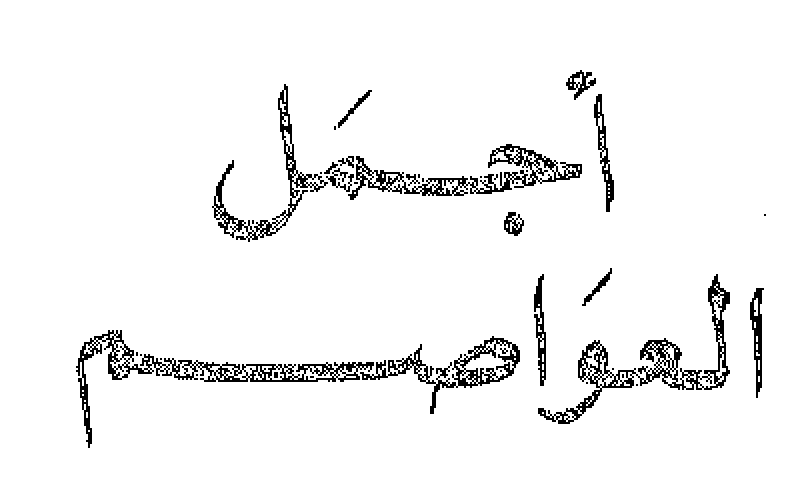


Photo Swissair

تسير في شوارع برن
فيطل عليك جمال الماضي من كل طاقة
وكل حجر.
سكان تلك المدينة القديمة
يرفضون اي تحديث
ويصرفون اموالهم بسخاء
للابقاء على طابع القرون الوسطى
في العاصمة الجميلة

على جدار كاتدرائية برن البالغ ارتفاعه ١٠٠ متر تمثال حجري لمجند يراقب بيقظة سطوح القرميد الاحمر في عاصمة سويسرا الاتحادية. يمسك هذا المجند سلاحاً نارياً من القرن السادس عشر ويقف متأهباً. وعندما تطل من الشرفة تحته لتستمتع من عل بمنظر الشوارع المتعطفة بين البيوت المزدانة بالازهار والرايات الملونة، فانك تخاله أحد سكان برن المتأهبين أبداً للذود عن مدينتهم في وجه كل غريب طارىء.

يقول غيدو شميزر القيم على محفوظات مدينة برن: "ان الحفاظ على مدينتنا كان دائماً شغفاً يستحوذ على مشاعرنا، ومنذ مئات السنين ألفنا الدفاع عن مبانينا الجميلة ومناظرنا البهيجة، وها هي ثمرة جهدنا بادية للعيان".

والواقع أن برن، التي يقال انها اجمل عواصم العالم، هي قطعة فنية رائعة اتقنت صنعها اجيال متعاقبة من الحرفيين، ومن ابنيتها المهيبة ما هو على نمط القرون الوسطى او على

الطراز القوطي او الباروكي، وهي امتزجت على نحو اخاذ في وحدة من الانسجام لا مثيل لها في اي مكان آخر. وقد أعلن رينولد تشابات ذات مرة، وهو محافظ سابق للمدينة: "كل محافظ يدعي ان مدينته هي اجمل مدن العالم، والفرق اني انا وحدي اقول الحقيقة".

نادراً ما تدلل مدينة كما تدلل برن. وقد قال لي معلم مدرسة شاب: "كلنا واقعون في غرام مدينتنا. اننا نستمتع بها وننفق عليها اموالنا ونقرأ عنها ونتباهى بانها احدى اصغر العواصم الغربية".

سكان برن جديون في شأن صيانة مدينتهم، لكنهم لا يترفعون عن المزاح في ذلك الصدد. سألت احد السكان كيف احتفظت برن بجمالها فقال: "ربما لاننا نحن، سكان برن، معروفون ببلادتنا الذهنية. ويجدر بك الا تقص علينا نكتة نهار الجمعة خوفاً من ان ننفجر ضاحكين اثناء صلاة الاحد. وهكذا فنحن نرى الآخرين يهدمون مبانيهم القديمة ويحولون

مدنهم قفاراً من الاسمنت. وعندما نبدأ التساؤل عما اذا كان يجدر بنا ان نحذو حذوهم يكون هؤلاء ادركوا اي خطيئة رهيبة ارتكبوا. لذلك فاننا نرمم بيوتنا ونمد في اعمارها بضعة قرون اخرى".

لقد نجحت برن، التي تأسست عام ١١٩١، في التكيف مع متطلبات الحياة المعاصرة. ففي حين حافظ السكان على برن القديمة كما هي فانهم سمحوا للمناطق التجارية والسكنية بان تتطور وتمتد حولها، وحافظ وسط المدينة على طابع القرون الوسطى، ومع ذلك امكنه استيعاب اجهزة الحكومة الاتحادية المتشابكة والمشاريع التجارية الحديثة. ففي عشرينات هذا القرن، مثلا، لبت سلطات المدينة مطالبة الاهالي بدور للسينما لكنها جعلتها داخل الابنية القديمة.

ونجد مثالا آخر لهذا التكيف المميز في صيدلية دار البلدية التي ما زالت قائمة في المكان نفسه منذ العام ١٥٧١. فهي في ناحية تضم صيدلية حديثة وفي الناحية الاخرى صيدلية من الطراز القديم تقدم الاعشاب الطبية. اما الحكومة المحلية فهي متوارية في احد اجمل بيوت المدينة وهو "أرلخرهوف" الغني بالنقوش والزخرفة وقد بني عام ١٧٥٢.

ومن التعديلات الاخرى البارزة في برن القناطر الرائعة فوق الارصفة. انها من اجمل مشاهد المدينة واشدها اجتذاباً للسياح. وقد بوشر بناؤها قبل ٨٠٠ سنة لتكون اكشاكاً خشبية او مشاغل للحرفيين، فشيدت على جوانب الشوارع العريضة على مسافة امتار قليلة من بيوت هؤلاء. ولم يمض وقت طويل حتى اراد احدهم توسيع مشغله، فاضاف طبقة او اثنتين فوق القناطر ووصل الكشك ببيته تاركاً فسحة مسقوفة تحته. واعجبت الفكرة آخرين. وسرعان ما غدت القناطر اروقة متصلة للمشاة وملتقى اجتماعياً. ويقول احد سكان المدينة: "الطقس دائماً جيد تحت القناطر حتى في فصل الشتاء، وهناك يمكننا ان نقف ونتحدث".

المدينة القديمة — في اروقة القناطر التي تمتد ستة كيلومترات، والتي وصفت بانها "اكبر مركز تجاري على نمط القرون الوسطى في العالم"، يمكنك تناول الطعام والشراب وشراء اي شيء تقريباً: من المجوهرات والالبسة الانيقة الى الديدان الحية التي تستخدم طعماً لصيد السمك. ان كثيراً من الاقبية العميقة التي كان سكان برن يختزنون فيها وقودهم ومونهم طوال اجيال تحولت اليوم حوانيت انيقة ومكاتب ومسارح صغيرة.

ولا شك في ان موقع برن على شبه جزيرة يحرسها نهر "آر" انقذها من دواهي الحروب وابعد عنها خطر النمو والامتداد العمراني. ويقول شميزر: "نهر آر هو نعمتنا الكبرى. لولاه لكان انتشار الضواحي خنق الحياة وسط المدينة القديمة كما حدث في مدن كثيرة".

واختفت عبر القرون أبنية كثيرة. فقد دمر ٦٠٠ بناء في الحريق الهائل الذي شب عام ١٤٠٥، لكن أبنية اخرى من الطراز المعاصر قامت في المواقع نفسها. ومن اجل تسهيل

عملية تخمين الضرائب أمر الدوق برختولد فون زارينغن، وهو مؤسس المدينة، بان تكون قطع الارض المخصصة للبناء متساوية في المساحة. وعلى رغم التغيير المستمر في التفاصيل فان المدينة حافظت على بنيتها الاساسية. حتى المجاري التي انشئت في القرن الثالث عشر ما زالت تستخدم حتى اليوم.

والى ذلك فان تضامن المواطنين كان له الفضل في الحفاظ على المدينة. فالمواطنون العاديون يحثون اعضاء المجلس البلدي على مقاومة كل ما يمكنه ان يضر بمدينتهم.

ففي العام ١٩٥٤ اعلن احد اصحاب المشاريع خطة تتناول مجموعة من البيوت القديمة المشادة في القرن الثامن عشر لتحويلها ٦٠ شقة عصرية صغيرة. وخشي كثيرون من سكان المدينة انتقال العدوى الى بيوت "المدينة القديمة"، وهي اجمل مواقع برن، فيخليها القاطنون الاصليون من عائلات وحرفيين واصحاب صناعات يدوية ليحل مكانهم غرباء.

وقدّر الاهالي ان تجريد المدينة القديمة من الحياة السكنية والتجارية سيؤدي الى اضمحلالها. فهبوا الى العمل واحتشد ٨٠٠٠ شخص منهم في ساحة الكاتدرائية تلبية لنداء الملصقات التي جاء فيها: "انقذوا المدينة القديمة! شاركوا في مسيرة نهار السبت". وعزفت الفرق الموسيقية الحاناً حماسية وألقى اعيان المدينة خطبا حماسية وراح سكان برن المتحفظون يهتفون فتردد سطوح المنازل صدى اصواتهم. وبعد يومين اشترى "مجلس المواطنين"، وهو جمعية تضم ابناء العائلات الارستوقراطية، البيوت الثمانية المهددة بالهدم ووعد باستخدامها كمشاغل ومساكن للعائلات.

ومن اجل الحفاظ على المدينة القديمة ايد المواطنون في السنة التالية مشاريع قوانين صارمة للبناء. وفي العام ١٩٧٩ اضيفت تشريعات اخرى اشد صرامة. ويقول شميزر: "الآن اصبحت لدينا قوانين قاسية وكلاب حراسة ذات انياب حادة".

قلعة حصينة — الحارس الرسمي هو برنهارت فورر، أحد اثنين فقط من "الاوصياء على الآثار القديمة" في سويسرا. وهو مهندس معماري شاب يملك معرفة تخصصية بفنون البناء القديمة ويعتمد في عمله موازنة سنوية تبلغ ١٥٠،٠٠٠ فرنك سويسري (٨٠ الف دولار)، فيراقب كل بناية قديمة ويوصي بمنح الهبات ويقدم النصح في شأن تحديث البيوت او اصلاحها كما يراقب اعمال الترميم في مئات الابنية التي تملكها المدينة.

ويلقى فورر دعماً قوياً من مؤسسات خاصة مثل جمعيات "الدفاع عن المنزل" و"ابقوا برن خضراء" و"مجلس المواطنين". هذه المؤسسات تصرف نحو مليون فرنك سنوياً (٥٠٠ الف دولار) لشراء الابنية القديمة او ترميمها.

كذلك يلقى فورر دعماً من جماعات فريدة تعرف باسم "لايست"، وهي لجان من الاهالي والحرفيين واصحاب الحوانيت تشكلت قبل قرن. ويتولى اعضاء هذه المؤسسات مراقبة الاحياء ويخطرون المجلس البلدي بأية



السوق وبرج الساعة ونافورة ماء .

تعديلات غير قانونية في الابنية او لوحات اعلانية غير لائقة او أي شيء آخر يهدد مجتمعهم .

وتوجب انظمة البناء على اي شخص يرغب في تبديل مظهر مسكنه الخارجي ان ينشر التفاصيل في الجريدة الرسمية كي يتاح لجيرانه ولمنظمات المحافظة على طابع المدينة تقديم الاعتراضات . حتى الواجهات الخلفية للمنازل تتمتع بالحماية .

كذلك اقر المواطنون منح السلطات المحلية صلاحية المحافظة على الزخارف والنقوش الداخلية ذات القيمة التاريخية او الهندسية . ويقول فورر: "يمكننا شرعاً ان نحول دون نزع مدفأة مزخرفة او باب محفور ، لكننا نسير بحذر ، فكل مواطن في برن يعتبر ان بيته هو قلعته الحصينة" .

وتولي هذه السلطات اهتماماً خاصاً للقناطر ونوافير الماء الفريدة في الشوارع التي ما زالت قائمة منذ القرون الوسطى . فقد انشئت هذه النوافير قبل اكثر من اربعة قرون ، وهي متوجة بتماثيل مزخرفة وملونة بينها تمثال شمشون وتمثال العدل والدب المدرع وعازف المزمار . وهي تحظى باهتمام وتقدير من المواطنين والزوار على السواء . وفي العام ١٨٩٦ اوصى احد الغرباء الذين استوطنوا المدينة بتركته كلها البالغة ٢٧ ألف فرنك (١٤ الف دولار) للحفاظ على هذه التماثيل . غير أن عدداً من النوافير يعيق الآن حركة السير ، ومع ذلك فاعيان المدينة يرفضون ازالتها الا متى كانت تهدد بخطر . ويتساءل سائق سيارة اجرة: "ولماذا تراها تزال؟ ان برن بنيت للناس وليس للسيارات" .

وتخلق حركة السير مشكلة لان الغازات التي تنفثها السيارات تضر بالأبنية . فالحجر الرملي الذي بني به برج الساعة الفلكية قبل ٤٦٠ سنة ، وهو أبرز معالم المدينة اجتذاباً للسياح ، اخذ يتفتت بمجرد لمسه . ويخطط المعنيون بالامر لمنع السيارات من التجول في شوارع المدينة القديمة . وقد غدت بعض الاحياء خالية تماماً من السيارات .

سوف تبقى — والحق ان اساليب البناء التي كانت شائعة في القرون الوسطى ما زالت تتبع اليوم في ترميم الابنية الفخمة. ويعكف البناؤون في الكاتدرائية على نحت الحجار والزخارف والتماثيل لتحل محل القطع الاصلية التي أتت عليها عوادي الطقس والعوامل الكيميائية. كما ان الاساليب الفنية في مجال الترميم متاحة للجميع.

اما الحرفيون المهرة فيتبادلون الاسرار التي حصلوا عليها بشق النفس، ويأتيهم عمال محترفون من انحاء سويسرا ليتعلموا عليهم وفقاً لبرامج خاصة ترعاها مدرسة الفنون والحرف في برن.

واشتهرت المدينة القديمة بين مخططي المدن ودعاة الحفاظ على التراث. ويستقبل فورر بين اربعة وخمسة زوار اجانب كل اسبوع يقصدونه بلهفة ليتعلموا منه كيف امكن تحقيق ذلك. كثيرون منهم يعودون قانطين لعلمهم انه لن تتوافر في بلدانهم المبالغ التي تدفعها برن راضية، للمحافظة على تراثها.

وعلى اساس المعدلات السويسرية فان سكان برن (١٤١ الف نسمة) ليسوا من الاغنياء. فدخل الفرد السنوي يبلغ ١٩٬٣٠٠ فرنك (١٠ آلاف دولار) وهو دون المعدل الوطني العام الذي يبلغ ٢١٬٥٠٠ فرنك (١١ الف دولار)، كما ان الضرائب في برن تتجاوز المعدل الوطني قليلاً. ومع ذلك فان سكان برن يخصصون قرابة ثلاثة ملايين فرنك (١٫٥ مليون دولار) كل عام لتجميل مدينتهم كما يصرفون ملايين اضافية لترميم منازلهم. ويقول شميزر: "يهز مشاعري إقبال الرجال والنساء على التصويت لارصاد مبالغ ضخمة للمشاريع الخاصة كمبلغ الـ٢٦ مليون فرنك (١٣ مليون دولار) الذي ارصد حديثاً لترميم المسرح البلدي".

ويصرّح مارسيل غرانجان، مدير



تحت القناطر.

الدعاية في مكتب السياحة في برن، بان الحفاظ على التراث هو توظيف ممتاز، "فالمدينة تجني ١٨٠ مليون فرنك (٩٠ مليون دولار) سنوياً من السياحة غير اننا اسرفنا في صرف المال على مدينتنا حتى قبل ان تزدهر الصناعة السياحية بزمن طويل. فسكان برن اسعدهم دائماً ان يسخوا من اجل الجمال والجودة".

أيمكن ان تتجاوز حملة المحافظة على التراث حدودها المعقولة؟ وهل تنحط المدينة القديمة وتتحول متحفاً اثرياً لتعيش على ماضيها فحسب؟"

طرحت هذين السؤالين ذات صباح على خضري فصاح، وهو ينظر الى القناطر من اعلاها الى اسفلها: "متحف؟" كان الشارع يضج بالحياة والاولاد يركضون الى مدارسهم والنساء يشترين مونة اليوم واصحاب الحوانيت يوضبون بضائعهم. ثم سألني: "هل يتراءى لك هذا المكان متحفاً؟ ان المدينة القديمة مفعمة بالحياة، تعيش الحاضر لكنها تحتفظ بكل جميل من الماضي. بنيت برن من اجل الناس ليعيشوا فيها ويعملوا، وسوف نبقيها كذلك".

ولا شك عندي في انهم سيفعلون.

■ جفري لوسي



يوم النظافة

ماذا تعرف عن نظافة الاوروبيين؟

هناك عائلات سويسرية لا يستحم أفرادها الا في عطلة نهاية الاسبوع. ومرة حل سويسري ثري وزوجته في أحد فنادق نيويورك الفخمة، فكتبت الزوجة رسالة الى ذويها تقول فيها: "اننا ننزل في غرفة رائعة موصولة بحمام فخم مزيّن بالمرمر... آه لو كان هذا اليوم سبتاً!"

ش.ت.

ترقية الرؤساء

في سيرته عن الرئيس الامريكي هاري ترومان، "كلام صريح"، يقول المؤلف ميرل ميلر انه سأل الرئيس الاسبق مرة هل كانت مغادرة البيت الابيض ضايقته. فأجاب ترومان:

"الحق أن خروجي من قصر الرئاسة لم يزعجني البتة. فقد حفظت في ذهني جملة تفوه بها أحد الرؤساء السابقين هو بنجامين فرانكلين في اجتماع في فيلادلفيا. في ذلك الاجتماع دار الحديث على ما يجدر بالرؤساء السابقين فعله. وأظن أن الكسندر هاملتون قال أنه من الحيف اعادتهم الى صفوف الشعب بعدما كانوا يقبضون على أزمة السلطة. فانبرى فرانكلين قائلا: "في الحكومات الحرة يكون الحكام خداماً للشعب، والشعب صاحب السلطة والسيادة. لذلك كانت اعادة الحكام الى صفوف الناس رفعاً من شأنهم، وليس العكس".

وأضاف ترومان وهو يبتسم: "اني لم أنس كلام فرانكلين على الاطلاق طوال فترة رئاستي في البيت الابيض... كذلك لم أنسه منذ حصولي على الترقية".

منشورات "بيركلي"

الضحك خير دواء

وراثة قبل اوانها

على لوحة اعلانات في الجامعة، علّق العنوان الآتي لمحاضرة: "هل الشيب المبكر وراثي؟" فكتبت إحداهن تحته: "أجل، اذ ان مصدر شيبي كان اطفالي".

س.ك.

المدير السيىء

على أثر تبلّغ قرار نقلي من مدرسة حكومية الى اخرى، اقمتُ حفلة وداعية دعوتُ اليها جميع أساتذة المدرسة والعاملين فيها. وجاءني أحدهم قائلا: "اني متأكد من ان المدير الذي سيخلفك لن تكون له جدارتك".

فأجبته وقد سرني اطراؤه: "هذا هراء يا صديقي".

– صدقني انه الحق! فقد عرفتُ خمسة مديرين لهذه المدرسة، كان كل منهم أسوأ من سلفه.

اجتماعات الكبار

دعا ريتشارد نيكسون، حين كان رئيساً للولايات المتحدة، وزير الخارجية الأسبق دين اتشيسون الى اجتماع ضمّ مستشاري الرئاسة القدامى والجدد. وحين سئل الوزير السابق عن سبب استغراق الاجتماع وقتاً طويلا، أجاب: "كان جميع المؤتمرين يتحلون بفضيلتي السن والفصاحة".

هنري كيسينجر، "سنوات البيت الأبيض"

الخبرة افضل معلم

كانت امرأة تأخذ دروساً جامعية، وهي أم لخمسة أولاد دخل اصغرهم المدرسة حديثاً. وعندما جلست تراجع مادة علم النفس، قررت الا تقرأ شيئاً عن بياجيه، عالم النفس المختص بالاحداث.

وصادف ان الامتحان كله كان حول بياجيه. فاضطربت أولا، لكنها ما لبثت ان هدأت روعها بالفكرة الآتية: "وهل يعرف بياجيه أكثر مني عن الأطفال؟ لقد ربيتُ خمسة منهم". وأخذت تملأ الصفحات واحدة بعد الاخرى.

وجاءت علامتها ٨٥ من مئة، مع ملاحظة تقول انه كان يجدر ان تأتي على ذكر بياجيه أكثر مما فعلت!

م.ف.

الثانية بالف والفلس بمليار

وقف بشري أمام الله تعالى في العالم الآخر، فسأله: "كم يبدو المليار دينار في نظرك يا ذا الجلال؟"

– فلساً واحداً!

"والألف سنة؟"

– ثانية فقط!

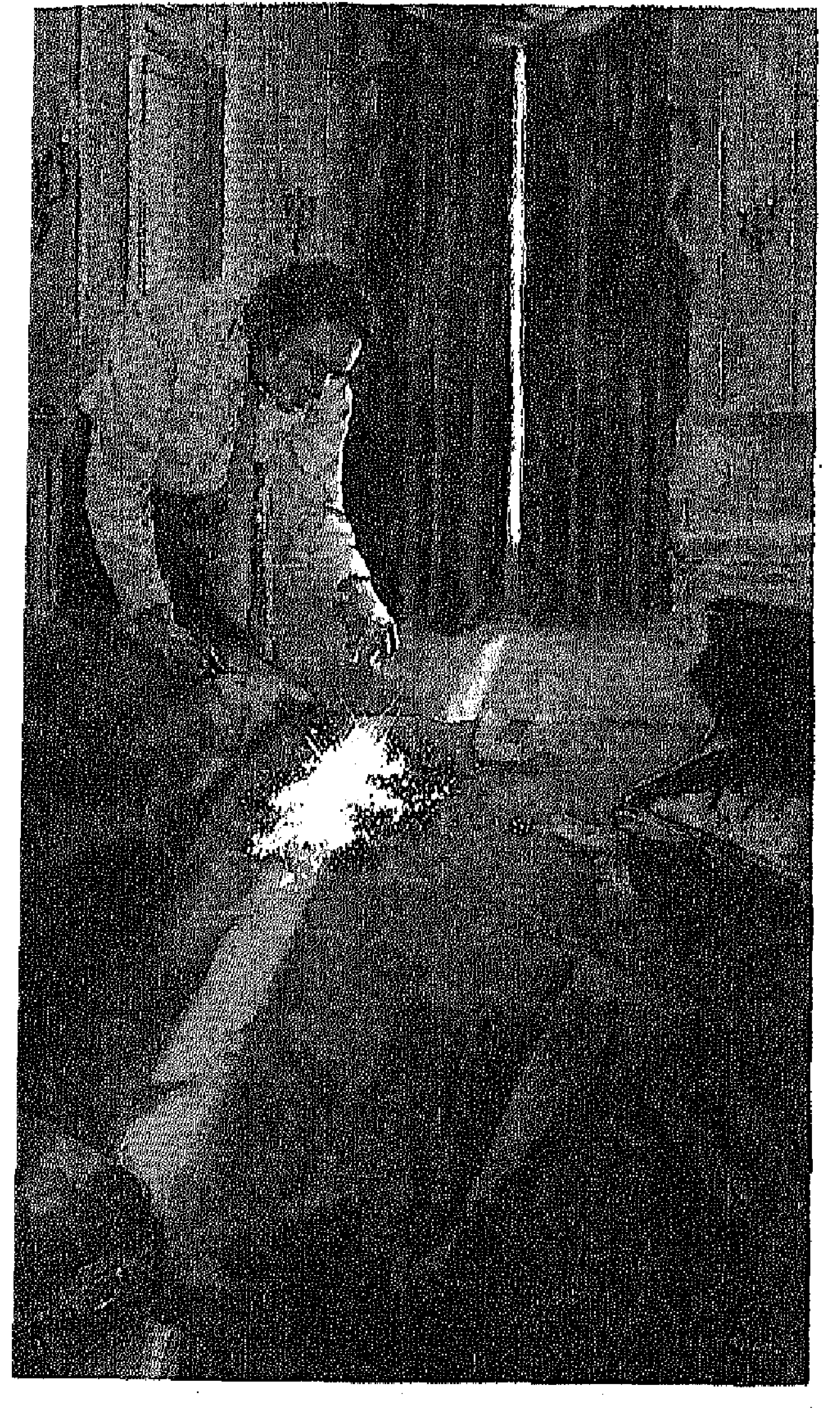
"اعطني، يا ذا الجلال، فلساً وأكتفي".

– انتظر ثانية واحدة!

مجلة "لوي"، فرنسا

اللصّ الألكتروني

خبير الكتروني استغل معرفته
لتنفيذ احدى اعظم السرقات المصرفية في التاريخ



عبر الرجل القصير الأصلع، بخطوات حثيثة، ردهة مصرف "سكيورتي باسيفيك ناشونال بنك" في لوس انجلس وولج المصعد. لم يعترضه احد حين تابع سيره ودخل قاعة التحويل البرقي، وهي المركز الرئيسي لتحويل مئات الملايين من الدولارات كل يوم من مصرف "سكيورتي باسيفيك" الى المؤسسات المالية في انحاء العالم.

كان هذا الرجل المكتنز الجسم خبيراً في الادمغة الالكترونية. وهو دخل المكان من قبل لوضع برامج لشركة نيط بها امر تركيب ادمغة الكترونية في المصرف. لكن تلك المهمة انتهت منذ اشهر، وهو جاء اليوم زاعماً انه موفد بصفة مستشار من مكتب الاحتياط الاتحادي (★) ليساعد المصرف في حل المسائل التي يواجهها في التحويل البرقي المرتبط بالادمغة الالكترونية. ولم يكلف احد نفسه عناء التحقيق في صحة هذا الزعم.

(★) شبيه بالمصرف المركزي

يوم الاربعاء في ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ دخل ستانلي مارك رفكن مركز التحويل للمرة الاخيرة. كان هناك نحو ٦٠ موظفاً امام اجهزة المراقبة التلفزيونية والهاتفية يتلقون من المسؤولين في المصرف تعليمات باسماء الزبائن وارقام الحسابات وطلبات التحويل اضافة الى الرمز اليومي السري،وهو المعلومات التي يجب ان تلقم الدماغ الالكتروني لتحويل الأموال من حساب مصرف "سكيورتي باسيفيك" البالغ ٧٠٠ مليون دولار لدى مكتب الاحتياط الاتحادي وسواه من المصارف.

اختار رفكن شاباً يعمل على جهاز في زاوية قصية من القاعة ولازمه طوال ساعة وهو يلقي عليه الاسئلة ويراقب اسلوب عمله. وعند الساعة الثالثة بعد الظهر خرج رفكن الى اقرب هاتف واتصل منه بالمركز البرقي: "هنا مايك هانسن من القسم الدولي".

فرد عليه صوت نسائي لطيف: "حسناً، ما هو رقم المكتب؟"

- ٢٨٦٠.

"٢٨٦؟ حسناً، ما هو الرمز؟

- ٤٧٣٩

مرت فترة صمت. فاذا كان الرمز خطأ تعين على محدثته اقفال الخط حالا.

"حسناً".

- اسم المصرف "ارفن تراست" في نيويورك والمطلوب تحويل مبلغ عشرة ملايين ومئتي الف دولار الى مصرف "فوزخود" في زوريخ، سويسرا.

أوضحت الموظفة انها جديدة في العمل ولم تألف بعد الاجراءات اليومية. ثم دخل صوت آخر على الخط وقال: "نعم، بأمر ممن؟"

- كوست دياموند.

"حسناً، هل تتكرم باعطائنا رقم التسديد المشترك بين المكاتب؟"

- بكل تأكيد، (١٠٦١٣١

"هذا الرقم خطأ".

- انه صحيح!

"كلا، نحتاج الى رقم يبدأ بـ١٠٩ او ١٠٧"

- دعني اتأكد من ذلك وسأتصل بك ثانية.

كان رفكن حصل على الرمز اليومي الصحيح، لكن رقم التسديد المشترك الذي اعطاه - وهو نوع من التعريف الاجرائي - كان نقله عن ورقة عمل في المركز البرقي وهو رقم مذكرة صرف نقدي وليس رقم تحويل دولياً للاموال.

واتصل رفكن هاتفياً بالقسم الدولي زاعماً انه من المركز البرقي وسأل عن الرمز الذي يبدأ بـ١٠٧ او ١٠٩، فحصل على الرقم الصحيح ثم اعاد الاتصال بالمركز البرقي. ولما تسلم الموظف المختص الطلب القمه الجهاز الالكتروني.

وهكذا تمت العملية بنجاح، وبمنتهى البساطة.

لقد نجح ستانلي مارك رفكن في انجاز احدى كبرى السرقات المصرفية في تاريخ الولايات المتحدة بفضل معرفته لنظام التحويل البرقي بالادمغة الالكترونية. وهو تمكن من سحب الاموال من حساب لا وجود له عن طريق الهاتف، بينما قيد المصرف، بواسطة مكتب الاحتياط الاتحادي، عشرة ملايين دولار لحساب

"روسالماز" في زوريخ وهي شركة تسويق للالماس تملكها الحكومة السوفييتية٠ وامكن رفكن ايضاً، ببادرة اخرى من عقله النير، وضع خطة لتحويل المال الى سلعة سهلة الابدال هي الالماس٠ ولم يبقَ عليه الآن سوى ركوب الطائرة وعبور المحيط الاطلسي الى سويسرا٠

الحجار البراقة - بعد يومين من ذلك التاريخ، وفي مكاتب شركة "روسالماز" في جنيف وقف آليكس مالينين، المسؤول عن بيع الالماس الروسي في سويسرا، يتحدث مع لو شتاين الوسيط الاميركي لبيع الالماس عن حصيلة يوم ناجح٠

وعادت افكار شتاين الى الصيف المنصرم عندما جاءه مستشار في شؤون الادمغة الالكترونية يدعى رفكن، بناء على توصية من صديق مشترك هو المحامي غاري غودغايم في بيفرلي هيلز، كاليفورنيا٠ وعرّف رفكن بنفسه على أنه يمثل شركة تريد تسديد دفعة مالية في الشرق الاوسط بواسطة سلعة لا يمكن اقتفاء اثرها٠ فاقترح غودغايم ان تكون تلك السلعة الماس واوصاه بالاجتماع بالوسيط شتاين٠

والآن، نيابة عن رفكن، انهى شتاين عقد صفقة لشراء الماس بقيمة ٨،١٤٥،٠٠٠ دولار على ان يوضع ما تبقى من مبلغ الـ١٠،٢ ملايين دولار موقتاً في حساب مصرفي يعود الى وسيط جواهر آخر٠

وكانت الجواهر حينئذ في طريقها الى جمارك المطار حيث يفترض ان يتقدم ساع في اليوم التالي لتسلمها، او هكذا توهم شتاين٠

وجاء رفكن منتحلا شخصية الساعي المنتظر الى مكاتب شركة "روسالماز" طالباً تسلم الماس٠ لكن مالينين صاح محتجاً: "هذا مستحيل، الجواهر ليست هنا"٠

وبدا الانزعاج على رفكن قال: "اوه! امروني بان اتسلم الجواهر هنا وان اعطيك رقماً رمزياً للتعريف٠ ثم تلا رقماً من عشرة اعداد يفترض ان يكون معروفاً فقط لدى المسؤولين السوفييت والزبون الامريكي والساعي المكلف٠

قال السوفييتي: "نعم، ذلك صحيح٠ ولكن يبدو انك جديد في المهنة٠ فقد ارسلت الجواهر الى مكتب الخطوط الجوية السويسرية في المطار ويمكنك ان تتسلمها هناك"٠ فتوجه حالا الى المطار٠ وبعد تسلم الجواهر اشترى رفكن تذكرة سفر الى لوكسمبور وهو يعرف انها بلاد لا يجرى فيها تفتيش جمركي دقيق٠

وفي اليوم التالي كان نور الشمس يتسلل من بين الستائر المخملية ويسطع على فراش عريض داخل غرفة في احد فنادق لوكسمبور٠ ووقف ستانلي رفكن ينظر الى الجواهر مشدوهاً٠ ففوق الفراش تلألأت ٢٥٠،٠٠٠ حبة الماس تبلغ نحو ٩ آلاف قيراط وتزن نحو كيلوغرامين٠

وفغر ستانلي فاه عندما ايقن انه نجح حقاً في اتمام هذه العملية الجريئة، لكنه في الوقت نفسه كان في حيرة من أمره حيال ما يجدر به ان يفعل بعد ذلك٠

وخطر له ان الامر المنطقي الوحيد هو ان يعود الى موطنه، والا فكيف يتسنى لأحد ان يعرف ماذا فعل؟

كشف السر – سمع غاري غودغايم، صديق رفكن ومحاميه، صوت ستانلي يناديه من شرفة "لارميتاج"، وهو فندق فخم في بيفرلي هيلز. فصعد اليه وكان رفكن في جناح في الطبقة الثالثة.

قال رفكن: "لم آخذ بنصيحتك".

فسأله غودغايم: "في اي شأن؟"

فقال: "أتذكر صفقة الالماس؟ قلت لك اني قد أستولي على الجواهر وأفرّ بها فحذّرتني قائلا: لا تفعل؟ حسناً، لقد فعلت واستوليت على الجواهر".

حدّق غودغايم الى وجه صديقه وصاح: "لا أصدقك!"

وهنا فتح رفكن ظرفاً وافرغ الجواهر في منفضة سجائر امام غودغايم وقال: "انها الماس حقيقي. لقد قمت بتحويل برقي غير قانوني بمبلغ عشرة ملايين دولار من مصرف سكيورتي باسيفيك..."

ترى هل فضح رفكن نفسه بما أسرّ به الى غودغايم؟

لم يخالجه شك في ذلك لاقتناعه بان المحادثة بينهما تحميها سرية العلاقة بين الموكل ومحاميه. ومهما يكن من امر فانه ركب الطائرة في اليوم التالي متوجهاً شرقاً.

وفي اليوم نفسه (٣١ اكتوبر (تشرين الاول) كان روبن براون، المفوض الخاص في مكتب التحقيق الاتحادي وأحد افراد وحدة تحقيق سرية لمكافحة الجرائم في لوس انجلس، وراء مكتبه في مواجهة المحامي الشاب. وما ان غادر غودغايم هذا المكتب بعد ساعتين حتى استنفر المفوض براون افراد وحدته.

وبعد يومين جلس والتر فيشر، نائب الرئيس ومدقق الحسابات العام في مصرف سكيورتي باسيفيك، يصغي الى براون وهو يقص عليه ما يعرفه عن رفكن والتزوير البرقي المزعوم.

واعتبر فيشر ان القصة كلها غير ممكنة الحدوث. فقال براون: "ارجو ان تعيد النظر في سجلاتك يا سيدي".

ولم يستغرق التدقيق طويلا. فبعد ثمانية ايام من تنفيذ عملية السرقة اطلق الانذار.

وفي الليلة التالية كان بول اوبراين يشاهد نشرة اخبار الساعة الحادية عشرة على التلفزيون في منزله في روشستر، نيويورك. انه مسؤول كبير في شركة الهاتف، وقبل يومين اتصل به عميل سابق طالباً مساعدته في تأسيس شركة لبيع الالماس واعطاه مبلغ ٦٠٠٠ دولار نقداً. لكنه الآن يرى على شاشة التلفزيون صورة شريكه الجديد ستانلي رفكن الذي يلاحقه مكتب التحقيق الاتحادي في شأن ما اعتبر الليلة "كبرى السرقات المصرفية في التاريخ". وللحال تناول اوبراين الهاتف.

كان رفكن يسابق مطارديه. فهو حجز في تلك الليلة غرفة في فندق، باسم مستعار، وفي الصباح اشترى تذكرة سفر الى شيكاغو.

ومن مطار اوهير في شيكاغو اتصل بصديقه القديم دان وولفسن وسأله: "هل تعلم بحالي يا دان؟ لقد رجعت لأسلم نفسي".

انتظر وولفسن طائرة رفكن في مطار سان دييغو، وبات رفكن تلك

الليلة في شقته. وفي اليوم التالي اتصل باوبراين في روشستر وقال له: "اريد منك ان تعيد الي المال الذي دفعته لك". ثم اعطاه رقم صندوق بريد وولفسن في كارلسباد، كاليفورنيا.

قبيل منتصف الليل طوق رجال مكتب التحقيق الاتحادي شقة وولفسن. وبعد التأكد من الاسم لدى مراقب البريد في كارلسباد وجد المحققون العنوان نفسه مدرجاً في بعض التقارير الأمنية.

ودخل براون الشقة. فخرج رفكن من غرفة النوم رافعاً يديه فوق رأسه وقال: "اظنكم جئتم تطلبون الالماس. انه هنا في غرفة النوم".

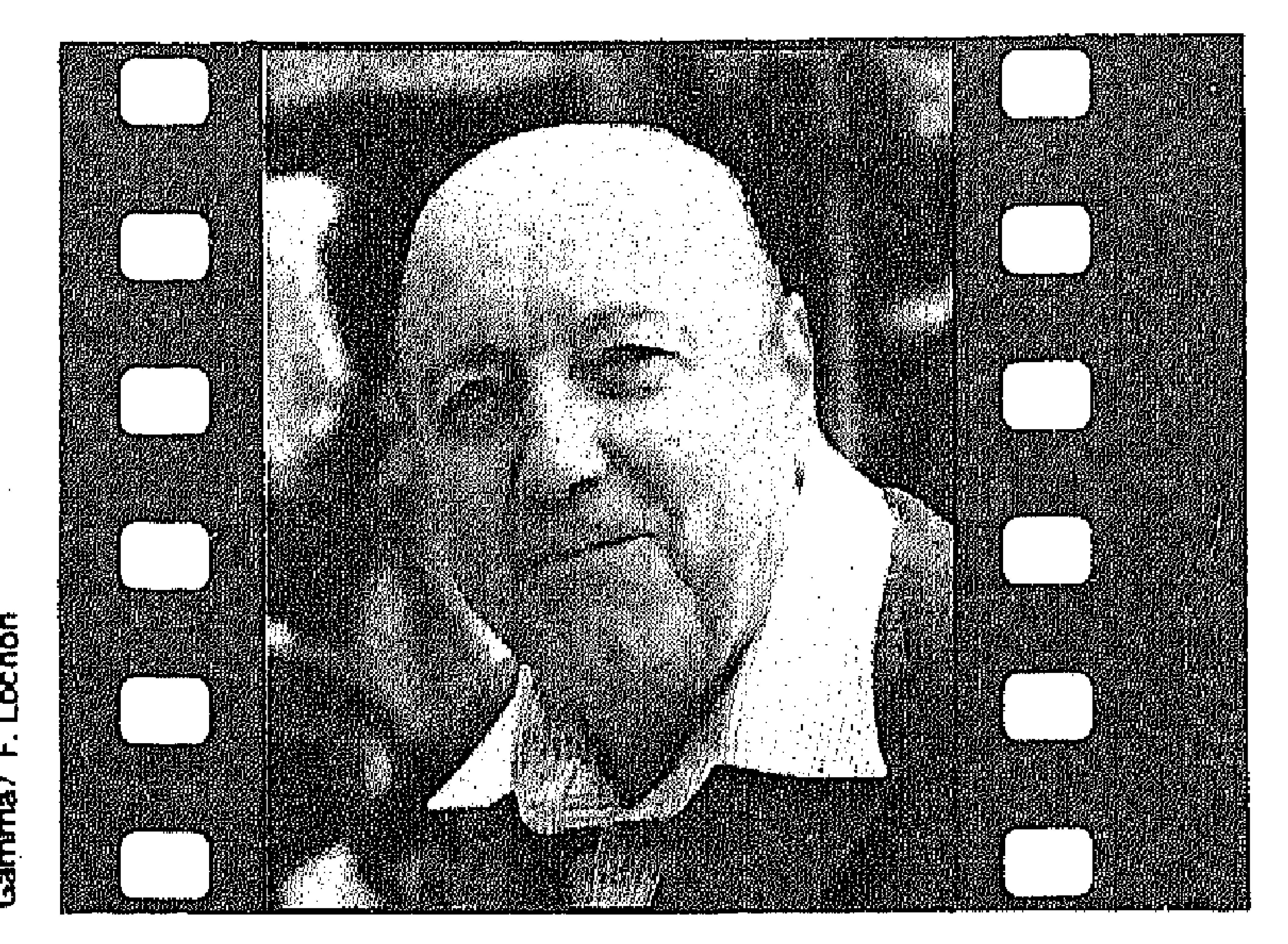
في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٩ دين ستانلي مارك رفكن بتهمتين تتعلقان بالتزوير البرقي، وحكم عليه بالسجن خمس سنوات للتهمة الاولى وثلاثاً للتهمة الثانية على ان ينفذ الحكمان واحداً بعد الآخر.

وعلى اثر هذه العملية اقام مصرف "سكيورتي باسيفيك" نظام حماية بالدماغ الالكتروني لتداول طلبات التحويل البرقي بين فروعه. وقال احد موظفي المصرف: "ان اعتماد الادمغة الالكترونية كلياً في التحويل البرقي عندنا خفف متاعبنا الامنية. وان ما فعله رفكن لا يمكن ان يحدث مرة اخرى وفق ما يؤكده خبراؤنا"... اي خبراء الادمغة الالكترونية امثال ستانلي رفكن!

■ بروس هندرسون وجفري يونغ



مارسيل كارنيه


Gamma/ F. Lochon

افلام
هذا المخرج
الفذ
تصدمنا
اكثر من الحقيقة
وتترك فينا
اثراً لا يمحي

المخرج الثائر

كنت وابنة اخي ننتظر في صف طويل امام شباك التذاكر في الحي اللاتيني في باريس ذات مساء من شتاء ١٩٧٩ عندما اعلن المدير: "نفدت المقاعد. العرض التالي يبدأ بعد ثلاث ساعات". والفيلم الذي جئنا لمشاهدته قديم جداً وعمره ٣٤ سنة، وهو "أطفال الجنة" تحفة المخرج مارسيل كارنيه.

هذه الرائعة السينمائية لا تزال تعرض في انحاء العالم بلا انقطاع منذ العام ١٩٤٥. وقال الكاتب السينمائي الراحل تشارلز سباك ذات مرة: "حتى لو لم ينتج كارنيه فيلماً سواه لاعتبر من كبار رجال الفن السابع". لكن ملك العصر الذهبي للافلام الفرنسية أنتج ٢٢ فيلماً، بينها على الاقل عشر تحف فنية من الطراز الاول. ويقول الممثل رولان لوسافر وهو صديق قريب من كارنيه: "كلما تضاءلت عائدات شباك التذاكر في اي دار للسينما، تعمد الادارة الى عرض فيلم "أطفال الجنة" او "رصيف الضباب" فتعوض الخسارة للحال".

كارنيه الآن في الخامسة والسبعين من العمر، وهو منهمك في انتاج فيلمه الثالث والعشرين "الجياد المقنعة" المقتبس من قصة للاديب هنري - فرانسوا راي.

ذلك الرجل القصير القامة،

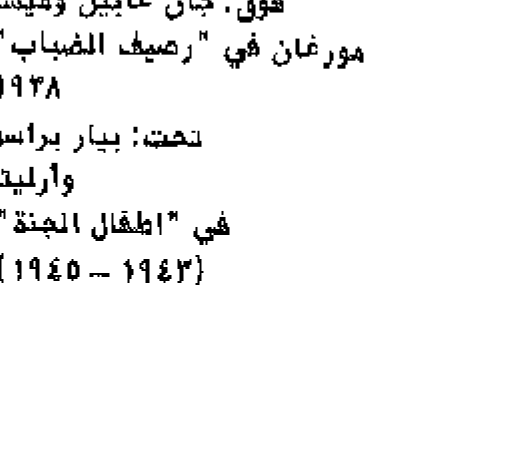
المستدير الوجه، ذو العينين المتألقتين والشكل الهيتشكوكي، كرس حياته للسينما، حتى ايام العطلة الاسبوعية يقضيها في مراقبة تحرير افلامه او في العمل مع احد كتاب الحوار، وهو يقول: "الراحة بالنسبة الي هي الذهاب الى السينما، وعندما ينتهي عرض فيلم فاني، اعبر الشارع لاشاهد فيلماً آخر".

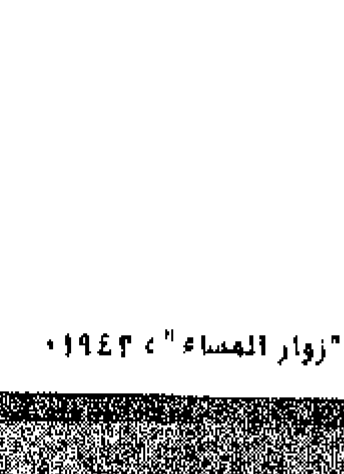
ان كارنيه هو احد السينمائيين الفرنسيين القلائل الذين وطدوا شهرة عالمية خارج فرنسا، وهو حصد كل الجوائز التي يحلم بها اي مخرج، بدءاً بجائزة لوي ديلوك في فرنسا ومروراً بجائزتي الاسد الذهبي والاسد الفضي في مهرجان البندقية وانتهاء بجائزة النقاد في موسكو، غير ان المكافأة التي تسعده اكثر من اي شيء آخر هي التي تأتيه من رواد السينما العاديين، فذات مرة كان في احد المطاعم فأرسلت اليه سيدة ورقة صغيرة كتبت فيها: "يُسعدني انني التقيتك هنا، ولا ابغي سوى ان اقول لك هذا"، ومرة أخرى نسي سائق سيارة اجرة ان يدير عداد سيارته، وعندما اصر كارنيه على دفع الاجرة صاح السائق محتجاً: "ابداً! لن تدفع، فأنا أعرف من نقلت بسيارتي، "رصيف الضباب" وجميع التحف الفنية الاخرى التي ابدعتها انت".

اما اروع تعليق سمعتُه فجاء من صديق شاب في العشرين اذ قال: "كلنا متأثرون بكارنيه، فلولا أفلامه لاختلفت نظرتنا الى العالم ولكان هناك شيء ناقص فيه".

"تذكروا هذا الاسم" — ولد كارنيه عام ١٩٠٦، كان والده نجاراً في منطقة باتينيول في باريس، وكان الفتى ينفق كل مصروف جيبه في دور السينما المحلية، وعندما بلغ الحادية عشرة اعطاه والده "فانوساً سحرياً" هو الجهاز البدائي الذي تطور منه العارض الحالي للشرائح الفوتوغرافية (السلايد)، واخذ كارنيه يقدم الى رفاقه عروضاً صورية بعد ان يقفل الباب ليتأكد من ان احداً لا يبرح المكان قبل نهاية العرض، وفي السادسة عشرة من عمره عمل ساعياً، وكان بعد انتهاء عمله يجول في باريس لمشاهدة افلام تشارلي تشابلن او فريتز لانغ او فريدريك مورنو، وكلما افتقر الى النقود كان ينتظر اطفاء الانوار ثم يتسلل الى الداخل عبر منافذ الطوارىء.

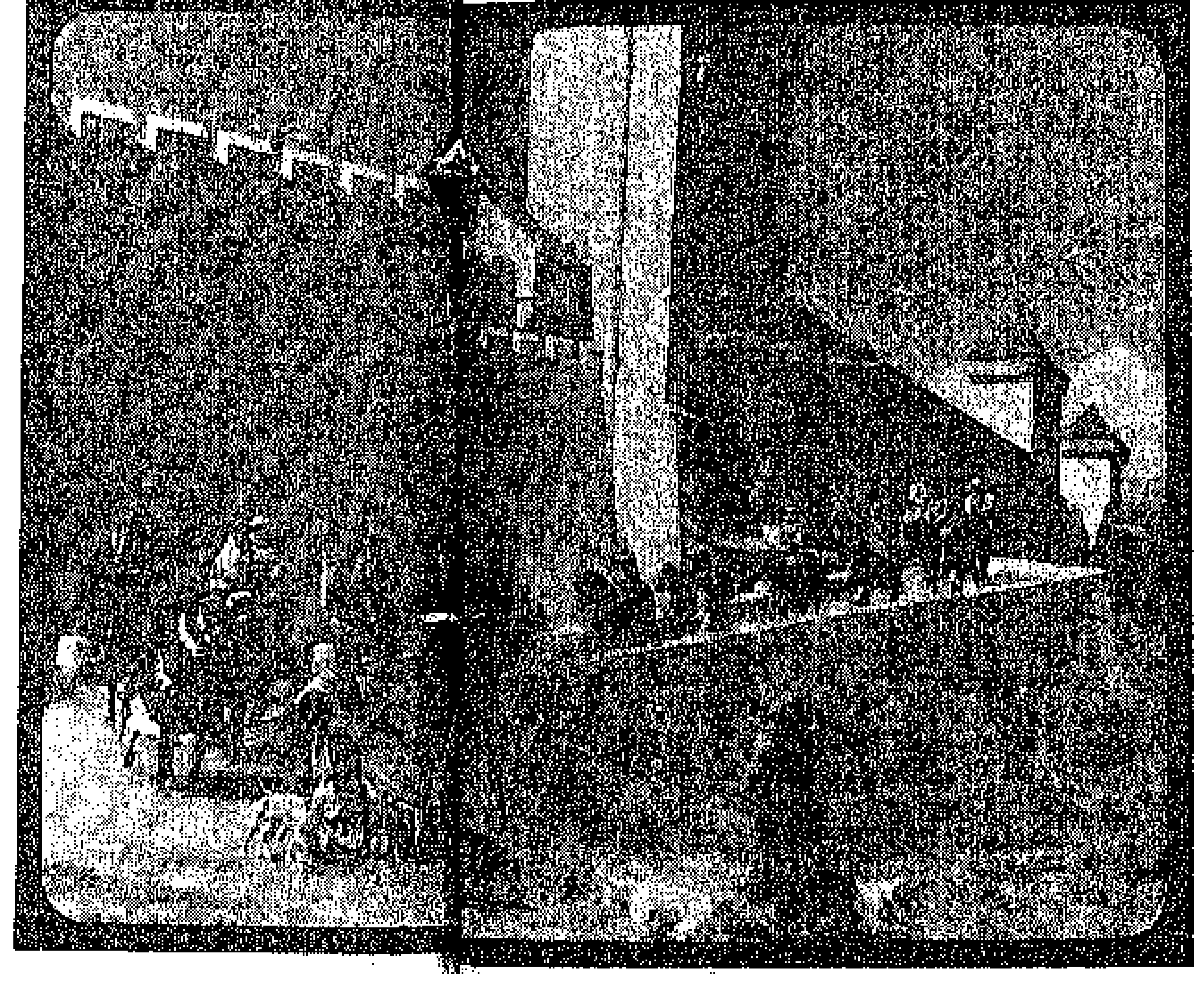
منذ البداية قرر كارنيه ان يكرس





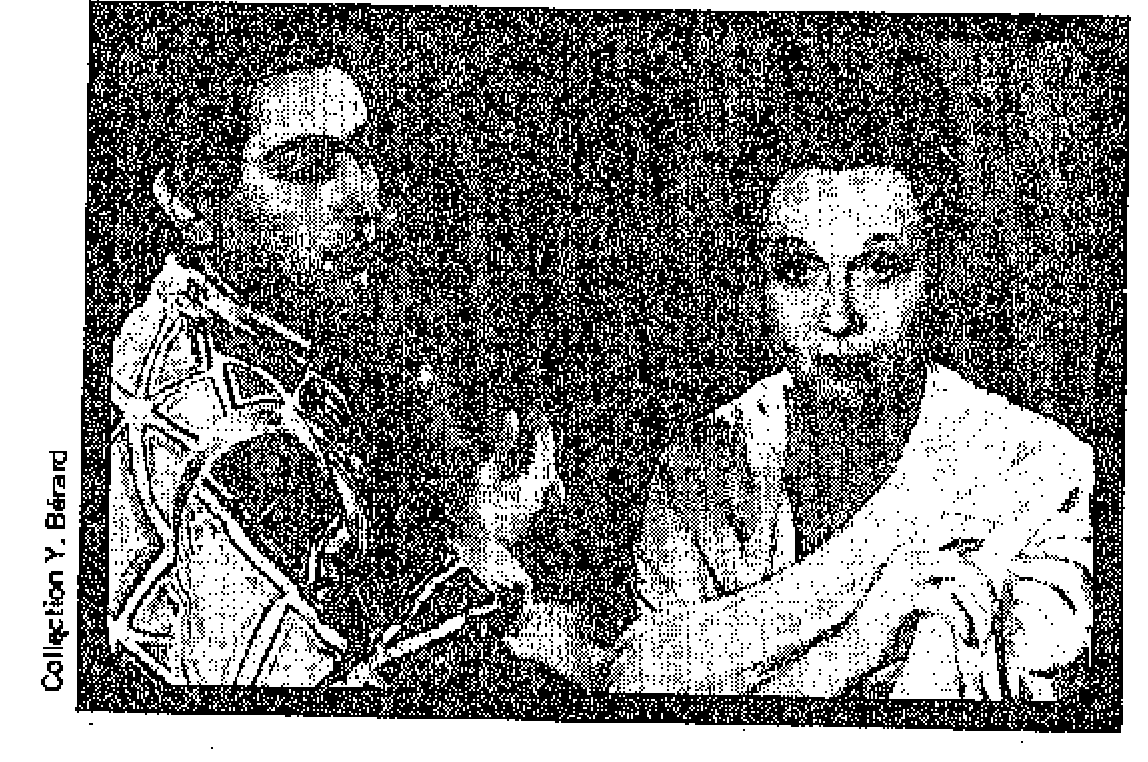
«Jean Gabin de J.C. Missiaen» ed. H. Veyrier

فوق: جان غابين وميشال مورغان في "رصيف الضباب"، ١٩٣٨.
تحت: بيار براسور وارليتي في "اطفال الجنة"، (١٩٤٣ – ١٩٤٥).



"زوار المساء"، ١٩٤٢.

Archives Cinematheque Française



Collection Y. Bérard

حياته للسينما، وحالفه الحظ عندما وجد نفسه مرة يجلس في منزل احد الاصدقاء الى جانب السيدة فرانسواز روزاي، زوجة جاك فيدر احد المخرجين البارزين في ايامه. في تلك الجلسة اغرق كارنيه السيدة بحديثه عن السينما، فقالت له وهي تغادر المكان: "يجب ان تلتقي جاك. اتصل بي هاتفياً".

وقبل انقضاء اسبوع كان فيدر استخدم كارنيه مساعداً له في فيلمه "السادة الجدد". ويقول كارنيه: "لن ازعم انه علمني كل شيء، لكنه غرس في نفسي ضراوته في العمل. كنا احياناً نعمل ٣٦ ساعة من دون توقف. وكان يقضي ساعات مع ممثل ثانوي ليس له ان يقول سوى ثلاث كلمات. وقد اكتسبت منه حبه للممثلين وشغفه بالحصول على افضل ما يمكنهم تقديمه". وعندما كانا يجلسان للعشاء كان الحديث يطول حتى بعد موعد اقلاع القطار الاخير، ومع بزوغ انوار الفجر يعود مارسيل سيراً الى منطقة باتينيول وهو يقول: "تلك كانت أسعد حقبة في حياتي".

واشترى كارنيه آلة تصوير نقالة وصور المقاهي المفتوحة على ضفاف نهر المارن. وشريطه الوثائقي "نوجان، جنة نهار الاحد" لفت النقاد وهو يعتبر الآن تحفة سينمائية.

وانقضت ست سنوات أخرى قبل ان يتسنى لكارنيه تصوير فيلمه الكامل الاول "جيني" عام ١٩٣٦. وقال الناقد السينمائي الكساندر آرنو عندما عرض الفيلم :"كارنيه، تذكروا هذا الاسم. فاما انا في خطأ فادح واما انه رجل من الفئة الاولى".

الثائر — في تلك الايام لم يشجعه سائر النقاد. وعندما بدأ كارنيه اخراج الافلام كان النوع الرائج هو الكوميديا الزاهية التي تصور المشاهد الجميلة تحت نور الشمس والاغنياء الذين يرتادون منتجعات الريفييرا. وفجأة أخذ كارنيه يصور الشوارع القذرة ومداخن المصانع، وكان ابطاله من الفقراء الذين غالباً ما تدفعهم ظروف الحياة القاسية الى الاجرام.

ان تحول رجل صالح مجرماً كان أمراً منكراً في تلك الحقبة، ولذا مُنيت افلام كارنيه بالخيبة في البداية. وفي العرض الاول لفيلم "مأساة غريبة" عام ١٩٣٧ ثار المشاهدون وحطموا المقاعد، وبعد ذلك قضى هذا الفيلم ١٢ سنة متوارياً على الرف قبل ان يُبعث ويُنادى به كتحفة فنية. وفي مهرجانات "كان" السينمائية لم يهتف احد لفيلم "جولييت او مفتاح الاحلام"، كذلك سقط فيلم "ابواب الليل" وحتى فيلم "اطفال الجنة" لم ينجُ من النقمة.

كان الانتقاد كاسحاً حتى ان كارنيه قضى سنوات بعد ذلك في متاهات الخيبة وكاد ان يبقى بلا عمل لانه لم يجد منتجين يدعمونه. ويصف هنري — فرانسوا راي ذلك قائلا: "ارتكب كارنيه خطأ حين اخرج افلاماً تسبق اوانها بزمن طويل".

لكن الازمنة تغيرت ولحقت بكارنيه، وأخذ المشاهدون يحسون بروعة خاصة وجو مميز ينضحان من أفلامه. ويقول النقاد الآن انه سيد "الواقع الشعري" بلا منازع. ويعتبر كارنيه ان الحقيقة المجردة مملة. لذا فهو يحاول ان يطور الحقيقة بحيث

تصدمنا بعمق وتترك فينا اثراً لا يمحي. وغالباً ما يصور افلامه في مشاهد (ديكورات) قائمة فعلا في الواقع. فالساحة التي تظهر في فيلم "بزوغ النهار" ببيوتها الرمادية وأبنيتها السامقة كالسهام حيث يعتصم جان غابين، هي صورة طبق الاصل عن ساحة تقوم في احدى ضواحي آميان، لكن "نسخة" كارنيه الشعرية جعلت المكان موقعاً مثيراً لمأساة.

ومن اجل تصوير فيلم "جولييت او مفتاح الاحلام" أمر كارنيه بتحضير مشهد يبعث تحقيقه الهلع في قلوب المنتجين، وهو غابة كل شجرة فيها قابلة للتحرك. وعُلقت الاشجار على اسلاك بحيث يمكن تحويل المناظر بتبديل مظهر الغابة مما يسمح باظهار التغيرات البارعة في الاضاءة. ونالت هذه الغابة مديحاً اجماعياً عند انتهاء تصوير الفيلم، فلم تظهر من قبل غابة بمثل هذه الغرابة او جمال التصوير.

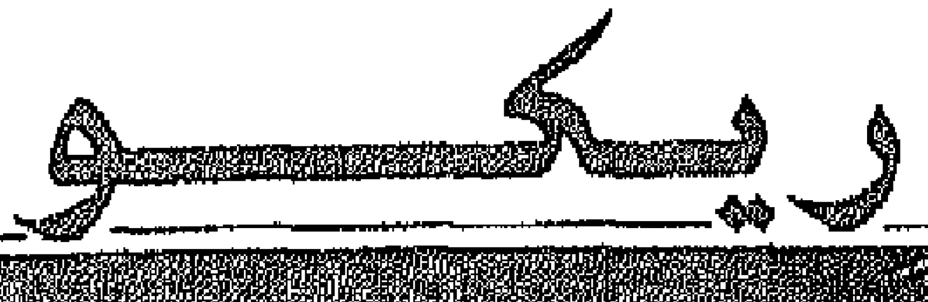
وشخصيات كارنيه، على غرار افلامه، تنطبع في اذهاننا.

فمن يمكنه ان ينسى دومينيك الغامضة كما تمثلها آرليتي في "زوار المساء" او الشيطان كما يمثله جول بيري؟ كم من الاجيال هزت مشاعرها تلك الفتاة الجميلة الحزينة (ميشال مورغان) في "رصيف الضباب"؟ لا شك في ان ابرز شخصيات كارنيه التي لا تنسى من بين النساء المتيمات حباً هي غارانس الرائعة التي مثلت دورها آرليتي. وعندما زرتها اخيراً شاهدت حشداً من الشبان، كل منهم يحمل بيده وردة ويلقيها على قدمي هذه المرأة الهرمة التي اوشك نظرها ان يغيم في عامها الثالث والثمانين، فهم ما زالوا يرون فيها تلك المُغوية الرائعة في فيلم "أطفال الجنة".

اجمل الافلام – هؤلاء الممثلون اصبحوا جزءاً من التراث الاسطوري بسبب ما قالوه في ادوارهم. وكان كارنيه يُعنى دائماً باختيار كتاب الحوار في افلامه. لكنه حقق تحفته الفنية الاعظم بالتعاون مع الشاعر جان بريفير. فبالحوارات التي ابتدعها بريفير – الفكاهية الشعرية المؤثرة – على رغم بساطتها التي يخال معها كل منا ان في امكانه ابتداعها، اصبحت معروفة لدى بعض الفرنسيين أكثر من كلمات المرسياز، النشيد الوطني الفرنسي.

مثال ذلك ما يقوله الاسقف الاسكوتلندي (لوي جوفيه) في فيلم "مأساة غريبة": "انا قلت ان ذلك عجيب؟ يا للعجب!" وقبل وقت قريب غطت جدران باريس ملصقات دعائية لشركة نظارات تحمل كلمات غابين الشهيرة في فيلم "رصيف الضباب": "عيناك ساحرتان، هل تعرفين؟"

وشخصيات كارنيه مدينة ايضاً في شهرتها للممثلين البارعين الذين ادوا الادوار: مومس بسخرية آرليتي، وغشاش وقح بشخصية جوفيه (كلاهما في فيلم "فندق الشمال") وصاحب حانوت ماكر بشخصية ميشال سيمون ("مأساة غريبة") هذه كلها تبدو أشد اثارة الف مرة بفضل شخصيات الممثلين. لكن كارنيه هو الذي كان ينتزع من الممثلين ذلك الحذق وذاك الكمال.



A new trend in time RICOH

الاسم الجديد بالاهتمام

رقة الشكل ودقة الكوارتز تلتقيان بصورة رائعة
في هذا التصميم الجديد من ريكو.
حقا ان ريكو هو الاسم الجديد باهتمام

RICOH
QUARTZ

RICOH WATCH CO., LTD. No.14-6, 6-chome, Ginza, Chuo-ku, Tokyo 104, Japan Tel: 543-3781 Telex: 252-2440

يقول الممثل جاك دوبي: "ليس في العالم من يحترم الممثلين ويستطيع ان يأخذ منهم أكثر من كارنيه". ويذكر دوبي أنه عندما تعاقد ليمثل دور الزوج في فيلم "تيريز راكين" عمل كارنيه معه اياماً ليبرز له سمات تلك الشخصية. أمر كارنيه ان يُصبغ شعر دوبي أشقر ثم ابيض ثم احمر، وطلب اليه ان يطلق شاربيه ليتخذ الشكل الصحيح. ويقول دوبي: "عندما تعمل مع كارنيه تشعر بأن توتراً غير عادي يسود المشهد. فعند كارنيه الممثل هو السيد، حتى وان يكن على المسرح ٧٠ شخصاً ففي امكانك ان تسمع طنين الذباب".

كارنيه مخرج دقيق وعنيد الى اقصى حد. ويروي دوبي قصة مشهد في فيلم "تيريز راكين"، فيه تهبط السلم هرة سوداء وتنعطف يساراً. وعلى رغم حبل النايلون الممتد ليصدفها يساراً وعلب السردين المفتوحة على طول المسلك الايسر لاجتذابها الى تلك الناحية، الا ان الهرة بقيت تتجه الى الامام او تنحرف يميناً. اي مخرج آخر كان يُقلع عن المحاولة، لكن كارنيه قضى ثلاثة ايام في تصوير المشهد ونجح اخيراً في جعل الهرة تنعطف يساراً كما شاء.

ويقول هنري - فرانسوا راي: "ان له عيناً مدهشة، شاملة، متجولة، تسبر الاغوار، تحفر وتطرق بحيث لا يفوتها شيء على الاطلاق". وما حصل في مشهد "المغتالون" مثالي. قال كارنيه مخاطباً واحداً من مئات الممثلين الثانويين (الكومبارس): "ألم يكن وشاحك أحمر بالامس؟ أجل؟ اذاً، اذهب وغير هذا الوشاح حالا". ويقول كارنيه: "بالنسبة الي، الفيلم هو تراكم من التفاصيل".

في هذه الايام يكتب طلاب الجامعات اطروحات (رسائل) عن أعمال كارنيه. وقد افتتح متحف لكارنيه في بوسطن (ولاية مساتشوستس) عام ١٩٧٩، ويخطط لافتتاح متحف آخر في الصين. وفي العام ١٩٧٩ أصبح كارنيه عضواً في أكاديمية الفنون الجميلة. وفي فبراير (شباط) ١٩٧٩ نال فيلم "اطفال الجنة" جائزة "سيزار" كأجمل الافلام الفرنسية الناطقة في كل زمان. وظهر فيلم آخر لكارنيه، هو "رصيف الضباب"، على لائحة افضل عشرة أفلام.

ويقول هنري - فرانسوا راي: "المعجزة هي ان افلام كارنيه تؤثر فينا اكثر من الحقيقة عينها، الى درجة اننا بعد ٤٠ سنة نتحدث عن اشخاصها ونشاهدها مرة بعد اخرى ونجد فيها تفاصيل جديدة".

ولا شك في انه بعد مئة سنة ستظل واقعية كارنيه الشعرية حية باقية.

■ **كاترين غاليتزين**

الناشر الفنان

بعد اطلاعه على رواية، أعادها الناشر الى صاحبها مشفوعة بالتعليل الآتي: "انها رواية ضعيفة اذ ليست فيها جثة واحدة. ويجب ان تعلم ان الموت يعطي الحياة للفن الروائي".

صحيفة "لوهيريسون"، فرنسا

استئصال الثدي لا يعني انتهاء الحياة

بعد جراحة استئصال الثدي تواجه المرأة اوهاماً ومشاكل نفسية يعجز الزوج والطبيب عن طردها

حدّقت السيدة ماري كلود س. الى باقة الزهر الرائعة التي ارسلها اليها زوجها ثم ادارت وجهها الى حائط غرفتها في المستشفى. ومع ان شمس الربيع الدافئة كانت تشع عبر الستائر والعصافير تغرد فرحة في الخارج، فان السيدة غفلت عن كل شيء الا الالم الذي تعانيه وحال اليأس التي تمر بها.

فقبل ساعات قلائل اجريت لها جراحة استئصال جذري لثديها الايسر. والآن، وقد ازيل الثدي المصاب بالسرطان، بقيت هناك طبقة كثيفة من الضمادات تلتف حول صدرها المنبسط وتغطي الجرح البالغ. وبذل زوجها وابناؤها كل ما في وسعهم لمساعدتها في محنتها، ولكن من دون جدوى. فلقد اقتنعت ماري كلود (٤٥ سنة) بانها لم تعد جذابة وانها... انتهت. كما شعرت ان عملية الاستئصال تعني نهاية حياتها المهنية كرسامة، وان زوجها لن يهتم بها بعد الآن وستكون حياتها جحيماً. وانهمرت الدموع على خديها.

في تلك الاثناء سمعت ماري كلود قرعاً خفيفاً على الباب، فاستدارت لترى امرأة تتقدم نحوها، وتعرف بنفسها. أنها عضو في حركة "العيش كالسابق"(★) وهي جمعية تقدم العون الى النسوة اللواتي مررن بصدمة استئصال الثدي. وقالت المرأة: "لقد اجريت لي مثل هذه الجراحة، ولذا فانا ادرك ما تحسين به وافهم صعوبة قبول الامر. ولكن اريدك ان تعلمي انه لن يمر وقت طويل قبل ان تشعري انك تعيشين وتحسين كما كنت تفعلين في السابق".

وبسبب الرابط الذي يجمعهما

(★) Vivre Comme Avant

شعرت ماري كلود برغبة في البوح بمخاوفها وشكوكها لزائرتها التي طلبت منها ان تخبرها بكل ما حدث معها. ومن خلال حديثهما امكنهما كشف النواحي الايجابية في حال ماري كلود.

وتتذكر ماري كلود: "الآن عندما افكر في حديثنا ادرك ان زائرتي لم تتكلم كثيراً. فهي ساعدتني كي اتكلم واكتشف في اعماقي موارد وقوى ذاتية غير منتظرة. كما انها صححت جانباً كبيراً من تفكيري الخاطىء والكئيب".

وفعلا نجحت المتطوعة في مساعدة المريضة للتغلب على مشاكلها وشكوكها. فبعدما كانت ماري هاوية رسم قبل الجراحة فانها غدت الآن فنانة محترفة هلل لها العديدون عندما قدمت اعمالها في معرض باريسي شهير. وهي تشعر ان في رسومها الآن عمقاً اقوى وانها هي نفسها باتت اكثر نضجاً وكمالا. وهي تقول: "اني فخورة بانتصاري الشخصي".

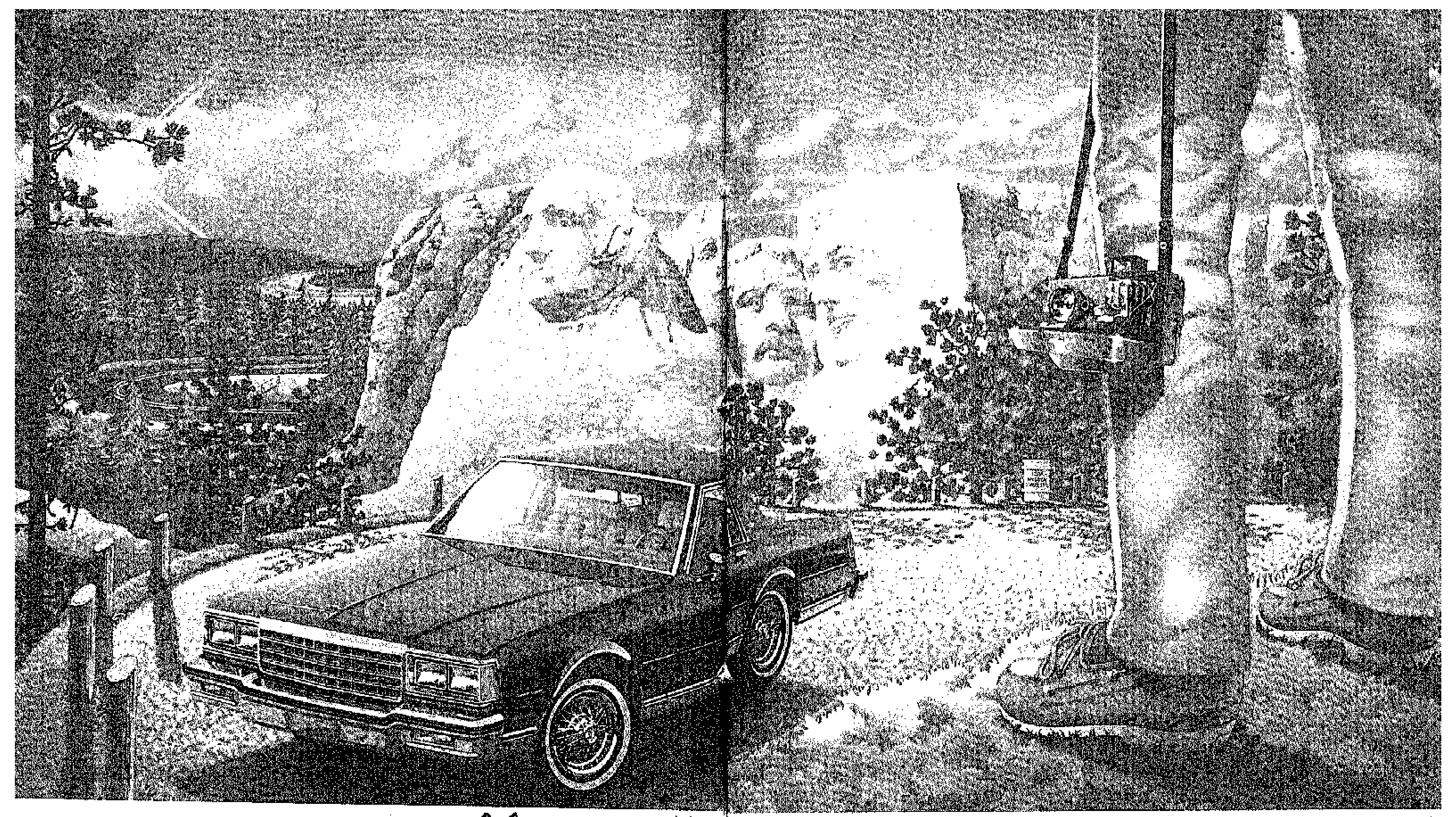
وماري كلود ليست سوى واحدة من اكثر من عشرين الف امرأة ساعدتهن حركة "العيش كالسابق" في السنوات الخمس الاخيرة. فهذه المؤسسة التي جعلت مقرها باريس هي نسخة عن الجمعية الاميركية للسرطان المعروفة باسم "الوصول الى الشفاء". وقد اسستها عام ١٩٧٤ سيدة امريكية هي فرانسين تيموثي اجريت لها جراحة استئصال الثدي في فرنسا قبل سنوات. فهي شعرت ان عليها ديناً يجب تسديده لبلد انقذ حياتها. (نشرت برنامجها هذا في تسعة عشر بلداً آخر).

وهناك اليوم خمسة وعشرون فرعاً لحركة "العيش كالسابق" في المدن الفرنسية الكبرى، وما زال انتشارها مستمراً. واضافة الى عيادة المريضات فان المتطوعات – وكلهن ممن اجريت لهن جراحة استئصال – يتولين تنظيم المحاضرات والمناقشات حول التمريض والعمل الاجتماعي. وهن يشتركن في كثير من المؤتمرات الطبية. وتغطي الفروع الاقليمية لـ"الرابطة الوطنية الفرنسية ضد السرطان"تكاليف البرنامج. ويقول الدكتور روبير كال مدير معهد مدام كوري الشهير في باريس: "انه لجهد جبار وشجاع وخير وفعال".

وتجمع النسوة اللواتي اجريت لهن جراحة استئصال الثدي على ان هذه العملية رهيبة. ويقول الدكتور دومينيك ماسون من معهد علم النفس في مستشفى سالباترييز في باريس: "يعتبر الثدي في مجتمعنا رمزاً للانوثة، واستئصاله قد يشعر بتحطم هذه الانوثة وتعيش المريضة خوفاً مزدوجاً من الموت والعيش في جسم مشوه".

وعندما يترسخ الخوف لدى المريضة فمن الصعب طرده. ويضيف الدكتور ماسون: "تشعر معظم النسوة بالكآبة ويعاني العديد منهن مشاكل جنسية".

وهذا كان شأن السيدة جين ب. وهي موظفة جميلة في الخامسة والثلاثين اجريت لها الجراحة قبل خمس سنوات. وقد اخبرتني انها منذ ذلك الحين لم تعد تفكر في الزواج. وقالت بكل جدية وهي تمشط شعرها الكستنائي اللماع: "كنت واثقة من ان احداً لا يرغب في جسدي الكريه".



شفروليه كابريس عالم مختلف

حين تستقر للمرة الاولى في سيارة كابريس جديدة، ستشعر فوراً انك لم تدخل سيارة عادية ـ لقد دخلت عالماً جديداً.

انه شعور فريد، اذ يمكنك ان تلمس الرحابة والفخامة والهدوء في وقت واحد.

انه شعور لا يمكنك اختباره الا في [illegible]اء والسلامة، نطبق في الوقت نفسه آخر امريكية مثل هذه السيارة الرائعة الفسيد[illegible]ما توصلت اليه التكنولوجيا لضمان الفخامة ان جنرال موتورز تصنع سيارات لأمريكا اك[illegible]والراحة ونعومة القيادة.

من اي شركة اخرى. من هنا، فحين نص[illegible] اننا ندعوك الى اختبار اسلوب مختلف في سياراتنا للتقدم مزيداً من الفعالية وسـ[illegible]القيادة ـ الاسلوب الامريكي. قم بزيارة وكيل جنرال موتورز المعتمد وشاهد التشكيلة الواسعة من السيارات المميزة.

حين تدخل عالمنا
لن تود مغادرته ابداً.

GM

THE NEW AMERICANS FROM GENERAL MOTORS

CHEVROLET PONTIAC OLDSMOBILE BUICK CADILLAC

وبمساعدة حركة "العيش كالسابق" اقتنعت جين تدريجا بان الرجال لم ينجذبوا اليها من قبل لجمالها وانما لشخصيتها، وان هذه الشخصية لم تتضرر وجاذبيتها لم تخف الا في مخيلتها، وانها كانت تعكس على الآخرين ما تشعره هي نحو نفسها. وتقول جين: "رأيت ان الندبة في صدري لا اهمية لها عند الرجال الذين كانوا يهتمون بي حقاً. انا الآن اشعر بسعادة اكثر وراحة نفسية اشد".

"هل ما زال يحبني؟"

سؤال تردده النسوة بعد جراحة استئصال الثدي. وتقول المتطوعات في حركة "العيش كالسابق" ان الرجال عادة يكونون رائعين ومتفهمين مع انهم يعبرون عن رقتهم على نحو مربك. وعلى العموم فالنسوة هن اللواتي يرفضن التسليم بانهن ما زلن قابلات للحب.

خذ مثلا برنار ت. وزوجته سوزان. فبعدما اجريت لسوزان جراحة استئصال رفضت ان تسمح لزوجها بلمسها ظناً منها انه اذا فعل ذلك فمن باب التهذيب فقط. ولجأ برنار الى جميع الوسائل من كلام وزهر وهدايا واجازات، لكنه اخفق في ان ينتزع منها الفكرة التي توهمها بانها مثيرة للاشمئزاز. ولما استنفد هذه الوسائل اتصل بحركة "العيش كالسابق" قائلا: "ارجوكم ان تفهموها اني احبها اكثر من السابق. انها لا تريد ان تصدقني".

كانت المشكلة ان سوزان رفضت خلع ثيابها امام زوجها. ورأى برنار انه من اللياقة الا ينظر اليها وهي تخفي نفسها بينما فسرت هي ذلك بانه لا يريد رؤيتها. وشمل سوء التفاهم المتبادل تصرفات اخرى فيحياتهما الخاصة. فبينما بذل هو جهده لاظهار حبه باية طريقة كانت هي تفسر تصرفاته تبعاً لمشاعرها نحو نفسها. وفي النهاية امكن الزوجين ان يصلحا الامور بينهما بفضل حركة "العيش كالسابق"، وهما الآن سعيدان كما كانا من قبل.

وتسعى المتطوعات الى تلافي المشكلة قبل وقوعها. وابرز مثال على ذلك ما روته احداهن عن شابة مرحة كانت لدقائق خلت تتحدث بلطف مع زوجها والطبيب الجراح. وعندما غادر الطبيب الغرفة التفتت المرأة الى زوجها وقالت له بيأس: "اقتلني، اريد ان أموت". وعندما وصلت المتطوعة الى الغرفة بعد حين كان الزوج في حال ذهول وتشوش كلي، لانه لا هو ولا الطبيب قدّرا عمق قنوط الزوجة. وتقول المتطوعة: "شعرت اني كنت حقاً في المكان المناسب في الوقت المناسب".

لهذا السبب تعمد جماعة "العيش كالسابق" الى مقابلة كل مريضة كجزء متمم للعناية الطبية. وتقول دنيز اسكوديبيه رئيسة جماعة "العيش كالسابق" في فرنسا: "هذا لا يعني ان كل مريضة ستواجه صعوبات رهيبة. ولكن من المستحيل ان نعلم من منهن ستكون الضحية".

ومن حسن الحظ ان معظم النساء يحتجن الى صديق، الى يد مساعدة وان الى حين، وكما تقول اسكوديبيه "الى شخص يكشفن له مشاعرهن المزعجة ويطرحن عليه الاسئلة التي تنكد عيشهن".

كيف تتفادين الاصابة بسرطان الثدي

ان سرطان الثدي هو اكثر انواع السرطان انتشاراً وارهاباً لدى النساء، فالخوف يحول دون طلب المعونة الطبية في اطوار المرض الاولى على رغم ان التشخيص المبكر والعلاج يضاعفان احتمال الشفاء الكامل، وكثيراً ما تغني المعالجة بالعقاقير والهرمونات او المعالجة الشعاعية مع جراحة بسيطة عن اجراء استئصال جذري للثدي.

فالوقاية اذاً تبقى مفتاح النجاح، والفحوص العادية ينبغي اجراؤها لدى طبيب العائلة او الاختصاصي بالامراض النسائية او في المستشفى.

فاذا ارتبت في اي تغير في ثديك فاجري فحصاً، قد تكون المشكلة واهية لكنك تبقين انت الرابحة.

والجزء الاساسي من عمل المتطوعات يتم خلال زيارة تستمر عشرين دقيقة بعد انقضاء ثلاثة الى ستة ايام على الجراحة، وهن لا يعرفن اطلاقا رد فعل المريضة، فقد اخبرتني احداهن ان سيدة رفضت الكلام بعد الجراحة وبقيت مستلقية طوال النهار ووجهها الى الحائط وهي ترفض ان تغتسل او ان تأكل، وخاطبتها المتطوعة بلطف: "ان ما مررت به كان تجربة قاسية". فالتفتت المريضة قائلة: "انت اول شخص يقول لي هذا، الجميع يطلب مني ان اتمالك نفسي ويقول ان الامر ليس في صعوبة بتر ذراع او ساق، اما انت فتقدرين".

والمتطوعة مستمعة شفوقة، فهي لا تنصح اي امرأة بما يجب ان تفعل او كيف يجب ان تشعر بل تتصرف كأنها تساعدها على سبر اعماقها لتجد الحل بنفسها، ولا تتصل المتطوعة بالمريضة ثانية وانما تترك لها بطاقة تحمل عنوان جماعة "العيش كالسابق" لتدعوها عند الحاجة، فالعديد من النساء يصبن بانتكاسات متأخرة ويحتجن الى العون حينذاك.

ونجاح حركة "العيش كالسابق" يعود الى المتطوعات، وتقول دنيز اسكودييه انه بين كل خمس عشرة امرأة يتقدمن الى التطوع هناك واحدة او اثنتان تتوافر فيهما كل الشروط: الحس المرهف والرقة والهدوء والصبر والاعصاب الهادئة، وعلى المتطوعة ان تكون تخطت هي نفسها مصاعبها الشخصية - بعد سنتين على الاقل من الجراحة - واستقرت نفسياً.

والغريب ان بعض اللواتي اجريت لهن جراحة الاستئصال وجدن ان حياتهن تطورت الى الافضل عبر هذه التجربة، وتقول دنيز اسكودييه: "بما ان استئصال الثدي يؤدي الى تغير جذري في نظرة المرأة الى نفسها فان المريضة لا خيار لها الا ان تتعمق في نفسها وتكون صورة جديدة، ودور جماعة "العيش كالسابق" هو جعل هذه الصورة اكثر ايجابية، واذا تركت المرأة بلا مساعدة فكثيراً ما يكون التغير سلبياً فلا تتنبه الى مصادر القوة والتكيف الدفينة لديها".

وفي تمتعهن الجديد بالحياة تكتشف بعض النسوة، مثل ماري كلود،

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

صدرت "سمور" مجلة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عالم الصغار.



ثمانٍ واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

وكل عدد من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة ومفيدة ومسلية



الدراجة الطائرة، وقصة كرة القدم وقوانين هذه اللعبة الشعبية مزدانة برسوم جميلة، والقيثار الكهربائي والاصوات القوية التي يحدثها وغيرها من المواضيع في التاريخ الطبيعي والتسلية. كل ذلك كي تضفي جواً مليئاً بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩-١٥ عاماً.

الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائماً.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.



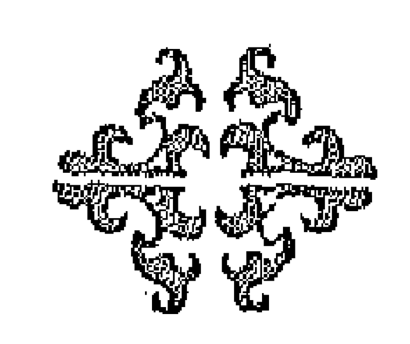


نوعاً من الشعور الخلاق والقدرة على التعبير. وهناك هاوية طبخ موهوبة فتحت مطعماً ناجحاً خارج باريس، وهي تعترف بان العمل مضن لكنها تضيف انها لم تكن يوماً اكثر سعادة.

وما هو اهم من التغير الخارجي التغيرات الداخلية التي تأخذ مجراها في حياة اولئك النسوة. وتقول امرأة شابة ان الحياة بعد استئصال ثديها اخذت فجأة معنى جديداً: "فالسعادة القصوى والآلام الكبيرة لم يطرأ عليها اي تغير. لكن المشاكل الصغيرة — كثقب في اطار السيارة او الخروج في يوم ممطر — اصبحت اموراً تافهة، اما الافراح البسيطة — كبسمة طفل او تفتح زهر الشجر او لحن مؤثر — فغدت اموراً بالغة الاثر. انها تجربة لا يمكن ان تنسى، فالندبة هناك تذكرك يومياً، لكنك تتقبلين نفسك بكليتها.

وتقول فرانسين تيموثي: "لقد ساعدت التجربة هذه المرأة وسواها في ان يصبحن اكثر هدوءاً وتفهماً وعمقاً، بل اكثر انوثة كذلك".

■ ساندرا كايان



برهان قاطع

الزبون: "هل انت متأكد من أن هذا العلاج فعال ضد الصلع؟"

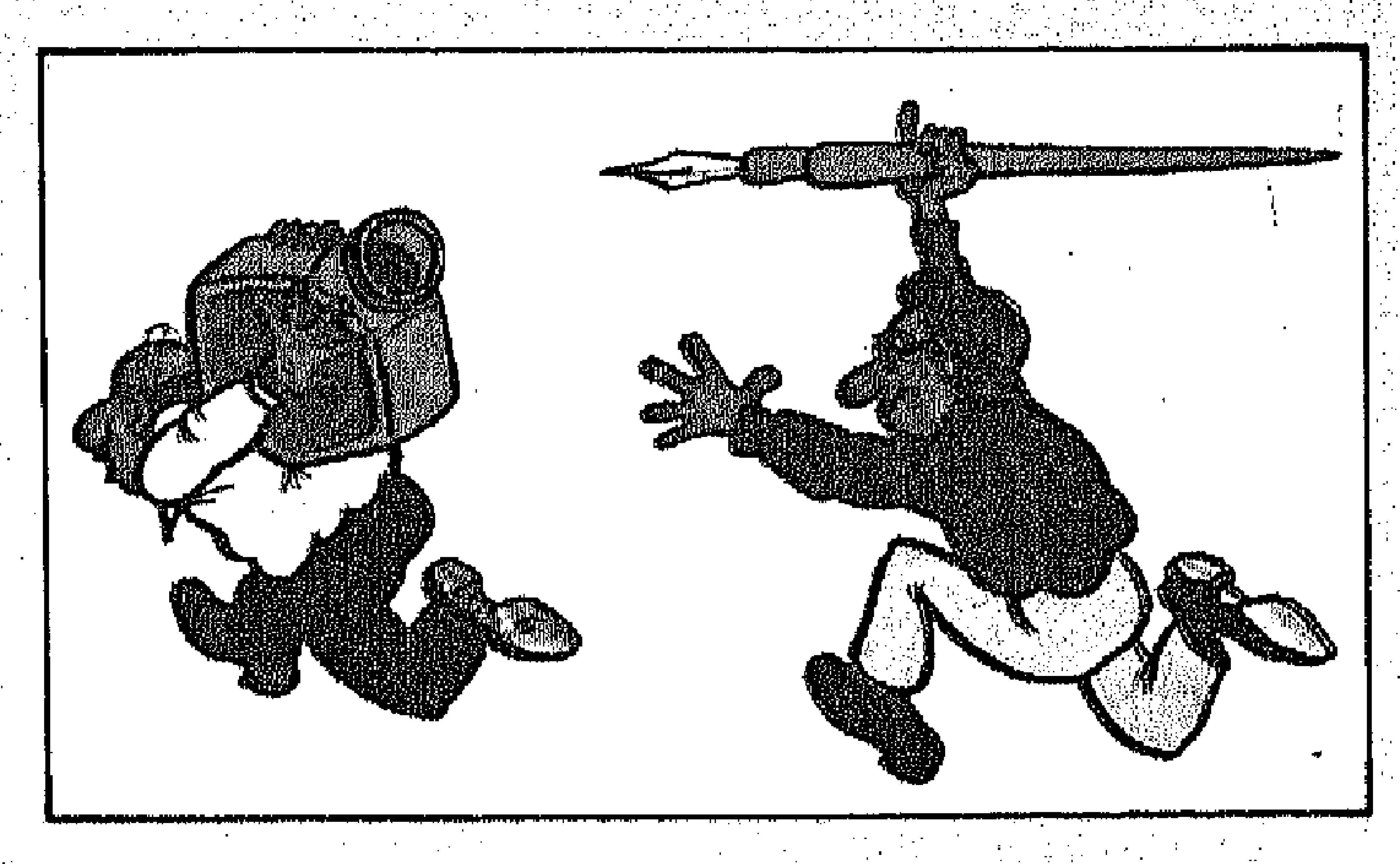
البائع: "انه ليس فعالا فحسب، بل هو عجيب. فقد كان رأس أحد زبائننا اجرد كالبيضة. وحين بلغته الفاتورة بعد عشرين يوماً من بدء العلاج، استطاع أن ينتف خصلا من الشعر عن رأسه".

صحيفة "تمبو"، ايطاليا

العاطفة المبصرة

ادركت، بعد التحية التي القاها سائق الحافلة على احدى الراكبات، أن السيدة من ركاب الحافلة الدائمين. وقوي ظني حين جلست على مقعد وراءه ودار بينهما حديث ودي وهو يتابع طريقه. وعند موقف مكتظ بحركة السير نزل من الباب رافقها وهي تقطع الطريق. وحين عاد بقيت المرأة على الرصيف المقابل ووجهها نحو الحافلة. وسألت السائق عن الامر، فقال: "هذه السيدة لا تبصر. وهي لن تنصرف الا حين تتأكد من سلامة وصولي الى الحافلة". وبعد ذلك اطلق النفير ثلاثاً لاعطائها اشارة، وانطلق في طريقه.

هـ.م.



دائرة المعارف

دائرة المعارف في نهاية هذه السنة امتحان للغتك، فأنت اما مبتدىء واما جيد واما مالك للعربية، وتضم الدائرة ٦٠ كلمة اخترناها من ديوان المتنبي، وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها صحيح، المطلوب منك ان تختار المعنى الذي تعتبره مناسباً ثم تقلب الصفحة لتحصل على الاجوبة وتقيس مستواك.

١ ـ قنا: دم ـ رمح ـ جارية حسناء ـ قناة.

٢ ـ مُقْلة: حصاة ـ وعاء يطبخ فيه ـ عين ـ طائر.

٣ ـ ندى: عَفْو ـ طفولة باكرة ـ جُود ـ شباب.

٤ ـ منون: رجاء ـ عذاب جهنم ـ امتنان ـ موت.

٥ ـ سلا: نَسي ـ مرض عشقاً ـ اضعف ـ اراح.

٦ ـ نكد: كراهية ـ قلة العطاء ـ حسد ـ مزاح.

٧ ـ كليم: هائم ـ خطيب بليغ ـ قلب ـ جريح.

٨ ـ وهَن: نعاس ـ خشية وترقب ـ ضعف ـ سهولة.

٩ ـ ذُروة: نجاح ـ حد السيف ـ قمّة ـ بداية.

١٠ ـ نَضَب: نَفَدَ ـ قفز بغتة ـ نزف ـ اصفرّ.

١١ ـ وَصَم: طرش ـ عاب ـ اطلق اشاعة ـ دبغ.

١٢ ـ ثكل: قتل ـ طرح ارضاً ـ طعن ـ فقد.

١٣ ـ اعجم: فَجّ ـ فَرَس ـ غير عربي ـ قاموس.

١٤ ـ نأى: بَعُد ـ تعب وعجز ـ تذمر ـ أنّب.

١٥ ـ خَلَب: سرق ـ فتن ـ رقص طرباً ـ ارتعب.

١٦ ـ بَيْداء: حرب ـ صحراء واسعة ـ ناقة ـ غابة.

١٧ ـ طَرْف: خجل ـ مزاح ثقيل ـ حافة ـ عين.

١٨ ـ مثوى: نعش ـ مقعد مريح ـ منزل ـ مأتم.

١٩ ـ سُهْد: غرام ـ حزن وندم ـ تقشف ـ أرق.

٢٠ ـ وِرد: عَطَش ـ رسالة ـ اسد ـ جريء.

٢١ • وَغى: حرب ـ بكاء الاطفال ـ غبار ـ ساحة .

٢٢ • هامة: عنق ـ رأس ـ ضياع وتشرد ـ قامة .

٢٣ • مَحْتِد: نَفَس ـ اخلاق كريمة ـ اصل ـ حديث .

٢٤ • قِرى: قراءة ـ خيام البدو ـ ضيّع ـ ضيافة .

٢٥ • لَجَب: اهتياج وصخب ـ حشد ـ همس ـ عجب .

٢٦ • صنديد: شجاع ـ قوي الحجة ـ سيف ـ صادق .

٢٧ • أغضى: كره ـ نسي ـ سكت وصبر ـ تهرب .

٢٨ • تِرب: قبر ـ رفيق السن ـ ذهب ـ خراب .

٢٩ • نُهى: قلب ـ صوت الحبيب ـ امنية ـ عقل .

٣٠ • رَعَف: شرب ـ اقرّ بالخطأ ـ نزف ـ تاب .

٣١ • جَدّ: حظ ـ معصم العروس ـ كنز ـ اجتهاد .

٣٢ • عسجد: خضرة ـ ماء زلال ـ بساط ـ ذهب .

٣٣ • ضرغام: جواد اصيل ـ اسد ـ ملك ـ ضغينة .

٣٤ • جَرْس: جمال ـ وتر القوس ـ ثعبان ـ صوت .

٣٥ • نازلة: علّة ـ معركة خاسرة ـ مصيبة ـ صاعقة .

٣٦ • بَيْن: موت ـ فراق ـ مظهر خادع ـ فصاحة .

٣٧ • جَحْفَل: جبان ـ عابس الوجه ـ اسود ـ جيش .

٣٨ • عَصَم: مَنَع ـ اعفى من العقاب ـ تزوج ـ سَجَن .

٣٩ • أصْيَد: صياد ـ ابيض البشرة ـ سيد ـ محظوظ .

٤٠ • غَوث: غزو ـ معونة ـ اسد ـ مطر .

٤١ • سَحْنة: وجه ـ غلاظة الشفتين ـ حماسة ـ سواد .

٤٢ • وَرى: خليقة ـ خوف الله ـ قَدَر ـ موت .

٤٣ • هَجير: متشرد ـ حبيب بعيد ـ فراق ـ حرّ .

٤٤ • وِتْر: مطر غزير ـ ثأر ـ مأرب ـ خيانة .

٤٥ • أمْرَد: لم تنبت لحيته ـ اصلع ـ دميم ـ طويل .

٤٦ • زَلَل: جُبن ـ ماء عذب ـ احتضار ـ ارتكاب الذنوب .

٤٧ • عَجاج: مقاتل ـ ذهب ابيض ـ غبار ـ شاعر .

٤٨ • جَمام: ضمّة زهر ـ استراحة ـ موت ـ جدول .

٤٩ • لَظى: ظلم ـ اهانة الضيف ـ لهب ـ ملجأ .

٥٠ • خضّب: أدمى ـ ضرب بالعصا ـ توعّد ـ لوّن .

٥١ • ردى: مصير ـ نكران الجميل ـ خبث ـ هلاك .

٥٢ • أسَل: رمح ـ اسفل العنق ـ حيّة ـ ذيل .

٥٣ • مَرو: حرير ـ حجر صلب ـ صَدَف ـ ثوب مطرّز .

٥٤ • تَجَمّل: ركب الجمل ـ تحوّف ـ صبر على الدهر ـ تملّق .

٥٥ • رُغام: تراب ـ ابن الاسد ـ راع ـ حثالة .

٥٦ • صاد: ساكن ـ قوي الصوت ـ عائد ـ عطشان .

٥٧ • طَوى: سفر ـ ريح رملية ـ جوع ـ شوق .

٥٨ • تضوّع: طلب الاحسان ـ انتشر ـ جاع ـ صلّى .

٥٩ • انام: ابل ـ خَلْق ـ انامل الرضيع ـ مصائب .

٦٠ • بَهْمة: رجل شجاع ـ ذلّ ـ قلّة الذكاء ـ صبر .

الأجوبة الصحيحة

١ • قنا: رمح، القنا: الخَلْق •
٢ • مُقلة: عين، مَقَلَه: نظر اليه •
٣ • ندى: جُود، ايضاً: ماء يسقط ليلا •
٤ • مَنون: موت •
٥ • سلا: نسي، انسلى الهمّ: انكشف •
٦ • نُكد: قلة العطاء •
٧ • كَليم: جريح، ايضاً: الذي يكلمك •
٨ • وَهن: ضَعف، الوَهْن من الليل: منتصفه •
٩ • ذُروة: اعلى الشيء، ايضاً: الشيب •
١٠ • نَضَب: قلّ او نفد •
١١ • وَصَم: عاب، وصمة: عيب وعار •
١٢ • ثكل: فقد، يقال: ثكلت ولدها •
١٣ • اعجم: غير عربي، ايضاً: اخرس •
١٤ • نأى: بعد •
١٥ • خَلَب: فتن، ايضاً: خدع بلطيف الكلام •
١٦ • بيداء: صحراء واسعة، جمعها بيد •
١٧ • طَرف: عين، تطرّف عليهم: اغار •
١٨ • مثوى: منزل، ثُوِي الرجل: دُفن •
١٩ • سُهْد وسُهاد: أرق •
٢٠ • وِرد: عَطَش، ايضاً: حُمّى •
٢١ • وَغى: حرب، ايضاً: صوت وجلبة •
٢٢ • هامة: رأس، ايضاً: سيد القوم •
٢٣ • مَحتد: أصل، يقال: فلان كريم المحتد •
٢٤ • قِرى: ضيافة، آقرى: طلب الضيافة •
٢٥ • لَجَب: صخب، ايضاً: صهيل الخيل •
٢٦ • صِنديد: سيد شجاع •
٢٧ • أغضى على الامر: سكت وصبر •
٢٨ • تِرب: رفيق السن، تَرِب: فقير •
٢٩ • نُهى: العقل لانه ينهى عن القبيح •
٣٠ • رَعَف: سال الدم من انفه •
٣١ • جَدّ او جَدّ: حظ •
٣٢ • عسجد: ذهب •
٣٣ • ضِرغام: اسد، ايضاً: شجاع •
٣٤ • جَرس: صوت، جَرَس الكلام: نغم به •
٣٥ • نازلة: مصيبة •
٣٦ • بَيْن: فراق، ايضاً: عداوة •
٣٧ • جَحْفل: جيش كثير •
٣٨ • عَصَم: منع، ايضاً: حفظ •
٣٩ • اصْيَد: سيد، جمعها: صِيْد •
٤٠ • غَوث: معونة، غَيْث: مطر •
٤١ • سُحْمة: سواد، الاسحم: السحاب الاسود •
٤٢ • الورى: الخَلْق، ابو الورى: الدهر •
٤٣ • هَجير: شدة الحرّ •
٤٤ • وِتْر: ثأر •
٤٥ • امْرَد: لم تنبت لحيته •
٤٦ • زَلَل: ارتكاب الذنوب، زَلّة: خطيئة •
٤٧ • عَجاج: غبار، ايضاً: دخان •
٤٨ • جَمام: استراحة، استجمّ: استراح •
٤٩ • لَظى: لهب، ايضاً: جهنم •
٥٠ • خَضّب: لوّن، يقال: تخضّب بالحنّاء •
٥١ • رَدى: هلاك، أردى: اهْلَكَ •
٥٢ • أسَل: رمح، أسَلة: رأس اللسان •
٥٣ • مَرو: حجر صلب يعرف بالصوان •
٥٤ • تجمّل: صبر على الدهر •
٥٥ • رَغام: تراب، ايضاً: ذلّ وانقياد •
٥٦ • صاد: عطشان، صَدى: عَطَش •
٥٧ • طَوى: جُوع، طاوي البطن: ضامره •
٥٨ • تضوّع المسك: انتشرت رائحته •
٥٩ • أنام: خَلْق •
٦٠ • بُهْمة: رجل شجاع، بهيم: اسْوَد •

٢٠: مبتدىء

المستوى ٢١ ـ ٤٠: جيد

٤١ ـ ٦٠: مَلَكْتَ العربية

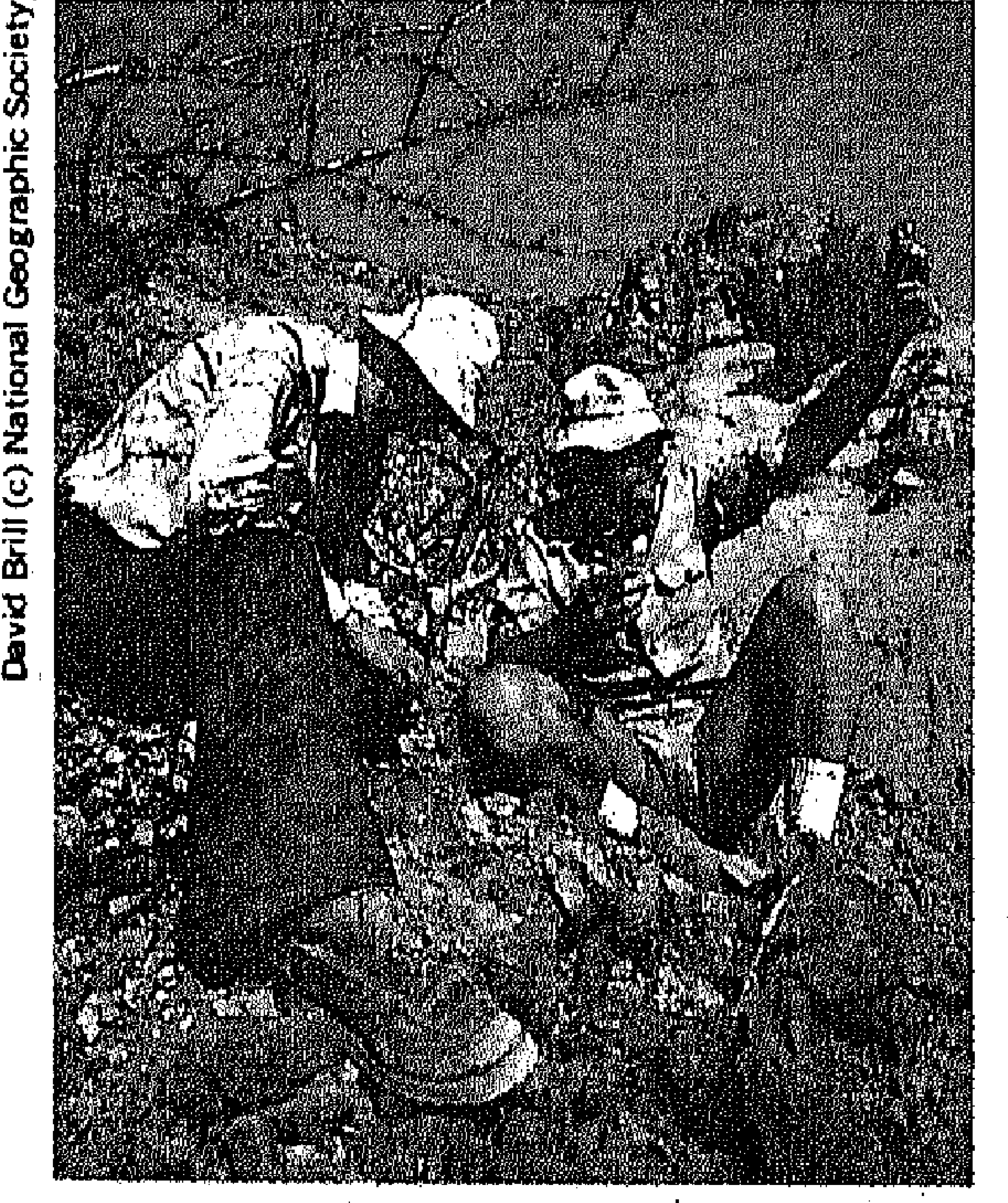

كتاب الشهر
لوسي
الحلقة المفقودة في أصل الإنسان
ملخص من كتاب بقلم دونالد جوهانسون وميتلاند إيدي

لوسي

الحلقة المفقودة في أصل الانسان

"لوسي" هو الاسم الذي أعطي اقدم هيكل عظمي بشري وأكمله تم اكتشافه حتى اليوم. وهو ينتمي الى كائن عاش قبل نحو أربعة ملايين سنة وكان يسير منتصباً على رجليه، هو من أسلاف الجنس البشري.

وتكوّن قصة لوسي نقطة انطلاق لهذه السيرة الطريفة التي يرويها المكتشف نفسه، الانتروبولوجي الامريكي دونالد جوهانسون الذي يعود اليه ضمير المتكلم في الصفحات اللاحقة، بالاشتراك مع ميتلاند ايدي، وهو مؤلف وضع كتابين آخرين ومجموعة مقالات في حقل المتحجرات القديمة



David Brill (c) National Geographic Society

دونالد جوهانسون في الموقع ٣٣٣ قرب هدار (اثيوبيا) يحمل متحجرات بشرية نبشت حديثاً

استيقظت، كعادتي وأنا في رحلة استكشاف، مع انبلاج النهار. وكان مخيمنا آنذاك في اثيوبيا، على ضفة نهر اواش الصغير الموحل في هدار التي تبعد ٢٤٠ كيلومتراً شمال شرق العاصمة اديس ابابا. وكنت أحد قائدين لمجموعة علماء قصدت ذلك المكان بحثاً عن المتحجرات، وقد انقضت بضعة أسابيع منذ وصولي الى هناك.

قفزت خارج الخيمة ونظرت الى العلاء: إنه يوم آخر خلت سماؤه من الغيوم. وبعد قليل جاءني توم غراي لنشرب القهوة معاً، وهو طالب امريكي يحضر دراساته الجامعية العالية وقد قصد المنطقة لدراسة متحجراتها الحيوانية والنباتية. أما غايتي فكانت العثور على بقايا كائنات بشرية أو شبيهة بالبشر.

وبادرت توم بقولي: "ماذا أعددت لهذا اليوم؟" فأجاب أنه منهمك في وضع علامات على خريطة تشير الى أماكن وجود المتحجرات.

وتابعت: "متى تضع اشارة على الموقع ١٦٢؟"

فقال: "لست متأكداً بعد من مكانه".

لكني وعدته بأن أدله على المكان، على رغم ان أعمالي الكتابية الكثيرة كانت تحتم علي البقاء في المخيم. فقد كان لديّ حس باطني يدفعني الى مرافقة توم. وأطعتُ ذلك الحس، ودوّنتُ في مفكرتي الآتي: "٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤. انطلقت مع غراي صباحاً نحو الموقع ١٦٢، يخالجني شعور حَسَن".

ولا بد من القول اني، كعالم انتروبولوجي (١) يدرس البقايا البشرية الطاعنة في القدَم، او من بالخرافات. والعديد مِن زملائي يشاركني في هذا الايمان لأن عملنا، في جانب منه كبير، يقوم على الحظ. فالعظام التي ندرسها نادرة جداً. وثمة علماء انتروبولوجيا مرموقون عاشوا وماتوا من غير أن يعثروا على قطعة قديمة واحدة. أما أنا فكنت أقوى حظاً من هؤلاء. فهذه هي السنة الثانية التي أعمل ضمن الحقل في هدار. ومع هذا فاني عثرت على عظام عدة. لذلك دوّنتُ في مفكرتي أن شعوراً حسناً يراودني. والحق أني، منذ ما أفقت ذلك الصباح، أفاق معي هذا الحس الجميل.

وصعدتُ مع غراي الى سيارة الجيب التي راحت ترتج بنا ونحن متجهان نحو الموقع ١٦٢. وتقع هدار وسط صحراء عفار، وهي بحيرة قديمة جفت مع الوقت وملأتها الترسبات الغنية ببقايا الازمنة الغابرة، وبينها حمم بركانية هامدة وتلال من الطمي الذي جرفته المياه من جبال قَصِيّة. وفي الاخاديد ومجاري الانهار تبدو هذه البقايا كالطبقات المرصوصة في قالب حلوى.

أوقفنا السيارة عند أحد تلك الاخاديد وبقينا ساعتين نتفحّص المكان. ولما اقترب الظهر وبلغت الحرارة ٤٣ درجة مئوية، من غير أن نعثر على شيء، قلت لرفيقي: "دعنا نتفحّص أسفل ذلك الاخدود". فعلى رغم معرفتي بأن سواي نقّب المكان نفسه مرّتين على الأقل من

---

(١) الانتروبولوجيا علم يبحث في اصل الجنس البشري وتطوره وعاداته.

دون جدوى،فأنـي ارتأيـت اعطـاءه فرصة أخيرة. وبعد تفتيش عقيم هممنا بالانصراف لكني نظرت ورائي فشاهـدت "شـيئـاً مـا" علـى أرض منحدرة.

وما أن بلغتُ ذلك الشيء حتى قلت: "إنه كسرة من عظم ذراع بشرية". فاوضح غراي انه "لا يعقل أن يكون هكذا. ان صغر حجمه يدل على أنه عظم سعدان".

وركعنا نتفحّص العظمة، فلاحظ غراي إنها صغيرة جداً.

لكني هززت رأسي قائلا: "إنها عظمة بشرية".

- وما الذي يؤكد رأيك؟

"تلك القطعة الاخرى القريبة من يدك. إنها عظمٌ بشري أيضاً".

وقال غراي وهو يرفع القطعة: "يا إلهي! ما هذا؟" لقد كانت جزءاً من مؤخر جمجمة صغيرة. وعلى مسافة متر منها كانت عظمة فخذ. وظهرت لنا قطع اخرى على ذلك المنحدر، وبينها عظمتان فقاريتان وجزء من حوض، وكلها بشرية.

وعبرت رأسي فكرة غريبة ولكن جميلة: "ماذا لو أمكن جمع هذه القطع لتشكل كلا واحداً؟ أيعقل أن تكون هذه العظام أجزاء جمجمة بدائية؟" إن أحداً لم يعثر على جمجمة من هذا النوع في أي مكان.

وانبرى غراي قائلا: "انظر الى هذه القطع: إنها أضلاع".

أيكون هذا هيكلا لانسان واحد؟

وقلت: "اني لا أُصَدّق! لقد وقعنا على شيء عظيم... عظيم". وأخذ صوته يرتـفع وهـو يـتـابع الكلام. ووقفنا نقفـز ونـرقص ونـدور حـول المكان ويهنىء أحدُنا الآخر وسط الحر الشديد، حتى قلت: "يحسن بنا أن نكف عن هذا المزاح. هب أننا وجدنا رجلين يسريين: ألا يعني هذا أن في المكان أكثر من هيكل فرد واحد؟ ألا يعقل أن تكون هذه الاجزاء مختلطة بعضها ببعض؟ دعنا نبرد أعصابنا قليلا".

ووقعنا على بعض قطع من عظم الفك، ثم وضعنا إشارة عند الموقع للعودة إليه وانطلقنا نحو السيارة التي كانت تغلي كالنار، وبها ذهبنا الى المخيم. وعلى الطريق صعد معنا عالمان من جماعتنا.

ولم ينفك زميلي عن القول: "شيء عظيم! شـيء عظيـم". فـقلـت له: "هدىء أعصابك". وما أن أصبحنا على مسافة نصف كيلومتر من المخيم حتى عادت أعصاب غراي تفور في داخله. فوضع يده على نفير السيارة ولم يرفعها حتى خرج نحونا حشد من زملائنا الذين كانوا يستحمون في النهر. وصرخ غراي: "لقد وجدناه! وجدنا الهيكل كله!"

وذهبنـا جـمـيعاً بعد الظهـر الـى الموقع، حيـث عملـنـا طوال ثـلاثة أسابيع على جمع القطع التي أصبح لدينا منها بضع مئات تكون نحو ٤٠ في المئة من هيكل كائن واحد. وصح توقعي وتوقع توم أننا لن نعثر على قطعتين متطابقتين. إنه اكتشاف لم يسبقنا أحدٌ الى مثله.

وفـي الـليلة الاولـى التـي تلـت الاكتشـاف كان الـمخـيـم يضـج بالأصوات. ولم يذهب أحد منا الى النوم، بل بقينا نتحدث ونمرح حتى الصباح. وكان لـديـنـا آلة تسجيـل

وشريط يحمل اغنية للبيتلز بعنوان: "لوسي في السماء ومعها الماس". وظل الشريط يدور طوال الليل والاغنية تتردد، بأعلى صوت، في السماء الحالكة. وفي لحظة من تلك الليلة المشهودة، أعطي اكتشافنا اسم "لوسي" الذي بقي محتفظاً به.

ما هي؟

"هي؟"

هذا هو السؤال الذي بقيت أسمعه من كل من يسألني عن الاكتشاف. وكان علي أن أجيب: "أجل، إنها انثى. فقد عثرنا على حوضها وعجزها كاملين. وفتحة الحوض لدى الانثى أكبر منها لدى الذكر تسهيلا للولادة. وهكذا يمكننا التمييز بين هيكل الذكر وهيكل الانثى".

لكن العنصر الذي أدهشنا أكثر من سواه كان حجمها. فلم يكن رأسها يتجاوز حجم كرة صغيرة، وكان طولها ١٠٧ سنتيمترات على رغم بلوغها التام. أما البلوغ فيمكن استنتاجه من أضراس العقل التي كانت كلها نامية وقد بلاها الاستعمال.

ولكن ما هي الميزة الخاصة التي تمتعت بها لوسي التي ألهبت خيالنا طوال أشهر؟

الحق أن هناك ثلاث ميزات.

أولا: ما هي لوسي، وما ليست هي. إنها مختلفة عن كل ما وجد وسمي سابقاً. فهي لا تقع في أي من الخانات المعروفة.

ثانيا: إنها تامة. وهذا لا يعني انعدام الهياكل العظمية القديمة قبل لوسي. لقد وجدت بقايا بشرية قديمة جداً، لكنها لم تتعدَ كونها أجزاء متفرقة: هنا سن، وهناك جزء من فك، وما الى ذلك، حتى اذا جُمعت تلك الأجزاء بعضُها الى بعض كان على العالم أن يتساءل: "هل تشكل كائناً واحداً؟" أما في حال لوسي فلم تكن ثمة حاجة الى طرح السؤال.

ثالثا: هناك مسألة السن. إن عهد لوسي يعود الى ثلاثة ملايين ونصف مليون سنة خلت. وهذا يعني أنها أقدم وأتم هيكل لكائن بشري يمشي على رجلين.

ومهما يكن من أمر تميُّز لوسي وفرادتها، تبقَ هناك حاجة ملحة الى تقرير مكانها في سلسلة التطور البشري التي عمل مئات العلماء من أنحاء الأرض على كشفها بالمنطق العلمي طوال ما يزيد على مئة سنة. وتضافرت اكتشافاتهم وآراؤهم النفاذة الملهمة على إعطاء صورة واضحة وغنية عن تسلسل الانسان. وهي رواية بدأت في نهايات القرن العشرين تكتسب مصداقية بين الناس.

وكان تشارلز داروين، في العام ١٨٥٧، أوّل من تحدى الرواية القائلة بأن الانسان خُلق في العام ٤٠٠٤ قبل الميلاد، مقترحاً أن الانسان تحدر من القرود وتطور حتى أضحى كما هو. والحق أن داروين، عندما ألقى قنبلته هذه، كان كمن يتحكم بها عن بُعد. ذلك أنه كان رجلا شديد الحياء، ولم يشأ أن يقاوم ردود الفعل التي توقَّع أن تثيرها الاوساط الدينية والسياسية في عصره حيال نظريته.

ومن حسن الطالع أن يكون لداروين تلميذ ذو خيال علمي خصب اسمه

توماس هكسلي. هذا لم يجد مانعاً من التصريح بأن الانسان سليل القرد، كاشفاً عن نقاط الشبه الجمة بين الانسان وأقرب الحيوانات اليه، وهي الغوريلا والشمبانزي. وهذا جعله يستنتج أن للثلاثة أصلا واحداً. وبما أن الغوريلا والشمبانزي لم توجد حية إلا في افريقيا، فقد توقع هكسلي أن توجد بقايا الاصل المشترك في تلك القارة.

إلا أنه لم يُعْرَف بوجود متحجرات في افريقيا حتى ذلك الحين. والواقع أنه لم يكن هناك سوى جزء من هيكل واحد يُسْتَدَل منه على أُصول الانسان، وهو بعض من جمجمة ومن عظم الأطراف وُجد في كهف في وادي نياندر الالماني قُبيل نشر تحفة داروين "نشوء الأنواع عبر الاختيار الطبيعي".

أما تلك البقايا التي عُرفت باسم "الانسان النياندرتالي" فقد خبت الضجة التي أُثيرت حولها أولا ولم يكن لها أي أثر علمي يُذكر. وربما كان بعض السبب راجعاً الى أن عقل الانسان في القرن التاسع عشر لم يتعود التمييز بين هياكل بشرية مختلفة، وبالتالي لم يجد في ذلك الهيكل البدائي ما يحفزه على إشباعه درساً والنظر إليه كنقطة انطلاق. وهكذا ابقي الانسان النياندرتالي في الظل.

غير أن طلاب التاريخ البشري ما فتئوا يحفرون الكهوف ومجاري الأنهار القديمة. وهم عثروا على ما سموه "إنسان كرو ـ مانيون"، نسبة الى مقاطعة في جنوب فرنسا حيث وُجد النموذج الأول منه. وعُثر على هياكل كثيرة يعسر تمييزها عن إنسان اليوم. ولما أثير السؤال عن عمرها اضطر العلماء أنفسهم الى ابتكار طريقة لحل تلك المسألة. وفي نهاية القرن التاسع عشر، توصل بعضهم الى ابتكار طريقة، أولية ولكن نافعة، دلت على أن انسان كرو ـ مانيون عاش في الكهوف قبل أربعين ألف سنة أو خمسين ألفاً.

وهذا أظهر حقيقة الانسان النياندرتالي الذي وُجد أنه أقدم من إنسان كرو ـ مانيون، إذ يعود الى خمسين ألف سنة أو مئة ألف، وربما الى مئتي الف. وهذا بدوره شاهد على صحة النظرة القائلة بتطور الجنس البشري.

وكان العالم الهولندي اوجين دوبوا اعلن في العام ١٨٩٣ وجود هيكل بشري يشبه القرد في جاوه (اندونيسيا) بعدما عثر على ضرس طاحنة كبيرة وقمة جمجمة لأحد الثدييات الرئيسية (وهي تشمل الانسان والقرد). لكنها كانت قصيرة وثقيلة جداً، مما يبعد إمكان كونها جمجمة إنسان. ومما وجده دوبوا أيضاً عظمة عليا لرجل تكاد تكون مطابقة للرجل البشرية المعروفة اليوم. وأرسل برقية الى اوروبا مفعمة بنشوة الانتصار، يعلن فيها أنه عثر على "الحلقة المفقودة"، وهي هيكل كائن يأتي بين الانسان والقرد.

غير أن الاوساط العلمية قابلت اكتشاف دوبوا بالنقد العنيف. فقد ظن بعضهم أنه جمع، عن خطأ، جمجمة قرد الى رجل انسان جاء بعده بزمن طويل. لكن هذا لم يَثْنِ دوبوا عن رأيه. وهكذا حمل القطع التي وجدها



المخيم على ضفة نهر اواش في هدار.

الى انكلترا وعرضها على السير ولتر كيث، أهم دارس للمتحجرات القديمة في عصره، الذي اخضعها لفحص دقيق شامل. وخرج كيث مقتنعاً بأن ما عثر عليه دوبوا يمثل انساناً قديماً وليس حلقة بين القرد والانسان.

في تلك الاثناء كانت الشواهد تتلاحق. فاكتُشف في ألمانيا ما سُمي "إنسان هيدلبرغ"، وهو جمجمة ذات فك قردي وأسنان بشرية. ووجد بعده "إنسان بكين" على أثر عشر سنين من التنقيب في كهوف تشوكوتيان الصينية. وما لبثت الاكتشافات الثلاثة، وهي إنسان جاوه وإنسان هيدلبرغ وإنسان بكين، أن أُعطيت اسماً مشتركاً هو "هومو اريكتوس"، أي الانسان المنتصب الذي يمشي على رجلين. وكانت جميع تلك الموجودات بشرية، وإن تكن تختلف قليلا عن إنسان اليوم بصغر دماغها وكثافة جمجمتها وبروز حواجب أعيُنها وثقل عظمها.

هذا الوصف السريع هو ثمرة أعمال مضنية استمرت أربعين أو خمسين سنة. ووجد أن إنسان جاوه أقدمها جميعاً، اذ يعود الى ٥٠٠ ألف سنة، وان يكن تصديق ذلك عسيراً على سواد الناس. وهذا يعني أنه يفوق الانسان النياندرتالي خمسة أضعاف من حيث القِدَم. أما لوسي فتفوق الانسان ـ القِرد الذي وجده دوبوا في جاوه بستة أضعاف. وطالما تساءلت عما تكون لوسي، لكني بقيت بلا جواب.

الجواب عن السؤال الذي طرحته نجده في الاكتشافات التي تلت "الانسان المنتصب"، خصوصاً في محطتين حاسمتين في تاريخ الباليونتولوجيا (٢) تعودان الى خمسينات القرن الحالي. واولى هاتين المحطتين متعلقة باسم جديد بالغ الأهمية هو "اوسترالوبيثيسين" أو "اوسترالوبيثيكوس".

(٢) الباليونتولوجيا هي علم الاحاثة الذي يبحث في اشكال الحياة عبر العصور الجيولوجية.

تلك الكائنات كانت شبيهة بالبشر، لكنها لم تكن بشراً بالتمام. فهي ظهرت في افريقيا، قبل مليوني سنة، ككائنات بدائية تمشي على رجلين ولها أسنان غريبة وأدمغة صغيرة جداً بحيث يُستبعد أن تُسمّى أناساً. أما السؤال الكبير المتعلق بهذه الكائنات فهو الآتي: أهي اسلاف انحدر منها البشر، أم تكون سلالة اخرى من الكائنات؟ وهو سؤال شغل الأوساط العلمية طويلا. ومما زاد المسألة تعقيداً ظهور نوعين أو ثلاثة من تلك الكائنات.

ووقف العلماء حائرين امام تلك المسألة. وبدأت الحيرة عام ١٩٢٤ بعدما تسلم الدكتور رايموند دارت، وكان آنذاك استاذاً في جامعة ويتووترزراند في جوهانسبورغ (جنوب افريقيا)، قطعاً أرسلها إليه صاحب مقلع كلسي في تاوونغ، وهي جزء من محمية بتشوانالاند الافريقية (بوتسوانا حالياً). ووقعت عينا دارت على قطعة مدورة بين تلك الكتل المسننة، وجد فيها قالباً داخلياً لجمجمة قديمة ملأها الكلس. وقد زالت الجمجمة مع الوقت وبقي القالب الكلسي الذي يحدد شكلها وحجمها.

ووقف دارت مشدوهاً أمام ذلك الحجر الكلسي الذي ما لبث أن وجد فيه جمجمة لطفل في السادسة مع أسنان طفل كاملة ومجموعة طواحن في أول ظهورها. وأيقن أن ما يراه ليس جزءاً من هيكل ربّاح (سعدان ضخم) أو شمبانزي. وللحال راوده شعور شبيه بذلك الذي راود دوبوا قبله، وهو أنه عثر على حلقة مفقودة بين القرد والانسان.

وكتب دارت مقالا لمجلة "الطبيعة"، وهي دورية انكليزية كانت تَنْشُر أهم المقالات العلمية آنذاك. وقبلت المجلة مقال دارت الذي واجه القراء للمرة الاولى بالفرضية القائلة بأن كائناً يسير على رجليه عاش قبل عشرات الوف السنين، وأن دماغه لم يتجاوز دماغ القرد حجماً. وللمرة الاولى أيضاً اطلع القراء على عبارة "اوسترالوبيثيكوس" التي اختارها دارت اسماً لذلك الكائن.

وجاء رد فعل الأوساط العلمية على ذلك المقال حذراً كما هو متوقع. وقبل السير آرثر كيث أول الأمر اكتشاف دارت، لكنه لم يلبث أن رفضه بحجة أنه لا يمثل فصيلة الشمبانزي والغوريلا على الاطلاق.

والدعم الوحيد الذي حصل عليه دارت في العشرينات جاء من روبرت بروم، وهو عالم مختص بتصنيف بقايا الثدييات والزواحف. إلا أن كيث لم يتراجع عن موقفه وهكذا بقي اكتشاف دارت، وقد سُمّي "طفل تاوونغ"، في الظل. ومن أسباب ذلك أن الجمجمة كانت لطفل، وأنها لا تمثل إنساناً بالغاً.

ثم كان في العام ١٩٣٦ أن سمع بروم بوجود بقايا عظام في كهف كلسي في ستيركفونتاين. وكان هناك رجل اسمه باولو يعمل مشرفاً على عمال المقلع ويبيع تلك البقايا الى السياح. وقصد بروم المكان وتمكن، بعد غوص في الركام، من العثور على أجزاء تكوّن جمجمة شبه تامة. وبعد تنظيف تلك القطع وجمعها أدرك أنها تنتمي الى فرد من

فصيلة "اوسترالوبيثيسين". ووجدت أجزاء اخرى تكوّن ما يشبه "طفل تاوونغ" لكنها تنتمي الى فرد بالغ. إلا أن ذلك لم يثْنِ كيث عن رأيه، فبقي يحجب صفة البشرية عن تلك القطع وينعتها بكونها "دارتيّة".

واستمر الاختلاط حتى العام ١٩٥٠، عندما نُشر مقال بقلم ويلفريد لوغرو كلارك الذي خلف كيث كعميد لعلماء التشريح الانكليز. وبعد زيارة قام بها كلارك الى جنوب افريقيا، أنجز تحليلا دقيقاً لجميع الأسنان التي يحتوي عليها فك القرد، متبعاً ذلك بتحليل مماثل للأسنان البشرية. وكانت النتيجة لائحة تنطوي على نحو اثني عشر فارقاً جوهرياً. وهي فوارق واضحة وقائمة على عدد كبير من النماذج بحيث لا تقبل الجدل:

بعد ذلك درس كلارك جميع البقايا التي تنتمي الى فصيلة "اوسترالوبيثيسين" بالمقارنة مع لائحته، فوجد أنها تشبه النموذج البشري لا النموذج القردي. وهذا يعني أن "اوسترالوبيثيكوس" هو أحد أسلاف الانسان المعاصر. وهكذا تبين، بعد ربع قرن، أن رايموند دارت كان على حق.

وجُعلت تلك الفصيلة قسمين، أحدهما ناحل ورشيق والآخر ممتلىء وبدائي. وأُعطي اسم "اوسترالوبيثيكوس افريكانوس" للفئة الاولى، ومنها طفل تاوونغ. أما الفئة الثانية فكان أفرادها من النوع نفسه مع اختلاف بسيط. فهم يمشون على رجلين ويشبهون القرد والانسان في الوقت نفسه. وكان الحل رد أفراد الفئتين الى جنس واحد، مع قسمتهم نوعين. وهكذا أُطلق على الفئة الثانية اسم "اوسترالوبيثيكوس روباستوس".

حلوى خاصة

الحدث العظيم الآخر في الخمسينات حصل عام ١٩٥٩، وكان بطله العالم الانتروبولوجي لويس ليكي.

وُلد ليكي في كينيا عام ١٩٠٣ لمبشر انكليزي وزوجته. وأُرسل في فتوّته الى مدرسة في انكلترا، ولكن تبين أنه يؤثر غابات افريقيا على مجتمع أهله الأصلي. وكان معتداً بذاته يصرح بآرائه من غير تحفظ، مما أكسبه عداء أترابه في المدرسة. إلا أنه استطاع الدخول الى جامعة كامبريدج وتخرّج فيها بدرجة مشرّفة جداً. والواقع أنه كان شاباً لامعاً، يملك موهبة خارقة على التمييز وحيوية دفّاقة.

ومعلوم أن أبناء المبشرين يكونون، في العادة، فقراء. وقد كان لويس من أفقرهم طراً. وأمضى سنوات عدة يحاول شق طريقه بصعوبة، فيحاضر في هذه المؤسسة أو تلك ويضع مقالا أو كتاباً في مقابل أجور زهيدة. وكانت مشكلته أنه شُغف، منذ حداثته، بدراسة ظواهر ما قبل التاريخ في افريقيا. لكن تحرّي هذه الهواية في كينيا لا يتيح له حياة مادية مشرفة. غير أنه ثابر على هوايته. وكان يعطي الخيّاط عصيّاً مصنوعة من خشب الأبنوس الافريقي في مقابل البذلات التي يخيطها له، كما استغل خبرته في تحليل الخط لكشف الوثائق المزورة.



وواجه لويس صعوبات جمة في ذلك الوقت، صحية ومهنية ومادية، لكنه مهد لنفسه الطريق التي من شأنها أن تقوده الى الشهرة العالمية. ذلك أنه وقع على مكان في تانزانيا يحوي متحجرات قديمة. وفي ذلك المكان من مضيق اولدوفاي أمضى لويس سنوات طويلة يعمل بمعاونة زوجته ماري.

والذي قادهما الى هناك كان أدوات حجرية بدائية يستحيل أن تعني شيئاً لغير المتمرس في هذه الأمور. وبقي لويس وماري يترددان على اولدوفاي بحجة أن صانعي تلك الآلات قوم بدائيون، وأنه لا بد، عاجلا أم آجلا، من وجود بقايا لهم في ذلك الوادي.

ولم يعثرا على شيء مما تمنياه طوال ثلاثين سنة. إلا أن لويس ليكي أوجد لنفسه مكانة علمية مرموقة على أثر دراساته المفصلة لطبقات الأرض والحيوانات في ذلك المكان. وذات يوم زاره انتروبولوجي امريكي شاب اسمه كلارك هاويل، وهو أحد الذين تتلمذت عليهم لاحقاً. وغدا الاثنان صديقين. وبمساعدة ليكي، تمكن هاويل من مباشرة حفرياته جنوب اولدوفاي.

وبمساعدة اخرى من ليكي استطاع هاويل مباشرة دراسة عام ١٩٥٩ لجنوب اثيوبيا. ولدى عودته الى نيروبي (كينيا) دعاه ليكي الى العشاء. وبعد الأكل قال ليكي انه أعد حلوى خاصة لضيفه.

وأخبرني هاويل لاحقا ما يأتي: "حمل ليكي علبة بسكويت كبيرة الى الطاولة وعلى وجهه ابتسامة ماكرة، ووقف ينظر إلي وأنا أنزع الغطاء عنها. وما أن فعلت حتى رأيت داخلها جمجمة ضخمة".

وصُعِق كلارك هاويل من هول المشهد. وهو كان يعرف جيداً الفرق بين صنفي "اوسترالوبيثيكوس". وتبين له أن الجمجمة التي تحدق اليه من العلبة كانت من نوع "روباستوس"، وهي أتم نموذج يُعثَر عليه حتى ذلك الوقت.

وانبرى لويس قائلا: "حسناً! لقد وجدنا أخيراً شيئاً ذا قيمة".

والواقع أن ماري ليكي هي التي وقعت على الجمجمة في نهاية موسم ١٩٥٩، بعدما قررت الذهاب بمفردها الى الموقع لأن لويس كان طريح الفراش على أثر زكام قوي.

ووجد لويس أن أسنان الجمجمة كانت أكبر كثيراً من أسنان فئة "روباستوس"، مما جعله يفكر في اعطائها اسماً خاصاً هو "زنجانثروبوس بويسي". لكن ذلك الاسم لم يدم طويلا. فبعدما لاحظ علماء آخرون الشبه الكبير بين الجمجمة والصنوف البدائية، اقترحوا تسميتها "اوسترالوبيثيكوس بويسي". ومهما يكن الامر، فان "انسان الزنج" ذاك منح لويس ليكي شهرة عالمية واسعة بين ليلة وضُحاها.

بيد أن الرواية لا تنتهي عند هذا الحد. فبعد سنة من ذلك الحين تناهت الى هاويل أخبار حول طريقة فذة استحدثها علماء إيطاليون لتحديد عمر ترسبات الحمم البركانية بالقرب من العاصمة روما. والطريقة تقوم على قياس مقدار الانحلال الذي

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل
ص.ب. ١٩٢٤
بيروت. لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار".


نحوّل همسك صراخاً...
النهار العربي والدولي

تحدثه عينة إشعاعية من عنصر البوتاسيوم في عنصر آخر هو الآرغون. وهذه الطريقة أحدثت ثورة في علمي طبقات الأرض والاحاثة إذ منحت المعنيين وسيلة أكيدة لتحديد عمر البقايا البشرية والشبيهة بها.

وطُبقت الطريقة مرة بعد اخرى لدراسة الترسبات البركانية في جوف وادي اولدوفاي. وجاءت النتيجة كل مرة مطابقة للاخرى. ووجد أن انسان الزنج يعود الى مليون و٨٠٠ ألف سنة. وهذا يعني أنه أقدم نموذج يُكتشف حتى ذلك الوقت والأول الذي أُعطي تاريخاً محدداً.

أعمال الحفر

كنت في المدرسة الثانوية عندما قرأت عن انسان الزنج في مجلة "ناشونال جيوغرافيك". وكان اسم "اولدوفاي" بمثابة جرس يقرع في اذني منبهاً. وبدأت أتجه في أفكاري أكثر فأكثر نحو الانتروبولوجيا. واتخذت من تجربة ليكي برهاناً على أن العالم الانتروبولوجي يمكن أن يكسب عيشه عن طريق استخراج المتحجرات من الأرض.

ودخلت الجامعة حيث كان عمل ليكي حافزاً لي مرة اخرى. فقد ورد تقرير في العام ١٩٦٢ يقول انه عثر على جمجمة اخرى في اولدوفاي تمثل إنساناً حقيقياً. والمذهل في هذه الرواية عمر هذا الانسان، وهو مليون و٧٥٠ ألف سنة، وهذا قريب جداً الى عمر الزنج. وهذا يعني أن ليكي ومعاونيه، بضربة معول واحدة، جعلوا عمر الجنس البشري طاعناً في القِدَم ثلاثة أشعاف ما كان سابقاً.

وأُطلق على الاكتشاف الجديد اسم "هومو هابيليس" أي الانسان الماهر أو البارع في استخدام يديه. فهو بيديه صنع الآلات التي وجدت سابقاً في الوادي. ويُستبعد أن يكون الزنج صانعها.

غير أن حجة ليكي للدفاع عن اكتشافه الجديد لم تكن قوية. وهذا راجع الى أن الكسر الأربع التي عُثر عليها لم تكن مترابطة على نحو بارز. لكن ليكي أصر على صفة "هابيليس" وعلى كونه أقدم انسان اكتشف حتى ذلك الوقت. وقال آخرون انه من فئة اوسترالوبيثيكوس" الاولى. إلا أن اجماعاً نشأ بين المعنيين على الحاجة الى نماذج أكثر وأقدم من شأنها تقوية حجة ليكي. لكن المعاول التي كانت تحفر عمق اولدوفاي لم تقتلع شيئاً يعود مليوني سنة الى الوراء.

وهناك شبه اجماع على أن العصر البليستوسيني (العصر الحديث الاقرب) بدأ قبل مليوني سنة. وأصبح ذلك التاريخ، بالنسبة الى علماء الانتروبولوجيا، بمثابة نافذة ينظرون منها الى ما يقبع وراءها، وهو العصر البليوسيني (العصر الحديث القريب) الذي يعود الى ثلاثة ملايين سنة. ولا بد من أن يحتوي هذا العصر على بقايا تلقي ضوءاً على النماذج المختلفة من فصيلة "اوسترالوبيثيكوس" وعلاقتها بعضها ببعض، وهذا بدوره قد يوضح هوية "هوموهابيليس". وربما عُثر على بقايا كائن سار منتصباً على قدمين قبل ثلاثة ملايين سنة أو أكثر... إنها أفكار جريئة حقاً. ولكن من لا يبصر ما هو وراء التلة يتصور ما طاب له.

والواقع أن ليكي، عندما ساعد كلارك هاويل على مسح المناطق الواقعة غرب بحيرة توركانا وشمالها عام ١٩٥٩، كان على علم بوجود بقايا من العصرين البليستوسيني والبليوسيني على ضفتي البحيرة، وحتى عبر كينيا الى اثيوبيا، وخصوصاً على امتداد نهر اومو.

لكن أسباباً سياسية منعت استهلال بعثة اومو قبل العام ١٩٦٧. في تلك الاثناء كان ليكي يعاني آلاما مبرحة في الظهر منعته عن المشي، مما جعله يرسل ابنه الأصغر ريتشارد لمرافقة البعثة، وكان آنذاك في الثالثة والعشرين.

وعندما انضممت الى صف هاويل كطالب للدراسات العليا في جامعة شيكاغو، كان اسم "اومو" على كل شفة ولسان. وكان هناك طوفان من الشواهد، على هيئة خرائط واحصاءات ومتحجرات، ينهال على المختبر، يرافق ذلك كله نظريات حول طريقة تفسير تلك الشواهد.

وقررت ان أكتب اطروحة (رسالة) الدكتوراه حول مراحل ظهور الاسنان ونموها لدى الشمبانزي، واجري فيها مسحاً شاملا لهذا الحقل. وأكسبتني دراساتي معرفة واسعة بأسنان الشمبانزي. وعندما بدأت مقارنتها مع أسنان القردة الاخرى، خصوصاً الغوريلا والاوران، ثم مع الاسنان البشرية ونماذج من أسنان فئة "اوسترالوبيثيكوس"، تكون لدي مفهوم حول ماهية القرد وماهية الاوسترالوبيثيكوس وماهية الانسان.

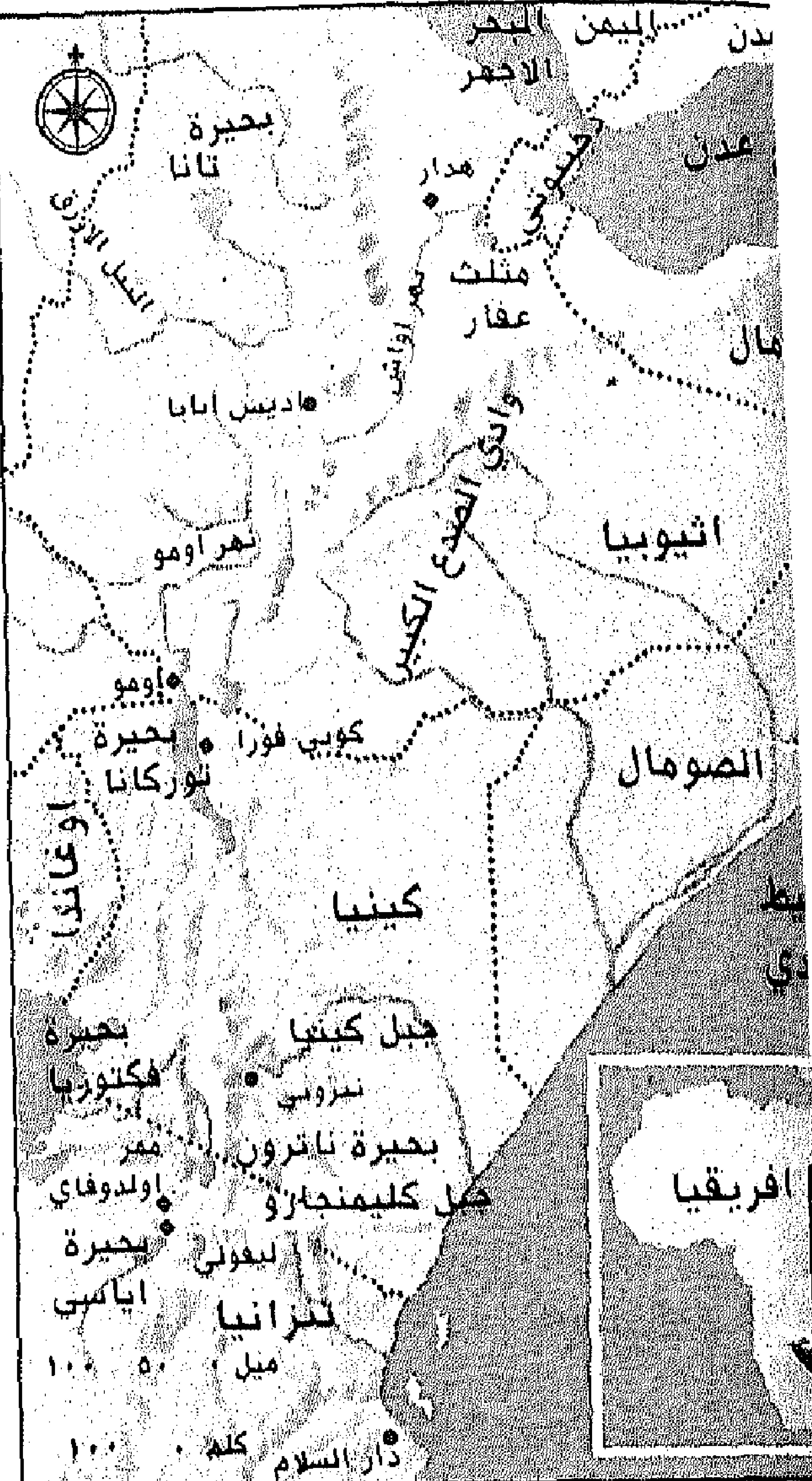
وعندما درست الاسنان التي وجدت على ضفاف اومو والتي قال هاويل إنها كانت لبشر، وجدت حاجة الى تعميق معرفتي. وطلبت الى استاذي كلارك هاويل أن يعينني في الحصول على منحة لدراسة مجموعتين اوروبيتين من جماجم الشمبانزي، ولمتابعة دراستي بعد ذلك في نيروبي واومو. وكانت النتيجة أني عملت في اومو خلال ثلاثة فصول صيفية.

ومن اومو ذهبت الى نيروبي. وهناك التقيت ماري ليكي وجددت معرفتي السابقة بابنها ريتشارد الذي اكتسب شهرة عالمية وأصبح حديث الصحافة. وكان عاد لتوه من موقع في كوبي فلورا على ضفاف بحيرة توركانا، ومعه بقايا مهمة تنتمي الى النوع الثاني من فصيلة "اوسترالوبثيكوس". ودُهشتُ وأنا أنظر الى تلك البقايا العظمية التي لم يكن خبرها ذاع بعد.

وتكونت لدي معرفة دقيقة بالثدييات التي تعود الى العصرين البليوسيني والبليستوسيني في نهاية موسم العمل الثاني الذي أمضيته على ضفاف اومو. واكتسبت خبرة ممتازة في الحفر وعثرت على متحجرتين من الفئة الشبيهة بالبشر.

وكانت بعثة اومو تضم علماء متعددي الجنسية. وأصبح لدي أصدقاء فرنسيون. ولدى عودتي من افريقيا عبر باريس توقفت في العاصمة الفرنسية واتصلت ببعضهم. وتم تعريفي الى جيولوجي شاب اسمه موريس طايب، سره أن يعرف أني عدت لتوي من جنوب اثيوبيا.

وقال طايب: "إنني أتردد على اثيوبيا أيضاً، وقد زرت مثلث عفار الواقع شمال شرق اديس ابابا. وأنا



أدرس التطور الجيولوجي في وادي نهر اواش. وفي ذلك المكان متحجرات مدهشة، لكني لا أعرف شيئاً عنها. ويجدر ذهابك معي".

وكان وضعي الشخصي معقداً. فأنا لم أفرغ من رسالة الدكتوراه، ولم تكن لدي وظيفة تعليمية ولا مال. لكن تلك المتحجرات أغرتني.

وقلت لموريس طايب: "حسناً، سأذهب". وهكذا كونا بعثة.

أقمنا مخيمنا الاول في هدار عام ١٩٧٣، على جرف عال يشرف على نهر أواش. وللحال أعطى طايب نفسه مهمة شاقة هي تحليل طبقات الارض في المنطقة. هذه الطبقات جعلها الانجراف والتآكل على هيئة أخاديد، وكان على طايب تحليلها ووضع صورة شاملة لها.

اكتشاف نادر

وانطلق أفراد الفريق الانتروبولوجي للعمل. وكانوا كلما وجدوا قطعة قديمة أعلنوا موقعها منطقة جديدة وأعطوه رقماً كانوا يحفرونه على احد الصخور. وكانوا في النهاية يسجلون هذه المواقع على خريطة كبيرة واحدة.

وانقضى نصف الموسم من دون العثور على قطعة واحدة تنتمي الى العائلة البشرية. والحق أني لم أعد المؤسسة العلمية التي مولت البعثة بالحصول على بقايا من هذا النوع، علما أن عدم حصولي على بقايا بشرية يضعف موقفي ويحجب عني المساعدة.

وكانت تلك الافكار تملأ رأسي وأنا أحفر في وقت متقدم من عصر أحد الأيام حين وقعت عيناي على ما يشبه عظمة فرس ناتئة في الرمل. وتبين أن تلك القطعة كانت الجزء الاعلى من عظم الساق الاكبر، وانها تعود الى كائن بدائي، قرد أو انسان.

وحملتها وقلت لنفسي انها عظمة سعدان. وسجلت في مفكرتي مكان وجودها وأعطيته رقماً. ثم لاحظت عظمة اخرى على بعد أمتار، وهي عظمة فخذ دنيا، صغيرة جداً كالاولى

ولم يبقَ من ناحية مفصلها سوى نتوء واحد. ووجدت النتوء الآخر في الرمل بالقرب منها. وجمعت المفصلين أحدهما الى الآخر، ثم جمعت الاثنين الى عظمة الساق، فبدا أن الثلاثة تكون كلا واحداً... انه اكتشاف نادر حقاً.

بعد ذلك تبين لي أن عظمة الفخذ وعظمة الساق تكونان زاوية عند المفصل. ولم أكن أفعل ذلك عن عمد، لكن العظمتين اجتمعتا هكذا على نحو طبيعي. وتبادر الى ذهني أن عظمة الفخذ وعظمة الساق لدى السعدان لا تتلاقيان الا في خط مستقيم. وعلى نحو غير ارادي ارتسمت في ذهني صورة لهيكل انسان وللانحراف الناشيء عن التقاء عظمتي الفخذ والساق فيه، الأمر الذي لا يتحقق الا لدى الكائنات التي تسير على رجلين.

وحاولت إعادة تركيب العظام كي تجتمع عند خط مستقيم كما هي الحال لدى السعادين، فلم أستطع. وهكذا أقنعت نفسي بأن ما وجدته هو جزء من كائن بشري أو من أسلاف البشر الأقدمين.

ورأيت توم غراي آتياً نحوي. فرفعت اليه عظمة الساق وسألته: "ماذا تقول؟"

- إنه سعدان. أو هل تظنه انساناً بدائياً؟ إن عظمة الساق بمفردها لا تفيدنا كثيراً.

عندئذ أريته القطعتين الاخريين من عظمة الفخذ وقلت: "ماذا لو جمعت القطع معاً؟" ومددتُها على الرمل، فظهرت الزاوية بوضوح عند ملتقى العظام.

وحدّق توم الى العظام ثم نظر الي قائلا: "أتكون هذه بقايا واحد من تلك الكائنات؟"

وهززتُ رأسي إيجاباً وأنا أُدرك ضخامة المسؤولية الملقاة عليّ الآن. وللحال شعرتُ بسعادة لا توصف، وفي الوقت نفسه لم أُصدّق أن ضربة الحظ هذه أصابتني أنا بالذات. ذلك أنه لم يسبق أن عثر أحد في تاريخ الانتروبولوجيا على مفصل ركبة بشري يعود الى ثلاثة ملايين سنة. واذا كان ظني صحيحاً، فهو يعني أن تلك القطع هي الوحيدة من نوعها في العالم حتى الآن. فهل يعقل أن أكون أنا مكتشف هذا الكنز النادر؟

في اليوم التالي بدأت تساورني الشكوك. فقد فكرت ليلا في أن هذا المفصل الملتوي يعني أن القطع تنتمي الى كائن سار على رجلين، وأنها بالتالي أول دليل حسي على وجود كائن من هذا النوع قبل ثلاثة ملايين سنة.

وبعد يوم قلت لزميلي توم غراي: "اننا نحتاج الى شيء آخر نقارن هذه القطع في ضوئه. فأنا لا أثق كل الثقة بمعرفتي التشريحية. وفي ودي الحصول على مفصل ركبة بشرية".

وعند العصر طلبتُ الى غراي أن يرافقني الى حافة التلة القريبة، وقلت له: "تلك الهضبة يستخدمها سكان منطقة عفار لدفن موتاهم".

- رويدك يا هذا! أتريد أن نفسد علاقتنا الطيبة بهؤلاء القوم فنسرق جثة لأحد موتاهم؟

"جلّ ما أُريده هو النظر إليها".

- لا أنصحك بهذا. أنسيت الزيارة التي قام بها أكابرهم إلينا؟

والحق أني كنت نسيت تلك الزيارة

التي قصد فيها وفد من متقدمي القبائل مخيمنا بعد اسبوع من إقامته، وجلسوا القرفصاء بينما وقف بعض فتيانهم وراءهم ممتشقين السلاح. وقالوا لنا، عبر ترجمان، انهم يريدون أن نرحل، لأن الأجانب لا يحملون معهم سوى المشاكل.

ولم يكن أهل عفار شاهدوا من سكان العالم الخارجي سوى بعض أعوان حكومتهم الذين قصدوا المكان لمسح الأراضي ومصادرة بعضها لاقامة السدود، مما شكل اضطراباً في نمط حياتهم البدوية.

وأمضيت وزميلي موريس طايب معظم النهار نتحدث الى زعماء القبائل بتؤدة، موضحين لهم أن غايتنا واحدة وهي جمع العظام والحجار القديمة من تلك المنطقة. والواقع أنهم لم يصدقوا كلمة مما قلناه، لكنهم سمحوا لنا بالبقاء بعد تبادل عدد من الهدايا الصغيرة.

وعاد غراي يقول: "انهم سيرموننا بنيرانهم أو يسرقوننا ان حاولنا نحن الاغارة على مقابرهم".

ـ ولكن ينبغي أن أحصل على ركبة انسان بأي ثمن!

وكانت المقبرة حيزاً مصنوعاً بجلاميد الصخور. ونظرت من بين صخرتين، فوقعت عيناي على ما أبتغيه. ولم يكن أحد قرب المكان، فالتقط توم العظمة ووضعها في قميصه، وذهب بها الى المخيم. وجلستُ تلك الليلة أدرس البقايا المتحجرة، فوجدت أن النوعين متطابقان إلا من حيث الحجم.

وطرت الى الولايات المتحدة، وتوجهت أولا الى "كنت" (ولاية اوهايو) حيث كان صديقي اوين لفجوي، وهو حجة عالمية في موضوع التنقل البشري، يحاضر في دائرة الانتروبولوجيا في جامعة كنت الحكومية. وفي أثناء حديثنا، فتحت العلبة التي وضعتُ فيها العظام الثلاث وقلت: "ماذا تعني لك هذه القطع يا اوين؟"

وبعدما تفحصها بدقة، قال: "إنها عظام بالغة. لكنها صغيرة جداً".

ـ هذا صحيح.

"وكم تظن عمرها؟"

ـ ثلاثة ملايين سنة.

"هذا مستحيل. فمفصل الركبة يبدو شبيهاً بمفصل انسان اليوم. ويبدو لي أن هذا الكائن القزم كان يسير على رجليه".

ـ لقد تبين لي، بعد مقارنة هذه القطع بالمتحجرات الاخرى، أنها تعود الى ثلاثة ملايين سنة. واني مزمع على فحصها بمادة البوتاسيوم خلال أسابيع.

ورفع لفجوي رأسه وأطلق ضحكة تشبه النهيق. فسألته: "ما الخطأ في الأمر؟".

ـ ما الخطأ؟ الأمر كله خطأ. فربما مشى هذا الكائن على رجليه الخلفيتين، وربما كان يعدو عدواً. لكني اراهن على أن دماغه لم يكن أكبر من حبة فستق.

"أصحيح ما تقول؟"

ـ أجل! هل وجد زملاؤك مكاناً في شجرة العائلة البشرية لكائن من هذا النوع؟ انه قرد صغير لا يتجاوز طوله المتر، وهو كان يعدو على قائمتيه الخلفيتين... ترى في أي مكان يضعونه؟

"لا أدري".

- انهم لن يصدقوك، والأفضل أن تعود وتعثر على هيكل تام.

...وفي السنة التالية وجدنا لوسي!

ما عمرها؟

بعد استئناف العمل في مخيم أواش عام ١٩٧٤، كان علينا أن ننظف القطع الكثيرة التي وقعنا عليها ثم نصنفها بالنسبة الى العصور الجيولوجية قبل أن نصفها قطعة قطعة. وهي مهمة شاقة حقاً. فالوصف يستغرق طويلا، وهو يقتضي اجراء قياسات آلية دقيقة وتدوينها في دفاتر خاصة. وهذا كله يجب إنجازه قبل محاولة طرح أي فرضية علمية حول كائنات هدار التي تنتمي الى العائلة البشرية. وأهم نقطة نظرية هي تلك التي تتناول أعمار تلك الكائنات، إذ ينبغي أن ترتكز على قواعد علمية صارمة لا تحتمل الجدل.

وكان طايب عثر على طبقة بازلت بركانية وعلى طبقة بركانية اخرى من الغبار. وبما أن الحمم والغبار تفيد في تعيين التواريخ، فقد أخذت عينات منها في العام الماضي وأُرسلت الى مختبر البوتاسيوم والآرغون في كليفلاند حيث تولى تحليلها جيمس أرونسون، وهو خبير من جامعة "كيس وسترن ريزيرف". وتبين أن عمر البازلت ثلاثة ملايين سنة، مع احتمال الخطأ بمئتي ألف سنة زائدة أو ناقصة.

وتجدر الاشارة الى أن أخذ العينات من بقايا الحمم البركانية مسألة معقدة. فهذه البقايا، ومنها الصخور، تنطوي على كميات ضئيلة من مادة "بوتاسيوم - ٤٠" ذات الفاعلية الاشعاعية. وانحلال البوتاسيوم يتولد عنه الآرغون، وهو غاز هامد. وقد وصف آرونسون طريقته بالآتي: "فصلت الآرغون وأجريت عليه القياس. وبما أني أعرف كمية البوتاسيوم الأساسية، كذلك معدل الانحلال، ففي امكاني استنتاج عمر العينة بالطرق الحسابية التقليدية".

لكن آرونسون لم ترقه النتيجة. فبعد فحص جميع عينات البازلت تحت المجهر، وجد أنها تنطوي، حتى في أفضلها، على دلائل صغيرة تشير الى تعرّضها للتغيُّر. وربما رشح منها شيء من الآرغون. ولكن اذا كان هذا صحيحاً فهو يعني أن عمر البازلت يفوق الثلاثة ملايين سنة. إلا أنه لم يتمكن من تحديد التاريخ بالضبط، واقترح أن نجري اختباراً مغناطيسياً للعينات.

إن الأرض عبارة عن قطعة مغناطيس هائلة. وهذا يعني أنها تحتوي على قطب موجب وآخر سالب. والجزء الموجب هو حالياً عند القطب الشمالي، وهذا هو مكانه "الطبيعي". أما الجزء السالب فهو عند القطب الجنوبي. ولكن بفعل حركة المواد المغناطيسية المصهورة في جوف الأرض، يطرأ تبدّل على خصائص القطبين من وقت الى آخر بحيث تنعكس "طبيعتهما"، فيصبح القطب الشمالي سالباً والجنوبي موجباً.

وتولى عالم جيولوجي جمع ٤٠٠ عينة حجرية متدرجة القِدَم. وأُخضعت هذه العينات للفَحص المغناطيسي، فتبين أن البازلت تكون

خلال فترة كانت خصائص القطبين معكوسة. ولكن ما عساها تكون تلك الحقبة؟ أهي ما يُدعى الآن "حقبة ماموث" التي تعود الى ثلاثة ملايين سنة أو ثلاثة ملايين ومئة ألف سنة؟ أم هل تكون "حقبة غيلبرت" التي يراوح عمرها بين ثلاثة ملايين و٤٠٠ ألف سنة وثلاثة ملايين و٦٠٠ ألف سنة؟ وجدير بالذكر أنه ليس هناك إمكان ثالث، لأن الارض عرفت قطبية "طبيعية" طوال الحقبة الأخيرة المؤلفة من ثلاثة ملايين سنة.

ومن أجل إعطاء زمن أكثر دقة للبازلت، استقدم آرونسون شاباً خبيراً بالبراكين اسمه بوب ولتر، جمع عدداً من العينات البركانية وحملها الى كليفلاند لتحليلها بطريقة تقوم على تحري معدن الاورانيوم في بلورات دقيقة تُدعى الزِّركون.

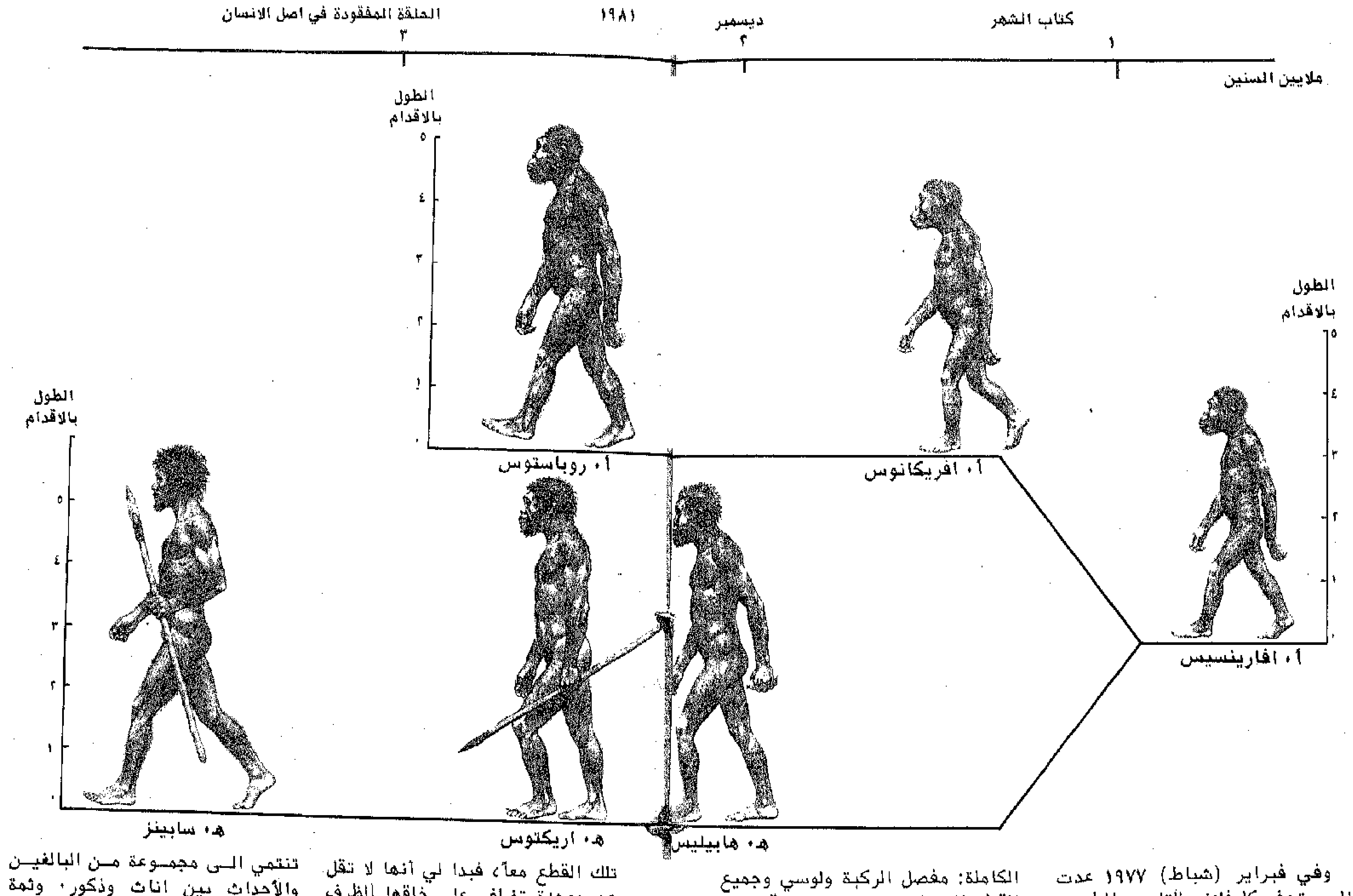
و "الاورانيوم ـ ٢٣٨" مادة إشعاعية تنحل ببطء ليتكون منها الرصاص، كما يتكون الآرغون من مادة "البوتاسيوم ـ ٤٠". والفرق أن تحول البوتاسيوم آرغوناً يتم بهدوء، في حين أن تحول الاورانيوم رصاصاً يصاحبه تكون بسيط للطاقة. وهذه الطاقة تتسرب من أطراف الزركون محدثة تغيراً في ذراته. والنتيجة شبيهة بما يحدثه عبور إنسان حقلا من الحنطة، إذ يخلف خطاً على طول موطىء قدميه. أما الخط الذي يخلفه تسرب الطاقة من الزركون فيُسمّى انفلاقاً أو خطاً انشطارياً. وتمكن رؤيته تحت المجهر بعد مسحه بمادة كيميائية لتوسيعه قليلا. وكثرة الخطوط الانشطارية في الزركون دليل على قِدَمه.

إلا أن تحديد عمر العينات عن طريق تحري هذه الخطوط فهو أقل دقة من فحص البوتاسيوم والآرغون، لكنه ملائم بنوع خاص لتحديد عمر العينات التي بدّلتها العوامل الجوية أو تعرضت للتلوث بحيث لم يعد يصلح معها الاختبار الآخر. وفي نظر آرونسون أنه اذا أُجري الاختباران وجاءت النتيجة مطابقة، فهذا يقوي الموقف لا محالة. والواقع أن هذا هو ما حصل فعلا.

وعندما أنهى آرونسون وولتر مهمتهما، تبين في ضوء الاختبارين كليهما أن طبقة الرماد البركاني تعود الى مليونين و٦٠٠ ألف سنة خلت، وأن طبقة البازلت التي وُجدت تحتها تعود الى ثلاثة ملايين سنة. وفي طبقة بين الاثنتين كانت لوسي التي يُظن أن عمرها مليونان و٩٠٠ ألف سنة.

ما هي لوسي؟

أُرسلت بعثتان اخريان الى هدار، الاولى عام ١٩٧٥ والثانية عام ١٩٧٦. وفي العام ١٩٧٥، أي خلال موسم عملنا الثالث، وقعنا على اكتشاف لا يُصَدّق. فعلى جانب تلة أطلقنا عليها لاحقاً اسم "الموقع ٣٣٣"، عثرنا على كنز ثمين من المتحجرات التي تنتمي الى العائلة البشرية. وأمضينا بقية الموسم ومعظم السنة التالية نعمل عليها. وفي النهاية بلغ عدد القطع المجموعة نحواً من مئتين، بينها أسنان وعظام اخرى. وتبين أن تلك القطع تنتمي الى ١٣ فرداً على الأقل من رجال ونساء وأربعة أطفال.



وفي فبراير (شباط) ١٩٧٧ عدت الى متحف كليفلاند للتاريخ الطبيعي الذي كنت أميناً له، وكانت في حوزتي، للمرة الاولى، مجموعة هدار الكاملة: مفصل الركبة ولوسي وجميع القطع التي استخرجت من الموقع ٣٣٣ والمعروفة اليوم باسم "العائلة البشرية الاولى"، وألقيت نظرة على

Diagram From «the emergence of man, the missing link».
Illustration by Jay Matternes. (C) Time-Life books, publisher.

تلك القطع معاً، فبدا لي أنها لا تقل عن معجزة تضافر على خلقها الظرف الملائم والحظ السعيد والمثابرة،

هنا أكثر من ٣٥٠ قطعة منفصلة تنتمي الى مجموعة من البالغين والأحداث بين اناث وذكور، وثمة فوارق بين اولئك الافراد تشير الى أنهم ينتمون الى أجيال وعصور

مختلفة. وان دراسة دقيقة لتلك الموجودات من شأنها كشف طبيعتها: أهي من عائلة "اوسترالوبيثيكوس" أم من عائلة بشرية محضة، أم تراها من فصيلة لا هي هذه ولا تلك؟ إن مسؤولية الاجابة عن هذه التساؤلات ملقاة على عاتقي.

وكنتُ وحيداً في مكتبي، ذات ليلة، في الطبقة السفلية من المتحف، حين تناولت جميع القطع الفكية ووضعتها على الطاولة. ورحت أعربها ابتداء بالأسنان الرمادية المتلألئة. وخُيِّل إليّ أن تلك الفكوك تهزأ مني قائلة: "أخبرنا من نحن! قل لنا ماذا ستدعونا".

وازداد الأمر تعقيداً بعد عثور ماري ليكي على قطع جديدة في موقع "ليتولي" في تانزانيا، وهي آثار أقدام بشرية حُفظت، على نحو عجيب، في طبقة من الرماد البركاني. وكان في ليتولي ذلك الوقت انتروبولوجي امريكي شاب اسمه تيم وايت، سبق أن تعاون مع ريتشارد ليكي. واشترك وايت في حفظ تلك المتحجرات النادرة ودون الأوصاف الضرورية حولها. وعندما عرضت عليه متحجرات هدار، وجد شبهاً صارخاً بينها وبين القطع التي عثرت عليها ماري ليكي في ليتولي.

أما العنصر الذي زاد المسألة تعقيداً فهو أن ليتولي تبعد ١٦٠٠ كيلومتر عن هدار، وأن عمر متحجراتها يعود الى ثلاثة ملايين و٧٥٠ ألف سنة، مما يعني أنها أكبر من لوسي بـ٨٠٠ ألف سنة. وقررت أن أقوم بدراسة دقيقة للمجموعتين مع تيم وايت.

وهكذا طلبت إليه أن يحمل القوالب التي صبها لبعض قطع ليتولي ويأتي بها الى كليفلاند لاجراء المقارنة. وكان ظني أني سأجد فوارق غير قليلة بين المجموعتين مما يجعل التمييز بينهما جلياً.

وما أن بدأ تيم وضع القوالب على الطاولة حتى وجدتها هزيلة بالمقارنة مع متحجرات هدار. وكان هناك فك واحد، وهو فك سفلي، في حال جيدة، فضلا عن ١٣ قطعة اخرى. ولكن مهما يكن الأمر فقط ظهر أن القطع متشابهة على نحو لا يقبل الشك، خصوصاً الكبيرة منها.

وقضينا أياماً نقارن عينات المجموعتين بدقة بالغة، واضعين سناً على سن وتاجاً فوق تاج. وكان ذلك اختباراً خارقاً قلت في نهايته: "ان قطع مجموعتي الكبيرة مشابهة للقطع الكبيرة في مجموعة ماري".

– هذا ما قُلْتُه لك!

"لكن هذا لا ينطبق على لوسي! إنها شيء آخر".

– أجل! إنها مختلفة قليلا لأنها انثى. فهي أصغر وفكُّها على هيئة الرقم ٧. لكنها لا تختلف في الامور الاخرى.

ونظرتُ من جديد الى لوسي، فبدت لي مختلفة. وكانت لدي قناعة بأن هناك فصيلتين مختلفتين في هدار: فصيلة أفرادها كبيرة، وهي تشبه ما وجدته ماري ليكي في ليتولي، واخرى صغيرة تنتمي اليها لوسي. وكان ريتشارد ليكي وأُمّه – في زيارة الى هدار – أعربا لي عن ظنهما أن الأفراد الكبيرة هي من العائلة البشرية. ووافقتُهما الرأي

في حينه. وكان ريتشارد توصل الى طريقة مقنعة لتصنيف البقايا التي عثر عليها عند بحيرة توركانا، إذ جعلها في مجموعتين، واضعاً الأفراد ذوي الفكوك والطواحن الضخمة تحت فصيلة "اوسترالوبيثيكوس" وذوي الفكوك والطواحن الأصغر تحت الفصيلة البشرية. وعندما وصل الى هدار ووجد أفراداً ذوي أسنان صغيرة تشبه أفراد مجموعة توركانا، كان من الطبيعي أن ينميها الى العائلة البشرية.

غير أن لوسي لم تنسجم مع تلك الفصيلة، على رغم صغر أسنانها. فهي كانت من الغرابة بحيث تعسر تسميتها بشراً. وشاركني تيم وايت في الرأي الى حد، من غير أن يفصح أحدنا عن رأيه للآخر. وذات يوم وضعنا أفراد "العائلة الاولى" التي استخرجت من الموقع ٣٣٣ على الطاولة، وبينها جزء من جمجمة بالغة أعطيناها علامة "ال٣٣٣ - ٤٥". وكانت كائناً صغيراً ذا عضلات في مؤخر الجمجمة شبيهة جداً بعضلات القرود. ونظر إليها تيم طويلا ثم قال: "إنها قطعة غريبة. ولكن قل لي، بربك، هل ستحاول نسبتها الى الفصيلة البشرية؟"

لكنني سألته بدوري: "وهل تريد أن تطلق عليها صفة اوسترالوبيثيكوس؟"

وكانت تصنيفات ليكي بدت لنا ملائمة حتى ذلك الوقت. ولكن ظهر فجأة أنه يستحيل وضع "ال٣٣٣ - ٤٥" في ضوئها.

وقال تيم: "ألا تكون القطعة من فئة ثالثة؟"

ووقعنا في حيرة من أمرنا، وأخذت الأفكار تتلاحق لدينا. ولم أعد أذكر أي واحد منا اقترح مراجعة مقال لو غرو كلارك الشهير، ولكن ما أن طُرحت الفكرة حتى تأكدنا من أننا واقعون على حل للمسألة في القائمة التي أعدها كلارك بعناية والتي تحوي ١١ فارقاً بين أسنان القردة واسنان البشر.

وفي منتصف صيف١٩٧٧ كنا على استعداد لاجراء المقارنة. وكانت لدينا نماذج من الشمبانزي والغوريلا ومجموعة لائقة من بقايا الاوسترالوبيثيكوس، فضلا عن تصنيفنا مواد ليتولي وهدار على نحو يسهل مباشرة العمل. وكان علينا التصدي للمسألة من ثلاث زوايا:

١. هل في حوزتنا أشياء جديدة لم يظهر مثيل لها من قبل؟

٢. إذا صح أن ما لدينا جديد، فما نسبته الى الاشياء التي وجدت قبلا؟ بكلام آخر، الى أي شجرة عائلة هو ينتمي؟

٣. ما الاسم الذي ينبغي اطلاقه على هذه الأشياء؟

وكنا نعلم أن قائمة كلارك سوف تعيننا في الاجابة عن السؤالين الأولين. أما الثالث فمتروك لوسائلنا الخاصة.

اسم عَلَم

هناك طاولة مرتفعة تتوسط المختبر في كليفلاند. وكنا كل مساء، بعد انصراف الموظفين، نذهب اليها أنا وتيم ويسحب كل منا كرسياً عالياً يضع عليه لوائح المقارنة ويتحرى القطع بتفاصيلها جميعاً.



الشركة التي تستحق ثقتكم

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية

وسرعان ما صدمني التحليل، لا لأن الفكوك التي كانت موضوع دراستنا قديمة، إذ كنتُ أتوقع هذا الأمر، بل لأنها كانت طاعنة في القدم. وبدلا من كونها بشراً تشبه القرود، بدت لي قروداً تشبه البشر. والأمر الذي بدا جلياً الى حد لا يحمل الشك كان أن متحجرات ليتولي وهدار تنتمي الى منزلة بين الاثنتين، من غير أن تكون هذه ولا تلك.

وتجدر الاشارة الى أن هذا الاستنتاج قائم ليس على قطعة واحدة أو ميزة واحدة معينة، لكنه ثمرة الدراسة المستفيضة والمقارنة. وفي نهاية الصيف كنا قد دونا عدداً من الفوارق كافيا للبرهان على أن متحجرات ليتولي – هدار مختلفة عن القرود وعن البشر اللاحقين كذلك.

ومختصر القول أن مقارنتنا الدقيقة أجابت عن السؤال الأول. فقد عثرنا، بالتأكيد، على أشياء جديدة. والمشكلة التي بقيت بلا جواب هي الآتية: أهو شيء واحد جديد أم شيئان؟ وكانت قناعتي أن لدينا شيئين جديدين، في حين اكتفى توم بشيء واحد. ووافقني رأيي بيل كيمبل، وهو اليوم معاوني في المختبر، وقد ساعدنا آنذاك في بعض التحاليل والمقارنات. لكن تيم لم ينقطع عن القول: "أتدّعي أن لوسي مختلفة؟ تعال يا كيمبل، دعنا نخرج ما لدينا من شمبانزي ونقارن بهدوء بين لوسي وبينها عوضاً عن التبجّح طوال الوقت". وجاء تيم في اليوم التالي الى المختبر ليقول: "انهما واحد، واحد". فرددنا عليه أنا وبيل: "لا بل اثنان، اثنان".

ولم يكن رأينا مبنياً على صغر حجم لوسي بمقدار ما هو قائم على شكل الرقم ٧ عند فكها. وأخيراً رتب تيم مجموعة متحجرات على الطاولة، هي عبارة عن فكاك تتدرج من حيث حجمها. وعند وضع فك لوسي في آخر الصف، بدا واضحاً أنها في مكانها الطبيعي. وكان الاختلاف الوحيد صغر فكها الأمامي. وكانت لها أسنان بدائية مشابهة لبقية أفراد المجموعة، مما حدانا نحن الثلاثة، بعد أشهر من التفكير ملياً في الأمر، على الاقرار بأن تلك القطع كلها تنتمي الى عائلة واحدة. وهكذا زال تميز لوسي من أذهاننا.

وبعدما تأكد لنا أننا نعمل على أفراد من عائلة بشرية بدائية، بدأنا التصدي للسؤال الثاني، وهو الآتي: ما علاقتها بالأفراد البشرية الاخرى؟ وللثالث: ماذا نسميها؟ ترى ما نسبتها الى "هومو هابيليس" و"اوسترالوبيثيكوس افريكانوس" و"اوسترالوبيثيكوس روباستوس"؟

وقررنا، كخطوة اولى، تصنيف جميع البشريات الافريقية في قائمة تتناول عمرها وصنفها والموقع الذي وجدت فيه، حتى اذا فرغنا من ذلك تناسينا الموقع وركزنا على الصنف. وهذا من شأنه اعطاء قائمة بسيطة لكنها، في الوقت نفسه، تمثل الفوارق الرئيسية. وهي قائمة تبين استنتاجنا بوضوح، وهو أن مجموعة ليتولي – هدار تمثل صنفاً أقدم من "اوسترالوبيثيكوس" و"هوموهابيليس" لكنه سلف للاثنين، كما تبين أن تطور الجنس البشري بدأ قبل ثلاثة ملايين

سنة، وأن "افريكانوس" سبق "روباستوس"، وهو بالتالي لم يكن سلفاً مباشراً للانسان.

وفي اعتقادنا أن الجنس البشري نشأ قبل نحو ثلاثة ملايين سنة، وأنه بات صنفاً خالصاً قبل مليوني سنة. ففي ذلك الوقت كانت هناك مخلوقات من فصيلة "هومو" تمشي على الارض. وكانت معها أيضاً مخلوقات من فصيلة "روباستوس" المشابهة التي رافقتها نحواً من مليون سنة، لكنها زالت بعد ذلك وانقرضت.

هذه النتائج، التي خرجت بها أنا وتيم بعد سنتين من العمل كانت جواباً كافياً عن سؤالنا الثاني. وبقيت أمامنا مشكلة الاسم. واقترحت "اوسترالوبيثيكوس ليتولنسيس" بحجة أن هذا يرضي ماري ليكي.

لكن تيم قال: "لا أظن الاسم موفقاً. ذلك أن المجموعة الرئيسية التي تضم أفضل العينات هي مجموعتك أنت لا مجموعة ماري. والأجدر أن تعطيها اسمك".

ـ أتعني "جوهانسونينسيس"؟ هذا مضحك!

"كلا، بل أعني أن تطلق عليها اسم المكان الذي وجدت فيه: "هدارينسيس".

غير أن الفكرة لم ترقني. فأنا أفضل استعمال اسم المنطقة كلها: مثلث عفار.

وانبرى تيم وايت قائلا: "حسناً، إذاً.. لنسمها "افارينسيس". ما رأيك؟".

وهكذا اعتمدنا اسم "اوسترالوبيثيكوس افارينسيس".

كان علينا، بعد ذلك، أن نكتب مقالا نصف فيه الاكتشاف وما تلاه من تحقيق وتدقيق ومقارنة واستنتاج. وأدركنا، انا وتيم، أن ذلك المقال سيكون خطاً فاصلا في تاريخ الانتروبولوجيا وعلم المتحجرات، وانه سيبدل نظرة الانسان الى نفسه وأصوله. وهذا يشير الى مسؤوليتنا الجسيمة تجاه انفسنا وتجاه العلم ككل.

إفشاء السر

وفي شهر مايو (أيار) ١٩٧٨ سلمنا المقال الى مجلة "العلم" (ساينس) وهي أهم مطبوعة علمية في الولايات المتحدة. ولم يكن أحدنا يتوقع الاهتمام الواسع الذي كشفه إفشاء سر "افارينسيس". ونشرت صحيفة "نيويورك تايمس" مقالا على صفحتها الاولى يحمل رسماً لجمجمة "افارينسيس". وفي الأيام التالية ظهرت مقالات حول الموضوع في مجلتي "تايم" و"نيوزويك" وفي صحف ومجلات اخرى. ودُعيتُ الى حلقات تلفزيونية عدة. إلا أن عنوان "نيويورك تايمس" عبر عن الأمر برمته إذ قال: "اكتشاف نوع جديد من الكائنات يبدل النظرة الى التطور البشري". وجاء المقال تحت العنوان تلخيصاً بليغاً لنقاط مقالنا البارزة:

"هناك كائن مجهول كان سلفاً للانسان وعاش في افريقيا قبل ثلاثة ملايين سنة حتى أربعة ملايين سنة. وهو يجمع جمعاً غريباً بين رأس صغير الدماغ يشبه رأس القرد وجسم منتصب تماماً. وقد عثر عليه عالما انتروبولوجيا امريكيان.

"وهذا هو النوع البشري الأول الذي تتم تسميته خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة.

وهو يتحدى النظرة السائدة التي تقول بأن الكائنات المنتصبة، التي كان سيرها على القدمين يخولها استخدام اليدين لصنع الآلات، ظهرت، الواحد بعد الآخر، بأدمغة كبيرة".

الهجوم الأول على مقالنا وصل في ٧ مارس (آذار) ١٩٨٠. فقد أرسلت إلينا مجلة "العلم" نقداً بإمضاء ريتشارد ليكي وآلن ووكر، وهو حالياً استاذ تشريح في جامعة جونز هوبكنز الامريكية. كما أرسلت الينا المجلة نقداً آخر ممهوراً بتوقيع ماري ليكي وخبيري تشريح من مستشفى سان توماس في لندن، هما مايكل داي وتود اولسون.

وكان اعتراضنا على مقال ليكي - ووكر أنه يكتفي بانتقاد تصنيفنا لأفراد العائلة البشرية من غير أن يقترح بديلا. وهذا خيب أملنا إذ لم يقدم أي نقطة ملموسة يمكن الرد عليها.

أما نقد ماري ليكي فكان أكثر مدعاة الى الخيبة. وكانت هي صرحت في مقابلة سابقة باستحالة الربط بين مكتشفات ليتولي ومكتشفات هدار لبعد المسافة التي تفصل بينهما وللفارق الزمني الذي قالت انه ٧٥٠ ألف سنة. وكنت أود تحدي نقطتيها معاً، فأذكرها مثلا بأن "هومو اريكتوس" (الانسان المنتصب) بقي من دون تغير زمناً أطول، وذلك في أجزاء مختلفة من العالم يبعد أحدها عن الآخر أكثر من بعد ليتولي عن هدار.

انسجام تام

إن إعلاننا عن "اوسترالوبيثيكوس افارينسيس" هو من قبيل التصريح بغرائب الأمور. فهو بمثابة وصف سلف للانسان كان مجهولا حتى الآن واعادة تكوين لشجرة العائلة البشرية. وهذا، كما أظن، ما حدا ريتشارد ليكي وامه الى الوقوف ذلك الموقف من مقالنا... إنه يتحدى نظرة آل ليكي القائلة بتميز صنف "هومو" عن سواه.

وكان لويس ليكي أول من نادى بتلك النظرية. فهو لم يتوانَ عن دراسة كل قطعة حسنة المظهر من فصيلة "هومو" على حساب أفراد "اوسترالوبيثيكوس" وحتى "هومو اريكتوس" والانسان النياندرتالي. ووقفت ماري وريتشارد موقف لويس حتى بات خطهم العلمي خطاً "عائلياً". وكمثل والده، بدا أن ريتشارد يؤثر إلغاء الفوارق من أجل الحفاظ على سلامة نظرته. وهكذا اقتنع بأن كل ما ليس "هومو" لا يمكن أن يكون سلفاً للانسان.

وقد تطرقت في مقالي الى السبب الذي جعلني أتبنى هذه النظرة قبل سنوات، وهو المعرفة السائدة حول المتحجرات المكتشفة حتى ذلك الوقت والاستنتاجات المثيرة التي أعلنها ريتشارد حول الانسان البدائي بناء على أن احدى جماجم ليتولي - وقد أعطيت اسم "١٤٧٠" - تعود الى ثلاثة ملايين سنة. واقتناعاً مني بصحة التاريخ الذي أعطاه ريتشارد لتلك القطعة الغريبة، قررتُ أنه يحسن بنا البحث عن المرحلة السابقة للانسان، والتي منها تفرع الانسان، في تاريخ سابق. وبما أنه لم تظهر حتى ذلك الوقت متحجرات من فصيلة "اوسترالوبيثيكوس" أقدم زمناً من

"١٤٧٠"، فهذا جعلني اوافق ريتشارد على عدم اعتبار أفراد تلك الفصيلة من أسلاف الانسان٠

والواقع أن شهرة ريتشارد ليكي العالمية جاءت بفضل "١٤٧٠"٠ وتلك القطعة عززت آراءه حول تطور الجنس البشري٠ ولكن عندما ظهرت شواهد تبين خطأه التاريخي، ظل ريتشارد يمتنع عن الاقرار بخطأه ويدافع عن موقفه حتى تراجع عنه في النهاية٠ أما الحفاظ على رأيه في التسلسل البشري فبات يحتاج الى اكتشاف أفراد من فصيلة "١٤٧٠" تكون أقدم زمناً، أو الى البرهان على أقدمية بعض القطع التي في حوزته٠

إلا أن "افارينسيس" يغلق الباب على تلك المحاولة٠ واذا قبل ليكي بهذا الكائن الشبيه بالفرد سلفاً للانسان الذي يعود الى ثلاثة ملايين سنة، فإن "هومو" الآخر، الذي يعود الى مليونين و٩٠٠ ألف سنة يصبح خارج الصورة٠

ولا تمكن اطالة الحقبة التي يتصورها ليكي الا بإعادة تفسير موجودات ليتولي وهدار على أساس انتمائها الى فصيلة "هومو"٠ وهذا من شأنه رد الفصيلة البشرية الى ثلاثة ملايين و٧٠٠ ألف سنة٠ ولهذا السبب نجد ريتشارد وماري ليكي يكتفيان بالتركيز على بقايا ليتولي وهدار التي تشبه الفصيلة البشرية، غافلين عن القطع البدائية التي لا تعزز موقفهما٠

وحدث أمر غير متوقع صيف ١٩٧٩٠ وكنت وتيم اعتمدنا التاريخ الذي أعطاه جيمس آرونسون بناء على تحليل البازلت المستخرج من هدار، وهو ثلاثة ملايين سنة، فقلنا ان هذا هو عمر المتحجرات أيضاً٠ غير أن آرونسون أعلمنا في شهر اغسطس (آب) بأن ذلك التاريخ سيُعدَّل٠ فقد ظهرت أدلة جديدة تبين أن عمر البازلت هو ثلاثة ملايين و٧٥٠ ألف سنة، مع امكان الخطأ بمئة ألف سنة زائدة أو ناقصة٠

ومعروف أن التعديلات الزمنية تعقد الامور في هذا الحقل٠ أما هذا التعديل فقد سهل أمورنا٠ وهكذا ظهر فجأة أن متحجرات هدار، اضافة الى كونها شبيهة جداً بمتحجرات ليتولي، تنتمي واياها الى زمن واحد٠

لكن هذا الاكتشاف الجديد، على روعته، أحدث ثغرة في شجرة العائلة التي رسمناها، اذ ترك فترة مليون سنة من غير بقايا تمثلها٠ فما تراه يكون في تلك الحقبة؟

اذا كانت القائمة التي وضعناها صحيحة، فهذا يعني أن أي متحجرات تظهر من تلك الحقبة الطويلة من شأنها ان تظهر تطوراً في أحد اتجاهين: من "افارينسيس" نزولا الى "هومو"، أو منه صعوداً الى الصنوف المتطورة من "اوسترالوبيثيكوس"٠ أما اذا اكتشف شيء لا ينتمي الى هذا أو الى ذاك، فمن شأنه تعقيد الامور الى حد يحتم علينا العودة الى البداية٠

ولم أظن أن شيئاً من هذا سيحدث٠ فالانسجام بين المتحجرات كان حسناً٠ والفترة الزمنية المجهولة، وهي مليون سنة، كانت كافية لتفسير التطور في أحد الاتجاهين٠ فهناك زمن كاف للتحول من "افارينسيس" الى "هومو هابيليس"٠ وهناك زمن

كاف أيضاً لتفسير التحول من فصيلة "اوسترالوبيثيكوس" الى فصيلة "افارينسيس" عبر "افريكانوس" و"روباستوس". واذا شاء ريتشارد ليكي أن يطيل مدة "هومو"، ففي امكانه فعل ذلك، شرط ألا يذهب أبعد من "أفارينسيس" الذي تشير جميع الدلائل الحالية الى أنه كان سلف الجنس البشري.

أسئلة متلاحقة

في ٢٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ ذهبت وموريس طايب الى المتحف الوطني في أديس أبابا. وهنا، في احتفال كبير، سلمنا مجموعة هدار الكاملة التي كنا نحتفظ بها، وهي أكثر من ٣٥٠ قطعة، الى مامو تيسيما أمين المتحف.

وفي لحظة التخلي عن تلك الملكية انتابني شعور بالضياع. فقد كانت لوسي لي طوال خمس سنوات، وكتبت حولها المقالات وألقيت المحاضرات وظهرت على شاشة التلفزيون، وعرضتها باعتزاز أمام حشود العلماء من جميع أطراف العالم. وأنا أعرف تماماً أنها هي التي رفعتني من الظل العلمي الى أضواء الشهرة. وها أنا، أخيراً، أتخلى عنها وعن جميع العظام الاخرى التي جعلتني أطرح تفسيراً جديداً لتطور الجنس البشري. وفيما كنت واقفاً في المتحف أصغي الى خطاب القبول، شعرت كأني أب يعطي فلذة كبده لمؤسسة تبن. وشعرت بأني كئيب ووحيد وأنا أصافح أرتال المهنئين.

إلا أن هذا الشعور لم يدم طويلا. فقد فتح لنا الاثيوبيون الباب مجدداً وأبدوا استعداداً لاستقبال مجموعة جديدة منا في خريف ١٩٨١. ان هدفنا واحد هو البحث عن بقايا بشرية اخرى. وفي ودنا العثور على نماذج اخرى من فصيلة "افارينسيس" في هدار وعلى نماذج من فصيلة "هومو اريكتوس" في موقع آخر.

وعلى رغم انتشار "هومو اريكتوس" في اوروبا وآسيا وافريقيا - وهو يصغر بقايا هدار بمليوني سنة - إلا أنه غير معروف، من زاوية تشريحية، كأفراد الفصائل الاخرى. والنماذج الموجودة منه لا تتعدى بعض الجماجم هنا وهناك وعدداً من الأسنان.

ومعظم ما نعرفه عن "هومو اريكتوس" أمور حضارية. فهو كان يأكل ويطهو طعامه ويصنع الألبسة. ونعرف أيضاً أنه كان صائداً ماهراً للحيوانات الضخمة، وأنه صنع أدوات حجرية. لكننا لا نعرف اذا كان متحدراً من "هومو هابيليس" وكيف تم ذلك وأين.

ترى كيف لنا أن نفسر القفزة المفاجئة من "هومو هابيليس" الى "هومو اريكتوس"؟ أتراها كانت مفاجئة حقاً؟ ولماذا حصلت؟ أم تراها ثمرة تطور سريع ترادفي في اتجاه حضارة آلية أفضل؟ واذا كان الامر هكذا، فأين نشأت الحضارة الجديدة وكيف؟

وهناك سؤال اكثر اثارة هو الآتي: لماذا همدت تلك الحضارة، والانسان الذي أبدعها، مليون سنة اخرى؟ والواضح أن ظهور "هومو اريكتوس" لم يكن خلال تلك الحقبة الطويلة. ثم قفزت الانسانية قفزة مفاجئة اخرى

إذ حصلت، قبل مئتي ألف سنة، ثورة آلية اخرى برز منها الانسان الذي ندعوه "هومو سابينز". وأهمية منطقة أواش أنها قد تزودنا بالجواب عن السؤالين كليهما.

في هذه الاثناء سيحاول الجيولوجيون استخراج نماذج من صحراء عفار تعود الى مدة تراوح بين أربعة ملايين وسبعة ملايين سنة، وذلك في موقع يبعد ١٦٠ كيلومتراً عن هدار. وربما أسفرت اكتشافاتنا عن تعديل جميع نظرياتنا.

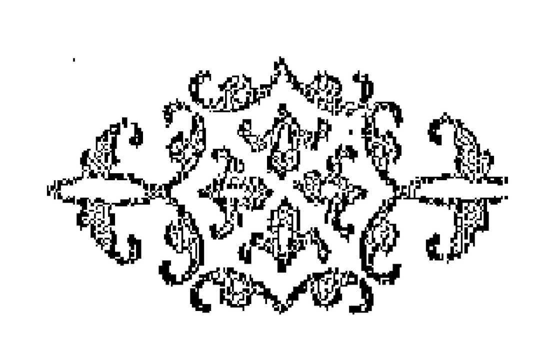
ويبدو أن "أفارينسيس" قريب العهد نسبياً الى الفصيلة البشرية. ولكن ما عسانا نقول اذا عثرنا على رجل عمرها ستة ملايين سنة أو حوض عمره سبعة ملايين؟ ان هذه الاسئلة تهيمن علي، وهي ستظل تلاحقني حتى يظهر الجواب عنها.

واعتقادي أن منطقة عفار تحمل ذلك الجواب. واني لموقن أن عظامها ستجعل من اثيوبيا قبلة الارض بالنسبة الى المتحجرات البشرية. ومن هناك ستعاد رواية التاريخ الانساني. والراجح أن نحصل على كائن بين القرد ولوسي، عمره ستة ملايين سنة. ثم تأتي لوسي، وعمرها بين ثلاثة ملايين سنة وأربعة ملايين. وبعد ذلك تأتي كائنات من فصيلة "أفارينسيس"، بعضها يشير الى "هومو" والبعض الى "افريكانوس". وأخيراً تأتي كائنات بشرية من فئة "اريكتوس".

وعندما بحت بتوقعاتي هذه لزميلي تيم وايت الدائم التشكيك، قال: "ولكن عليك أن تجد المتحجرات أولا".

فأجبته: "هل تشك في أننا سنعثر عليها؟ لا بد من أن تكون في هذا المكان اذا كانت موجودة على الاطلاق. واذا كانت هنا، فإننا سنجدها".

■ دونالد جوهانسون
مع ميتلاند ايدي



. حواء لا تتغير

ابدت سيدة رغبتها في الحصول على لوحة تمثلها، فاستقدم زوجها أفضل رسام أمكنه العثور عليه. وفي احدى الجلسات طلبت المرأة الى الفنان أن يجعل لعنقها عقداً ولرأسها عصابة ولاذنيها قرطين، كلها من الماس، على رغم أنها لم يكن لديها اي منها.

وبعد الفراغ من عمله، سألها الفنان: "ما الذي جعلك تطلبين اضافة الحلى؟" فأجابت: "اذا حدث أن مت قبل زوجي، فأنا اعرف أنه سيتخذ لنفسه زوجة اخرى على الفور. لذلك دعها تبحث عن هذه الجواهر".

م.م.

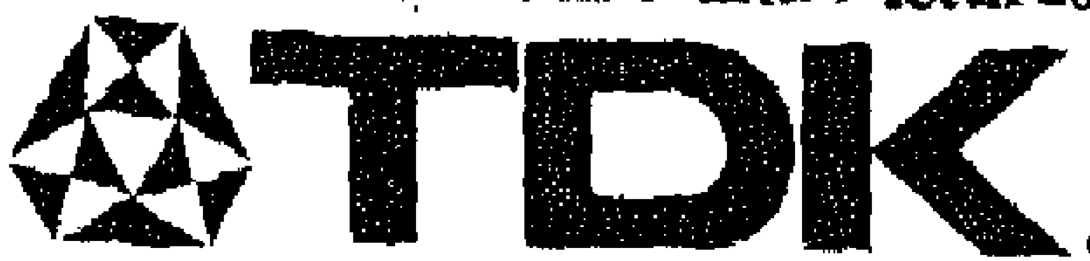
الواننا الطبيعية تضاعف متعتكم

يديو كاسيت تي ٠دي ٠كاي

لماذا "سوبر افيلين" هي الاكثر شعبية بين الفيديو كاسيت في العالم ؟
لانها تعطي نوعية في الصورة ؛ جديدة وذات مستوى يفوق ما تحقق الى الآن في اي جهاز فيديو ٠ وفي وسعكم ملاحظة الفرق: الوان مشرقة ؛ واداء طبيعي اخاذ ؛ وصور هادئة ؛ وصفاء كامل ٠ والسر هو في "افيلين" مواد التسجيل ذات الجودة المتناهية التي طورتها تي ٠دي ٠كاي ٠
ان "افيلين" اصبحت المعيار الدولي في التسجيل ٠
ان الشريط الجيد هو ضمان المتعة في اجهزة الفيديو ٠
اعتمدوا تي ٠ دي ٠كاي "سوبر افيلين" لانها الافضل ٠

كاسيتات "سوبر أفيلين" من تي ٠دي ٠كي متوافرة بشكلين: نظام "بيتا" ونظام الفيديو المنزلي ٠ وكلاهما يؤمن اداء ممتازاً ٠

The Future in Sound and Pictures.



TDK ELECTRONICS CO., LTD.

تي دي كي

